المشروع القومى للترجمة

فن الغزل

مختارات من الغزليات الفارسية

ترجمة وتقديم و تعليق

محمد نور الدين عبد المنعم

سلسلة الشعر

المركز القومى للترجمة

1790

فن الغزل

كن ثملا فى العشق فالوجود كله عشق،
وبدون العشق وشئونه وشجونه لا سبيل إلى الحبيب.
يقولون ما العشق ؟ قل: هو ترك الإرادة،
وكل من لم يتخلص من إرادته لن تكون له إرادة مطلقا.
العاشق سلطان، والعالمان بالنسبة له نثار،
والسلطان لا يلتفت مطلقا إلى النثار.
إن العشق والعاشق هما الباقيان إلى الأبد؛
فلا تربط قلبك بسواهما، فسواهما ليس إلا شيئا مستعارا.
فإلى متى تحتضن المعشوق الميت،
احتضن الروح، فالروح لا حدود لها.

تصميم الغلاف : عمرو الكفراوى

فن الغزل

مختارات من الغزليات الفارسية

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة الشعر
المشرف على السلسلة: رانيا فتحى

- العدد: 1790
- فن الغزل: مختارات من الغزليات الفارسية
- محمد نور الدين عبد المنعم
- الطبعة الأولى 2011

هذه ترجمة مختارات من الغزليات الفارسية

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤- ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

فن الغزل

مختارات من الغزليات الفارسية

ترجمة وتقديم وتعليق

محمد نور الدين عبد المنعم

2011

فن الغزل: مختارات من الغزليات الفارسية/ ترجمة وتقديم وتعليق: محمد نور الدين عبدالمنعم. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١.

٦٦ص ؛ ٢٠سم .

تدمك ٤ ٩٠٥ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الشعر الفارسى.

٢ ـ الشعر الغزلى.

أ ـ عبد المنعم، محمد نور الدين. (مترجم، مقدم ومعلق)

رقم الإيداع بدار الكتب ١١١٠٠/ ٢٠١١

I. S. B. N 978 - 977 - 421 -905 - 4

ديوى ٨٩١,٥٥١

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويـــــــات

تقديم المترجم 11
مقدمة عن فن الغزل 15

مختارات من الغزليات

الرودكى السمرقندى 27
الدقيقى البلخى 33
كسائى المروزى 39
منوچهرى الدامغانى 43
قطران التبريزى 49
مسعود سعد سلمان 53
المعزى 57
أديب صابر 65
سنائى الغزنوى 73
عبد الواسع الجبلى 83
السوزنى السمرقندى 125

الأنورى الأبيوردى 131
جمال الدين الأصفهانى 145
الخاقانى الشروانى 157
نظامى الكَنجوى 171
فريد الدين العطار 185
جلال الدين الرومى 195
فخر الدين العراقى 205
السعدى الشيرازى 215
همام التبريزى 305
خسرو الدهلوى 371
علاء الدولة السمنانى 387
أوحدى المراغى 423
خواجو الكرمانى 437
ابن يمين الفريومدى 457
عبيد الزاكانى 461
سلمان الساوجى 493
حافظ الشيرازى 517
كمال الخجندى 553
عبد الرحمن الجامى 561
هلال الجغتائى 581
آهلى الشيرازى 605
وحشى البافقى 611

طالب الآملى 625
صائب التبريزى 631
مجمر الأصفهانى 635
قاآنى الشيرازى 639
حواشى الكتاب 643
المراجع العربية والفارسية 655

ملحوظة

حرص المترجم على الإبقاء على الحروف الفارسية المستخدمة فى بعض الأعلام كما هى، والنطق الصحيح للحروف الفارسية الغريبة عن العربية كما يلى:

الحرف الفارسى پ	ينطق مثل P
الحرف الفارسى چ	ينطق مثل CH
الحرف الفارسى ژ	ينطق مثل J
الحرف الفارسى گ	ينطق مثل الجيم في اللهجة المصرية أو حرف G فى كلمة GO الإنجليزية.

تقديم المترجم

نشر المركز القومى للترجمة بمصر كتابى «فن الرباعى» الذى تضمن مختارات من الرباعيات الفارسية فى عام ٢٠٠٥م، ثم أعاد طبعه مرة أخرى فى عام ٢٠٠٩م، كما نشر لى المركز أيضا كتابًا آخر بعنوان : مختارات من الشعر الفارسى الحديث فى عام ٢٠٠٢ وأعاد طبعه بعد ذلك فى عام ٢٠٠٩ ، وقد لاقت هذه المختارات قبولاً ورواجًا كبيرين بين قرَّاء العربية، مما شجعنى على نشر كتاب يحمل عنوان «**فن الغزل**» يضم مجموعة من الغزليات الفارسية المترجمة إلى اللغة العربية، ليُعَرِّف القارئ العربى بهذا الفن الذى برع فى نظمه أهل اللغة الفارسية، وتخصص فيه كثير من الشعراء من أمثال: السعدى الشيرازى وحافظ الشيرازى وغيرهما. ولقد اخترت لهذا الغرض مجموعة من قصائد الغزل التى عبر فيها الشعراء عن العشق سواء كان عشقا بشريا أم عشقا إلهيا، ونحن نعلم أن شعر الغزل يمكن تفسيره وفهمه على كلا المحملين، فنرى كثيرا من المحبين يستخدمون أشعار ابن الفارض مثلا فى التعبير

عن حبهم البشرى، بينما شعر ابن الفارض شعر صوفى يعبر فى الأصل عن الحب الإلهى .

وقد اخترت هذه القصائد لأكثر من ثلاثين شاعرا من شعراء الفرس، وقدمت لكل مجموعة من القصائد بنبذة عن الشاعر الذى نظمها، حتى أُعطى فكرة عنه وعن أهم أعماله الشعرية، ورتبت هؤلاء الشعراء طبقا لتاريخ وفاة كل منهم ، فبدأت مثلا بالشاعر الرودكى وهو أبو الشعر الفارسى ومن أقدم شعرائه، وانتهيت ببعض شعراء القرن الثالث عشر الهجرى. وحاولت وضع عناوين لهذه الغزليات كما فعل غيرى فى بعض الكتب الفارسية التى جمعت مجموعة من قصائد الغزل مثل كتاب «سفينهَ غزل» الذى جمع فيه مؤلفه «انجوى شيرازى» مجموعة كبيرة من الغزليات، وجعل لكل منها عنوانا أخذه من مضمون الغزلية نفسها، وقد اقتديت به فى هذا الصدد، كما أننى قد اعتمدت على هذا الكتاب، كمصدر لمجموعة من هذه الغزليات، وهو مطبوع فى طهران عام ١٣٣٦ش = ١٩٦٥م . كما رجعت أيضا للعديد من دواوين الشعراء وكتب تاريخ الأدب الفارسى حتى أنتخب منها ما أراه مناسبا من غزليات نظمها شعراء الفرس.

وقد حاولت فى ترجمتى لهذه الأشعار ألا أتقيد بحَرْفية النص، بل كان هدفى الأساسى هو نقل المعنى الذى يرمى إليه الشاعر إلى اللغة العربية، وبذلك أُمكِّن القارئ العربى من فهم هذه النصوص الشعرية التى يكتنفها الغموض والإبهام أحيانا؛ خاصة تلك

النصوص التى تمتلئ بمصطلحات التصوف وإيحاءاته. ومن ثم عكفت على هذه الترجمة عدة سنوات، وتجشمت مصاعب كثيرة فى فهم هذه النصوص ونقلها إلى اللغة العربية، وسوف يلاحظ القارئ للترجمة مدى الجهد المبذول فيها. والمعروف أن ترجمة الشعر الفارسى القديم ليست بالأمر الهيِّن اليسير، نظرا لاختلاف اللغة الفارسية اليوم عن مثيلتها فى العصور القديمة. ويضم هذا الكتاب ترجمة لقصائد نظمت منذ القرن الرابع الهجرى، وهذا يوضح مدى صعوبة فهم هذه النصوص وترجمتها.

وقد ذكرت كثيرا من الحواشى والتعليقات على بعض ما ورد بالغزليات المترجمة لمزيد من التوضيح والشرح لبعض الأمور، حتى تكتمل الفائدة بالنسبة للقارئ، وأكون قد أزلت الغموض عن بعض القضايا وعرّفت ببعض الأعلام.

وهناك نماذج من قصائد الغزل لا تنطبق عليها شروط نظم الغزلية التى سنذكرها لاحقا فى المقدمة، ولكننى ذكرتها هنا كنماذج للغزل الذى كان يرد أحيانا فى مقدمة قصائد المديح ، وأحيانا أخرى يأتى مستقلا، لكن الشاعر لا يلتزم فيه بذكر لقبه الشعرى أو تخلصه مثلاً، لكننى أعتبره فى الحقيقة نوعا من قصائد الغزل التى يمكن ضمها إلى هذا الجنس الشعرى.

وأريد أن أشير هنا أيضا إلى مسألة مهمة وهى أن كثيرا من شعراء إيران المتصوفة قد رددوا تجاربهم الصوفية فى قالب أحداث عشقية مع معشوقاتهم، وهم يوضحون بذلك نظرية الحب الإلهى

فى التصوف الإسلامى، وهم لم يقصدوا بالشعر الصناعة الشعرية من حيث هى، وإنما وجدوه وسيلة أكثر ملائمة للتعبير عن حقائقهم تعبيرا عاطفيا، وشعرهم رمزى الطابع، وهم وإن إستخدموا ألفاظ الغزليين فى الحب إلا أن هذه الألفاظ عندهم رموز وإشارات إلى حقائق صوفية تدق على أفهام من ليسوا من أهل الذوق والمشاهدة. وهذا يدل على أنهم عجزوا عن خلق لغة خاصة بالحب الإلهى تستقل استقلالا تاما عن لغة الحب الحسى، بحيث يصعب التمييز بين كل منهما. ومن ثم كان سوء فهم الشعر الصوفى وتفسيره وصرفه إلى وجهة غير التى وضع لها.

وختاما فإننى أرجو أن أكون قد وفقت فى ترجمة هذه القصائد المختارة، ونقل مضامينها إلى اللغة العربية بكل دقة وأمانة، وأن أكون قد قدمت للمكتبة العربية سفرا جديدا يرضى عنه ويفيد منه القارئ العربى حيثما كان، والله ولى التوفيق والحمد لله أولا وآخرا.

القاهرة ـ مدينة نصر

فى ١ / ٩ / ٢٠١٠

محمد نور الدين عبد المنعم

مقدمة عن فن الغزل

«لولا الهوى ما هوى من هـوى»

الغزل فى أصل اللغة معناه: حديث النساء، ووصف العشق معهن، والتهالك فى حبهن، والمغازلة هى العشق ومداعبة النساء(١).

وأما من ناحية الاصطلاح: فالغزل فى الفارسية منظومة قصيرة تتراوح أبياتها بين سبعة أبيات وخمسة عشر بيتًا غالبًا، وهى تشبه القصيدة من نواحٍ كثيرة؛ فلابد أن يكون مطلعها مصرَّعًا، وأن تسير على قافية واحدة.

ويختلف الغزل عن القصيدة فى الموضوع والتخلص (اللقب الشعرى للشاعر)؛ فموضوع القصيدة يتعلق غالبا بالمديح أو الهجاء أو التعليم أو الفلسفة أو الدين، أما الغزل فهو لا يتعلق إلا بموضوع غزلى أو صوفى، ويلتزم الشاعر فيه بذكر لقبه الشعرى أو تخلصه فى البيت الأخير منه، ولعلهم لجأوا إلى ذلك ليجعلوا أشعارهم فى

مأمن من سطو الغير عليها، أو لعلها طريقة امتاز بها الشعر الفارسى عن غيره من الأشعار، وصارت بعد ذلك تشكل خاصية من خصائصه وميزة من ميزاته.

والغزل أو التشبيب موجود بطبيعة الحال عند العرب سواء فى مطالع قصائد المديح أو فى قصائد مستقلة عن الحب كما نجد عند كُثَيِّر وعمر بن أبى ربيعة وجميل وغيرهم، ويمكن أن يكون الفرس قد اقتبسوا نظم قصائد مستقلة فى الغزل عن العرب؛ فقد تأثروا بالقصيدة الغنائية عند العرب عمومًا، إلا أنهم جعلوا للغزل هذا الطابع المميز، وجعلوه محددا فى عدد الأبيات وبالتخلص فى آخره، وهذه الطريقة لم تكن موجودة عند العرب.

وقد كان من الطبيعى والغزل يتناول موضوعات العشق وأمانى النفس أن يكون أسلوبه رقيقا سهلا، وألفاظه عذبة، ومعانيه سلسة. ويقول المستشرق «جب»: لقد كان الغزل هو الشكل الأدبى المخصص للحديث عن الحب بالنسبة للفرس والأتراك، كما كانت السونيتة بالنسبة للإيطاليين(٢).

وفى الفارسية فرقوا بين النسيب والتشبيب والغزل؛ فقالوا: إن النسيب غزل يجعله الشاعر مقدمة لما يريد أن يقوله من أغراض، وكأنما قصد الشاعر بهذه المقدمة استمالة السامع إليه بذكر أحوال المحب والمحبوب، ومغازلة العاشق والمعشوق، حتى إذا تنبهت الحواس واستيقظت الأذهان والمدارك، دخل الشاعر فى موضوعه مطمئن النفس إلى أنهم يدركون ما يقول، وأسموا القصيدة التى تخلو من مقدمة النسيب (المحدودة) أو (المقتضبة) .

أما التشبيب فهو عبارة عن غزل يصور أحوال الشاعر مع معشوقته وما يقع بينهما من أمور كأشعار كُثيِّر عزة ومجنون ليلى وعمر بن أبى ربيعة وأمثالهم. غير أن كثيرا من الناس اختلط عليهم الأمر؛ فلم يستطيعوا التفريق بين النسيب والتشبيب، وأسموا كل ما يرد فى بداية القصائد بإحدى هاتين التسميتين، سواء تعلق بوصف الدِّمن والأطلال أو تناول الحنين وشد الرحال، أو أخذ فى وصف الرعد القاصف والبرق الخاطف والجو العاصف، أو أخذ يردد نغمات الرياح الذارية ، والمياه الجارية ، والطيور الشادية. وأما الغزل ، وإن كان اسمه ينطبق على النوعين السابقين بحيث يمكن أن يقال إن كل نسيب أو تشبيب تصح لنا تسميته بالغزل، إلا أنه لا يصح أن يقال إن كل غزل يمكن تسميته بالنسيب أو التشبيب[٣].

وممن اشتهر بين شعراء الفرس بنظم الغزليات السعدى الشيرازى وحافظ الشيرازى ومولانا جلال الدين الرومى وغيرهم، وقد ضمن بعضهم تلك الغزليات معانى صوفية كما نجد عند الشاعر سنائى الغزنوى، وجلال الدين الرومى، وعبد الرحمن الجامى، وأمثالهم.

وقد مر الغزل عند الفرس بمراحل متعددة حتى اكتمل على يدى السعدى وحافظ الشيرازيين؛ فكان يعيش فى العصور الأولى للشعر الفارسى فى كنف المديح؛ إذ كان الشاعر يبدأ قصيدة المديح بأبيات غزلية يصف فيها حبه وآلامه، ويناجى فيها محبوبته، وقد يصف

الربيع بعد ذلك أو الشراب، ثم يتخلص من ذلك كله إلى مدح الممدوح ، وهو هدفه الرئيسى. وعلى الشاعر أن يحسن التخلص والانتقال من الغزل إلى المديح وإلا عُدَّ ذلك ضعفًا فيه. وقد اشتهر الشاعر العنصرى بين شعراء الفرس الأوائل بحسن التخلص، ومن أمثلة القصائد التى يفتتحها الشاعر بالحديث عن عواطفه وإحساساته، ويتغزل فيها بمعشوقته ويناجيها، قصيدة الشاعر منوچهرى الدامغانى التى يمدح فيها السلطان مسعود الغزنوى، ومطلعها:

دلم اى دوست تو دانى كه هواى تو كند

لب من خدمت خاك كف پاى توكند

أى:

أيها الحبيب أنت تعلم أن قلبى يمتلئ بحبك،

وأن شفتى لفى خدمة تراب باطن قدميك.

ولا يعنى هذا أنه لم يكن هناك شعر مستقل فى الغزل فى تلك العصور الأولى؛ لأن الأدب يقتضى وجود شعر غنائى فى كل عصر، غير أنه لم يكن بالصورة المحددة التى ظهرت فيما بعد. والمعروف

أن كثيرا من الشعراء الفرس القدامى قد اشتهروا بهذا الفن الشعري، ومن هؤلاء الرودكى الذى يذكره العنصرى مشيدا بحذقه فى الغزل حيث يقول:

غـــزل رودكى وار نـــيـــكـــو بـــود

غـــزلـــهـــاى من رودكى وار نـــيـــســـت

اكَـــرچـه بـــپـــيـــچم بـــبـــاريك وهم

بـــدين پـــرده انـــدر مـــرا بـــار نـــيـــســـت

أى :

يعذب الغزل إذا أشبه غزل الرودكى، ولا يشبه غزلى غزله.

ومهما أمعنتُ النظر ودققت، فلن أبلغ مبلغه.

ومنهم أيضا الشاعر أبو الحسن البلخى الملقب بالشهيد (توفى عام 325هـ) ، الذى يشير الفرخى إلى غزله قائلا:

از دلاويزى ونغزى چون غزلهاى شهيد

وز دل انكَيزى وخوبى چون ترانه بو لهب

أى:

هى فى الفتنة والرشاقة كغزليات الشهيد

وفى الإثارة والحسن كلحن «بولهب»(٤)

تطور الشعر الفارسى بعد ذلك واستقل الغزل؛ فأصبح له نظامه الخاص، وتكونت طبقة من الشعراء الذين جعلوا هذا الفن حرفتهم ومهنتهم الخاصة ، فاعتنوا به أكثر من غيره من الفنون. والواقع أن الغزل بدأ يستقل واقعيًا منذ عصر السلاجقة ، أى منذ ظهور التصوف وتغلبه على الأفكار؛ فقد أثرت تلك النهضة الروحية فى فنون الأدب، وتحكمت فى اتجاهاته، فنشأ الغزل الصوفى لسد حاجة فى النفوس كانت ظاهرة حينذاك. ونبغ فى ذلك النوع الشعرى لفيف من الشعراء كسنائى أحد شعراء القرن السادس الهجرى، والعطار من شعراء القرن السادس وأوائل السابع، وغيرهما.

ونذكر من أعلام الغزل الفارسى فى العصر المغولى الشاعر السعدى الشيرازى (توفى عام ٦٩١هـ) وعدد غزلياته كبير جدا، وتنقسم إلى أربعة أقسام هى: الغزليات والطيبات والبدايع والخواتيم. ولا ننسى أن نقول أن للسعدى غزليات من الأسلوب الملمَّع؛ أى المنظوم باللغتين العربية والفارسية. والملمَّع كما هو معروف لون من النظم الفارسى، تمضى القطعة فيه على بحر

واحد، وقافية واحدة، وتتخللها أبيات عربية، من نفس البحر والقافية على نظام مختلــف، فقد يرِد بيت فارسى يعقبه بيت عربى، وقد يكون التلميع بعد بيتين أو ثلاثة، وقد تكون شطرتا البيت ملمعتين، وقد يختلف التلميع على نظامه.

أما الطيبات فهى غزليات صوفية يلتزم الشاعر فى كل واحدة منها بذكر تخلصه الشعرى، وهى عند السعدى مختلفة القافية والبحر وتصل إلى ثلاثمائة وخمسة وتسعين قطعة .

وتبلغ البدائع عنده مائة وسبعا وتسعين قطعة وموضوعها الغزل الصوفى كذلك. ويلتزم الشاعر فى آخر كل قطعة بذكر تخلصه الشعرى على نمط الغزليات الفارسية، وهذه الغزليات أغلبها فى حدود العشرة أبيات، وقد تنقص حتى تبلغ أربعة أبيات.

أما الخواتيم وعدد قطعها سبع وستون قطعة فى ديوان السعدى فموضوعها الغزل الصوفى كذلك، ويبدو من اسمها أنها آخر ما نظمه الشاعر من هذا اللــون، ويلتزم الشاعر فى نهاية كل قطعة منها بإيراد تخلصه الشعــرى. هذا بالإضافة إلى الغزليات القديمة وتبلغ ستا وثلاثين غزلية، وهى التى نص صراحة على أنها غزليات، ووصفها بالقدم يوحى بأنها من أول ما أنشده الشاعر .

والحقيقة أن الغزل قد بلغ النضج والكمال على يدى السعدى وحافظ الشيرازيين، ويقال إن الأخير امتاز عن شعراء عصره، لا بل عن جميع المتغزلين بهذا التفكير الفلسفى الذى مزجه بالغزل، فكأنه أوجد نوعًا خاصًا من الغزل يمكن تسميته بالغزل الفلسفى.

ينظر حافظ إلى الحياة نظرة الخيام وسائر المتشائمين، فلا يرى فى لذاتها المشوبة بالآلام ما يحق لعاقل أن يطمئن إليها، ويرى فى هذه الآلام الباهظة التى جرتها طبيعة الحياة أو بعبارة الشاعر (الحكم الأزلى) على الإنسان داء لا دواء له إلا الخمر أكسير السعادة ، الذى ينسى الناس آلامهم ويذهب بغرور عقولهم التافهة الضئيلة التى لا تجدى من الحق شيئًا، والتى لا تزيد الناس إلا شقاء على شقاء.

ويرى حافظ مع قدماء الصوفية أن السعادة والشقاوة لا تكتسبان بعملنا واختيارنا، فذلك أمر جرى به القلم فى أزل الآزال، وكل منا ميسر لما خلق له، فلا فضل للشيخ المتنسك على الرند المستهتر(٥).

أما من ناحية أسلوب حافظ فى غزلياته فقد كان يتوخى السلاسة فى العبارة، وحسن التشبيه والتمثيل، كما كان يستخدم الصناعات اللفظية دون تكلف، مما جعله يحرز نجاحا وسبقا لم يتح لغيره (٦) والمعروف أن حافظ لم يكن متصوفا ملازمًا للخانقاه أو مجالس الصوفية، إلا أنه كان ذا مشرب صوفى، وهو فى الحقيقة يعد من كبار علماء عصره وخاصة فى مجال العلوم الشرعية. ومع ذلك فقد تضمنت أشعاره روح التصوف والعشق الإلهى، ومزج بين أفكار العشق بصفة عامة والمعانى الصوفية ووصل فى هذا الأمر إلى أوج الكمال.

ولا يعنى ما ذكرناه عن فن الغزل حتى القرن الثالث عشر أن نظم الغزليات قد انتهى عند هذه الفترة، وإنما ظل الاهتمام بهذا الفن قائما حتى يومنا هذا، وما زلنا نجد شعراء محدثين يهتمون به ويقلدون غزليات قدامى الشعراء، فنجد شعراء من أمثال مهدى أخوان ثالث، وحسين پژمان بختيارى، وپرويز ناتل خانلرى، وعلى أكبر دهخدا، ورهى معيرى، وهوشنگ ابتهاج ، وسيمين بهبهانى، ومحمد رضا شفيعى كدكنى، ولطفعلى صورتگر، وغيرهم، ينظمون غزليات فى العصر الحديث تحتاج إلى دراسة وبحث للتعرف على توجهاتهم وفكرهم، ومدى اتفاق غزلياتهم أو اختلافها مع الغزليات التى نظمها القدماء، والتى قدمنا نماذج مترجمة منها فى هذا الكتاب.

حواشى المقدمـــة

١ ـ المعجم فى معايير أشعار العجم ـ شمس الدين محمد بن قيس الرازى ـ ص ٤١٥ـ تهران ١٣٣٨ش .

٢ ـ GIBB.E.J.W :A HISTORY OF OTTOMAN POETRY LOW DON 1900 . P. 81

٣ ـ حافظ الشيرازى شاعر الغزل والغناء فى إيران ـ إبراهيم أمين الشواربى ـ ص ـ ٢٥مصر ١٩٤٤م ، والمعجم ص ٤١٢ وما بعدها .

٤ ـ أنظر مقالة «الشعر الغزلى الفارسى» ضمن محاضرات الدكتور على أكبر فياض بجامعة فاروق الأول ـ ١٩٥٠م .

٥ ـ المرجع السابق ص ٤٦.

٦ ـ لمزيد من المعلومات حول فن الغزل وغيره من أجناس الشعر الفارسى أنظر:

دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى ـ تأليف د/ محمد نور الدين عبد المنعم ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ـ ١٩٧٦م .

مختارات من الغزليات

الرودكى السمرقندى

(توفى عام ٣٢٩ هـ)

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد شاعر القرن الرابع الهجرى الكبير والمعاصر للسامانيين، ولد فى قرية رودك بالقرب من سمرقند. يقول البعض أنه ولد كفيف البصر، إلا أنه يوجد فى أشعاره ما يشير إلى أنه كان مبصرا فى بداية حياته. ويقول محمد عوفى فى كتابه «لباب الألباب» إن الرودكى حفظ القرآن عن ظهر قلب وهو فى سن الثامنة من عمره، وقد حباه الله بصوت جميل، كما أنه كان يعزف على العود. وأصبح الرودكى بعد ذلك من المقربين فى بلاط الأمير نصر السامانى، ومن ثم جمع ثروة كبيرة، ونال مكانة عظيمة.

ومن ممدوحى الرودكى نذكر الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى (٣٠١ ـ ٣٣١) وأبا جعفر أحمد بن خلف بن الليث (حكم من ٣١١ ـ ٣٥٢) وهو من الأمراء الصفاريين، وماكان بن كاكى، وأبا الفضل البلعمى الوزير السامانى العالم.

ويعتبر الرودكى أول شاعر إيرانى كبير يطلق عليه لقب «أستاذ الشعراء»، وقد ضمَّن الشعراء من بعده كثيرا من أشعاره ضمن أشعارهم، وأشادوا بمنزلته فى نظم الشعر. والواقع أن الرودكى كان ماهرا فى نظم ألوان الشعر المختلفة، ويرى البعض أن أشعاره تصل إلى حوالى مائة ألف بيت، ضاعت جميعها ما عدا القليل منها. ومن أهم أعماله الشعرية نظمه «كليلة ودمنة»، وهى المنظومة التى لم يصل إلينا منها إلا أبيات قليلة.

ثلاثة قمصـــان

سمعت أيتها الحبيبة الجميلة أن يوسف كان يرتدى
ثلاثة قمصان طوال عمره فى أوقات الشدة والراحة؛

أحدها تلطخ بالدماء بسبب الكيد، والثانى تمزق بسبب اتهامه،
أما الثالث ؛ فقد أبصرت عين يعقوب الباكية من رائحته.

فوجهى يشبه القميص الأول (أحمر اللون)، وقلبى يشبه القميص الثانى (ممزق)،
أما نصيبى فى الوصال مع الحبيبة فيشبه القميص الثالث (إبصار العين) (١).

ليكن ما يكون

عش سعيدا مع ذوات العيون السوداء،
فالدنيا ليست سوى أسطورة ورياح وهباء.

ولا ينبغى أن تفرح بما هو آت،
ولا يجب أن تذكر ما قد فات.

يكفى أن أكون فى صحبة صاحبة الشعر المجعد المسكى الرائحة،
ويكفى أن أكون فى صحبة تلك الحسناء القمرية الوجه الحورية الأصل.

ما أسعد الإنسان الذى يعطى ويأخذ،
وما أتعس الإنسان الذى لا يعطى ولا يأخذ.

وا أسفاه إن هذه الدنيا ما هى إلا ريح وسحاب؛
فأحضر الخمر وناولها، وليكن بعد ذلك ما يكون.

أحضر تلك الخمر

أحضر تلك الخمر التى تشبه الياقوت الصافى المنساب،
أو هى كأنها سيف استُل أمام شمس ساطعة.

كأنها فى صفائها فى الكأس ماء ورد،
أو هى فى جمالها كأنها رؤيا فى عين أرق لا ينام.

وكأن القدح سحابة ، والخمر قطرات من هذه السحابة،
والسعادة التى تملأ القلب كأنها دعاء مستجاب.

لو لم تكن الخمر لخربت القلوب جميعها وتحطمت،
وإذا فارقت الروح الجسد فاستردها بالشراب.

ولو كانت الخمر فى مخلب عقاب يطير بين السحاب،
لكان ذلك عين الصواب؛ حتى لا يذوقها الأخساء.

الدقيقى البلخى

(متوفى حوالى عام ٣٦٥هـ)

هو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى البلخى الذى يعد واحدا من أعظم شعراء القرن الرابع الهجرى، وكان معاصرا للسامانيين. وقد لقبه البعض بالبلخى ولقبه البعض الآخر بالطوسى. وكان فى بداية أمره ملازمًا بلاط الصاغانيين فى بلاد ما وراء النهر، ومدح الأمير أبا سعيد المظفر وأبا نصر بن على الصاغانى والأمير فخر الدولة من آل محتاج وأبا صالح منصور بن نوح السامانى .

والدقيقى هو أول من شرع فى نظم شاهنامة (كتاب الملوك) ولكنه لم يتمكن من إتمامها إذ قتل على يد غلام له. ويعرف هذا الجزء من شاهنامة الدقيقى باسم «شتاسب نامه» أى «رسالة كَشتاسب، وهو يتناول فيه ظهور «زرادشت» والحرب بين كَشتاسب وارجاسب، وقد ضمه الفردوسى كما هو إلى شاهنامته. وللدقيقى غير «كَشتاسب نامه» قصائد معدودة وغزليات وأبيات متناثرة فى كتب التراجم وكتب التاريخ ما زالت باقية حتى الآن.

لا كانت الحياة بدونــه

ليته لم يكن هناك ليل فى هذه الدنيا،
حتى لا أفارق تلك الشفة الحلوة.

وألا تصاب روحى بلدغة العقرب،
لو لم تكن خصلة شعر الحبيب ملتوية كالعقرب.

ولو لم تكن الكواكب بادية تحت شفتيه؛
فلن تؤنسنى أية كواكب أخرى حتى طلوع النهار.

وإذا لم يكن الحبيب مُرَكَّبا من الجمال والحسن ومجبولا عليهما؛
لما تركبت روحى من عشقه وجبلت عليه.

وإذا كان ولابد من أن أعيش بدون الحبيب؛
فلا كانت الحياة بدونه يا إلهى .

الليل والنهار

الليل الحالك الظلمة يشبه جدائلك،
والنهار المضيء يشبه صفاء وجنتيك ونقاءهما.

وإذا صقل الصاقلون العقيق بشكل جيد؛
فإذا كان لامعا براقا فإنه يشبه شفتيك.

لقد طوفت كثيرا ببساتين الملوك وحدائقهم؛
فرأيت أن الزهور المتفتحة تشبه وجنتيك.

إن عيني الغزال والنرجستين المزدهرتين،
إنما تشبهان حقا وبصدق عينيك.

لقد شاهدت قوس البابليين[٢] والسهام الطرازية[٣]
فوجدت أنها تشبه حاجبيك وأهداب عينيك.

لا يمكن المقارنة بين قامتك المشوقة وشجرة السرو العالية،
لأن قامة السرو هى التى تشبه قامتك.

كسائى المروزى

(توفى عام ٣٩١هـ)

هو أبو الحسن مجد الدين إسحاق الكسائى المروزى من شعراء أواخر القرن الرابع، تردد ذكره كثيرا فى أشعار ناصر خسرو الشاعر المعروف، حيث أشار إلى كبر سنه وشيخوخته. وللكسائى أشعار فى مدح وزير السامانيين وكذلك فى مدح السلطان محمود الغزنوى. وهو بالإضافة إلى قصائده فى المديح والوصف فإن له قصائد أخرى فى الحكمة والنصيحة تتسم بالمعانى الفلسفية، وقد قلد ناصر خسرو بعضا منها. وكان الكسائى بارعا فى الوصف وذكر التشبيهات. وتوجد مقطوعات متفرقة من أشعاره فى كتب التراجم والمعاجم. ورغم قلة هذه الأشعار إلا أنها توضح مدى قدرته على نظم الشعر مما يجعله فى مصاف شعراء الطبقة الأولى فى اللغة الفارسية .

رسالة الجمـــال

يا من تجعل القمر مرآة تعكس عليها صورة وجهك،
أنت سلطان الحسن والعشاق هم جنودك وجيشك.

حيثما ألقيتَ بناظريك يتفتح النرجس ويزدهر،
وحيثما مررت يطلع القمر المنير ويكتمل.

وجهك وشعرك رسالة الجمال ،
ومما تكون الرسالة سوى من البياض والسواد؟ (٤)

أنت بشفتيك وعينيك راحة وبلاء،
وأنت بوجهك وجدائلك توبة وإثم وشقاء.

الأفضل أن يكف الظالم يده عن الفضة،
فيا صاحب الوجه الفضي قصِّر جدائلك السوداء.

منوچهری الدامغانـــى(٥)

(توفى عام ٤٣٢هـ)

هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد منوچهرى الدامغانى، أحد كبار شعراء القرن الخامس وعصر مسعود الغزنوى. ولد فى مدينة دامغان، وكان يقيم فى الرى قبل التحاقه ببلاط السلطان مسعود الذى نال فيه مكانة عظيمة .

أخذ منوچهرى لقبه الشعرى أو تخلصه من اسم فلك المعالى منوچهر بن قابوس بن وشمكَير الحاكم الزيارى، حيث إنه كان يعيش فى بلاطه فى بداية أمره. وقد مدح منوچهرى العديد من السلاطين والأمراء ومن هؤلاء السلطان مسعود بن محمود الغزنوى، وعلى دايه قائد جيش مسعود، وخواجه أحمد بن عبد الصمد وزير السلطان مسعود، وأبى سهل الزوزنى، وغيرهم من رجالات عصر السلطان مسعود.

وعلى الرغم من صغر سن منوچهرى، فإنه كان على اطلاع واسع فى الشعر والأدب الفارسى والعربى، وقد أفاد كثيرا فى أشعاره من بعض المضامين والأفكار التى وردت فى الشعر العربى، واستخدم كثيرا من الكلمات العربية النادرة والغريبة فى شعره. كما كان

منوچهرى ملمّا أيضا بعلم الطب والنجوم بالإضافة إلى إلمامه باللغة العربية وآدابها، ولذلك يُرى فى شعره بعض مصطلحات النجــوم. كما كان أستاذا بارعا فى فنون التشبيه والإستعارة خاصة عندما يصف الطبيعة والخمر. وهو الذى ابتكر فن «المُسَمَّط» فى الشعر الفارسى، حيث إن هذا الجنس الشعرى لا يرى فى أشعار الشعراء الفرس السابقين عليه.

أى دعاء دعوته ؟ (٦)

أيها الحبيب أنت تعلم أن حبك قد ملأ شغاف قلبى،
وأن شفتى فى خدمة تراب باطن قدميك.

وسوف أجاهد من أجل الحفاظ على حبك ما حييت،
حتى لا يمتلكك شخص آخر غيرى ويهبك حبه.

لقد جعلنى عشقك وكلفى بك مفتونا بك،
ولكنى هيأت نفسى وأعددتها لكل ما يسببه لى عشقك.

إننى لن أجافيك ولو عاملتنى بجفاء،
ولن أدع أحدا يعاملك بجفاء كذلك.

إن جسدى تابع لقلبى تماما، وقلبى تابع لك،
فالجسد كَلِفٌ بالقلب، والقلب كَلِفٌ بك كلية.

وكوكب «الزهرة» [٧] خادم مشطك وخصلات شعرك،
وكوكب «المشترى» [٨] هو عبد رباط قبائك.

إن أحدا لا يبيع المسك مجانا،
ولو فعل ذلك أحد لكانت خصلات شعرك الملتوية المجعدة.

لا يمكن لكأس الشراب أن يؤثر فى قلوب العشاق،
مثلما تؤثر طُرتك المجعدة التى تنثر المسك.

أى دعاء دعوته أيها الحبيب لتصبح جميلا بهذا
الشكل حتى يدعو به عبدك لك.

جربت وعرفت (٩)

يامعبودتى إن قلبى لم يعد يصبر على فراقك،
وإذا صبر اليوم فلن يصبر غدا.

أريد أن يتحد قلبك وفكرك معى،
ولكن من كان مثلك لن يتحد قلبه وفكره مع أحد.

لقد جربت وعرفت أمرك،
والناس طالما لا يجربون لا يعرفون شيئا.

تدللى علىّ فأنا راضٍ حتى تصبحى رفيقة لى،
وتأكدى أن المحبة القديمة لا تستحيل إلى عداء.

فأنا لا أحتمل استغناءك عنى، ولا أسلم لك قلبى
طالما أن محبتك وعطفك ليسا بظاهرين.

إنك تقولين : لماذا تطالبنى بقبلة من شفتى؟
ولا يكون طالب دين من لا يطالب بدينه.

سأطوع قلبك باللين والعطف فى نهاية الأمر،
وإن لم يكن باللطف سأطوعه بالذهب.

ولو أصبحت أنا العاشق يائسا من بابك؛
فلن أكون يائسا من باب الأمير سلطان العالم.

قطران التبريزى

(توفى عام ٤٦٥هـ)

هو الحكيم أبو منصور قطران العضدى التبريزى أحد شعراء القرن الخامس الهجرى والعصر السلجوقى، وهو من أوائل الشعراء الذين نظموا شعرا بالفارسية فى آذربايجان. وكان قطران من طبقة الدهاقنة؛ أى ملاك الأراضى، الذين اشتغلوا بنظم الشعر. ونذكر من ممدوحيه الأمير أبا الحسن على لشكرى حاكم «كَنجه» والأمير أبا منصور وهسودان بن محمد حاكم «تبريز» ، وأبا نصر محمد بن وهسودان المعروف بـ «مملان».

ومن أهم أعمال قطران ديوانه الذى يشتمل على قصائد وغزليات ورباعيات وترجيعات(١٠) ويميل أسلوب نظم الشعر عنده إلى أسلوب الشاعرين «الفرخى» و «العنصرى». ومن قصائده المشهورة تلك القصيدة التى وصف فيها زلزالا وقع فى مدينة تبريز عام ٤٣٤هـ . وقد اختلطت أشعاره مع أشعار الرودكى ، ويرجع السبب فى ذلك إلى تشابه اسم ممدوح الرودكى وهو الأمير أبى

نـصـر الـسـامـانى وكـنـيـة ممـدوح قـطـران وهـو أبى نـصـر مملان.

وبالإضافة إلى الديوان فإنهم ينسبون إليه معجما باسم «تفاسير فى لغة الفرس».

احذر العشـــق

ياقلبى.. قلت لك: احذر العشق،
واترك الحسان، وانصرف عن حبهن.

وعندما ترى وجها مليحا لا ترفع إليه ناظريك،
وعندما تنطلق سهامُ العشق نحوك اتقيها بدرع الحياء والعقل.

لكنك لم تطع أمرى، ولم تنظر للعاقبة،
وظننت أن ما أقوله لك كل ساعة هو الأسوأ.

لقد سرت على غير رغبتى، ووقعت فى شرك العشق؛
فكيف يمضى بك الزمن؟ خَبِّرنى.

الآن لن تصل إلى المراد بالصبر؛
فاترك هذه الوسيلة، وابحث عن وسيلة أخرى.

مسعود سعد سلمان

(توفى عام ٥١٥ هـ)

يعتبر مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى واحدا من شعراء القصيدة الكبار فى القرن الخامس ومن معاصرى العصرين الغزنوى والسلجوقى. هو أصلا من همدان ولكنه ولد فى لاهور. وقد سافر إلى الهند لمرافقة سيف الدولة مسعود بن إبراهيم الغزنوى، وحضر معه الحروب التى خاضها هناك، إلا أن سيف الدولة قد سُجن مع رفاقه وندمائه نظرا لشك أبيه فيه، وكان مسعود أحد الذين سجنوا لمدة سبع سنوات فى قلعة «سو» وقلعة «دهك»، وثلاث سنوات فى قلعة «ناى»، ثم أطلق سراحه بوساطة من عميد الملك أبى القاسم خاص، ووصل إلى حكومة إحدى نواحى لاهور، إلا أنه تم القبض عليه مرة أخرى، وبقى فى الحبس هناك فى قلعة «مرنج» لمدة ثمانى سنوات، إلى أن أطلق سراحه من جديد فى عام ٥٠٠ وبشفاعة ثقة الملك طاهر بن على مشكان، وظل حتى نهاية عمره يقوم بالعمل فى مكتبة السلاطين الغزنويين. وقد مدح مسعود سعد الأمراء الغزنويين والوزراء من أمثال ثقة الملك طاهر

وأبى نصر پارسى وابى القاسم خاص. وكان مسعود متمكنا من اللغتين العربية والهندية، ونظم أشعارا بالعربية. وأهم موضوع فى أشعاره هو حديثه عن الآلام والمتاعب التى عانى منها أثناء فترة حبسه، وتعرف هذه الأشعار بالحبسيات، وهى أشعار مؤثرة جدا.

أين ذهبــت ؟

أيها التركى القمرى الوجه إننى لا أدرى أين ذهبت،

وأنت دائما تبتعد عنى أينما ذهبتَ.

لقد كنتُ جديرا بك وكنتَ جديرا بى،

أخشى ما أخشاه أن تكون قد ذهبتَ إلى من لا يستحقك.

وإذا كان تفكيرك يدور حول البعد عنى؛

فلماذا تعرفت على روحى عن طريق الحب؟

المعـــــزى

(توفى عام ٥٢٠هـ)

يعد أمير الشعراء أبو عبد الله محمد بن عبد الملك من شعراء العصر السلجوقى الكبار، وكان أبوه عبد الملك برهانى شاعرا فى بلاط ألب أرسلان، وقد توفى فى مطلع سلطنة ملكشاه وحل معزى مكانه بعد ذلك. ويرجع تخلصه بلقب المعزى إلى انتسابه إلى بلاط معز الدين والدنيا ملكشاه بن ألب أرسلان، أما لقب أمير فقد منحه إياه ملكشاه أيضا. وكان المعزى يعيش فى بلاط ملكشاه حتى وفاة الأخير، ثم انتقل بعد ذلك إلى عدة مدن أقام فيها مثل هرات ونيشابور وأصفهان، إلى أن التحق بخدمة سنجر بن ملكشاه وظل فى بلاطه إلى نهاية حياته. ويقال إن سبب وفاته يرجع إلى سهم انطلق من قوس السلطان خطأ فأصاب المعزى، وقد أشار الشاعر فى شعره إلى أنه مرض لفترة نتيجة إصابته هذه، وتوفى بعد ذلك على أثر هذا الجرح. ونذكر من ممدوحى المعزى بالإضافة إلى السلطان ملكشاه والسلطان سنجر السلاطين السلاجقة الآخرين ووزراءهم من أمثال بركيارق ومحمد بن ملكشاه وأرسلان أرغو بن

ألب أرسلان، وبهرامشاه بن مسعود الغزنوى، وأتسز بن محمد خوارزمشاه.

وتشتمل أشعار المعزى على قصائد وغزليات غاية فى البساطة وعدم التكلف، ويوجد فى قصائده إشارات تاريخية منها بعض الأحداث التى وقعت فى العصر السلجوقى مثل حروب السلطان ملكشاه والسلطان سنجر والمصالحات التى تمت معهما.

وجهها وقدهــا

وجهها قمر، لو كان القمر محاطا بالمسك الأسود (*)،
وقدهـا سـرو، لـو كـانت زهـور الـشـقـائق الـحـمـراء (**) تـنـبـت فـى أعلى السرو.

ولو جاز للسرو أن يزهر زهور الشقائق الحمراء،
لجاز للمسك أن يحيط بوجهها القمرى الجميل.

وسـوف يكون للعشـاق قلوب تشبه الكرات، وظهور تشبه عصـى الصولجان (***)
طـالمـا اسـتـدارت ذقـنـهـا كـالـكـرة، وتـقـوست خـصـلـة شـعـرهـا كالصولجان.

(*) أى الشعر.
(**) أى الوجنتان.
(***) أى منحنية.

جنة الخلـــد

منذ أصبح قلبى عاشقا لتلك الشفتين الياقوتيتين الناثرتين لقطع السكر (*) ،

صارت عيناى صدفتين للّؤلؤ الملكى النفيس (**) .

ومن الطبيعى أن تصبح عينا العاشق أصدافا للّؤلؤ النفيس؛

طالما كان قلبه عاشقا لتلك الشفتين الياقوتيتين الناثرتين لقطع السكر.

ولن تستطيع سهام عينك السافكة للدماء،

أن تخترق قلبى ، ما دامت طُرتك هى الدرع الواقى من السهام.

(*) أى الأسنان.

(**) أى الدموع.

فيا جميلة الجميلات .. يا من يصبح مجلسى فى وجودك وكأنه ملىء بحسان كشمير[11] أحيانا، أو حسان فرخار أحيانا أخرى.

ولو لم تصبح طرتك جانية على وجنتك؛
لما قبلت أن تكون مقلوبة عليها طوال العام .

وإذا كانت مذنبة؛ فلماذا استقرت فى جنة الخلد؟
ومتى كانت جنة الخلد مستقرا للمذنبين؟.

اللؤلؤ والمرجـــــان

يا من تكون وجنتـاك هـمـا الثـريـا ، ويـا من تـكـون شفتـاك هـمـا المرجان،

إن ثرياك بلاء القلب ، ومرجانك غذاء للروح.

لقد انحنى ظهرى كقبة الفلك فى سبيل الحصول على ثرياك،

وفاضت عينى بالدمع كالبحر بسبب الحزن سعيا وراء الحصول على مرجانك.

ربما يكون خطك[١٢] دخان تظهر من خلاله أوراق الورد،

وربما تكون جدائلك السوداء سحابة تختفى وراءها الشمس.

إنه الدخان الذى أشعل النيران فى كيانى،

إنه السحاب الذى جعل الدموع تنهمر من عينى.

إن عينك جعلتنى عاجزا بجرحها لقلبى،
وجدائلك جعلتنى فى حيرة بانتزاعها لروحى.

لو اخترقت سهام عينيك شغاف قلبى ؛ فهذا جائز .. لأنك أنت الحبيب
ولو اِنْتَزَعَت جدائِلُك روحى ؛ فهذا جائز .. لأنك أنت الحبيب .

إن المجالس لا تضئ بدون طلعتك فى الاحتفالات ،
وميادين القتال لا تزدان بدون قامتك عند الحرب .
فالمجالس بدون طلعتك كالسماء بلا قمر ،
وميادين القتال بدون قامتك كالبستان بدون شجرة السرو .

إن السقم الذى اعترى جسدى إنما هو بسبب عينك الناعسة ،
وإن الألم الذى حل بقلبى إنما هو بسبب جدائلك المليئة بالفتنة .

إنه السقم الذى يتحول إلى راحة بمجرد رؤيتك ،
إنه الألم الذى يتحول إلى شفاء ودواء بمجرد سماع حديثك .

إن لك وجها فى رقة أوراق زهرة الشقائق وحمرتها،
وإن لك أسنانا فى إشراق حبات اللؤلؤ وصفائها .

وأنا لم أسمع قط عن لؤلؤ يوجد داخل مرجان ملىء بالشهد،
ولم أسمع قط عن زهور شقائق توجد وسط سنبل ينثر المسك.

أديب صابـــر

(توفى عام ٥٤٢ هـ)

هو شهاب الدين صابر بن إسماعيل الترمذى من شعراء القرن السـادس، أصله من ترمذ وتنقل بعد ذلك بين مرو وبلخ وخوارزم، وقام بمدح السلطان سنجر فترة من الزمن، وحمل رسالة منه إلى «أتسز» وبقى فى خوارزم فترة. وعندما علم «أتسز» أن أديب صابر يرسل أخبارا عن بلاطه إلى السلطان سنجر أمر بإغراقه فى نهر جيحون .

أما بالنسبة لأسلوب شعره فقد كان يتبع نهج العنصرى والفرخى، وكان بينه وبين رشيد الدين الوطواط تنافس فى نظم الشعر. ويشتمل ديوانه على قصائد وغزليات .

ثمل ومحطـــم

إنها ليلة الجمعة وأنا ثمل محطم،
والعشق يشغل فكرى وكأس الخمر فى يدى.

وإذا كان يوما السبت والجمعة سواء عندى؛
فهذا ما رأيته صوابا من العشق .

فماذا أفعل وأنا العاشق الثمل المحطم؟ !
والأفضل للعاشق أن يكون ثملا محطما.

لقد حَرَّم النومَ على عينى
عشقُ صاحبة العين التى يغلبها النعاس.

ليس من الممكن تحمُّل أحزان أفعال الدنيا وتصاريف الدهر ، فالدنيا ما هى إلا ظل سحابة وسراب .

اختيـــارى

أنت يا من يكون حبك ربيعا بالنسبة لى فى فصل الخريف ،
ذلك لأن وجهك بالنسبة لى هو الروضة وحديقة الشقائق.

إنْ الـربـيـع وأشـجـار الـسـرو والـورود وزهـور الـسـوسـن يـا ربـيـع الحسان ؛
تكون كلها بجانبى عندما تكونين بين أحضانى.

ليكن مستقرى دائما فى جدائلك المجعدة ؛
فإن طياتها وحلقاتها هى منزلى ومقامى.

إن الطلاوة والحلاوة التى تتميز بها غزلياتى الفصيحة ،
إنما هى نتاج عشقك الذى هو اختيارى من كل هذا العالم .

حاجةُ روحــــــى

يا من كان قلبى وفيا لكِ كل الوفاء ؛
ويا من كان قلبك مجافيا لى كل الجفاء .

فلا أنتِ قد وفيت بعهد العشق والمحبة ،
ولا أنتِ وفيت بوعد الإنسانية والمروءة .

لقد أفسحت لنا الطريق إلى العشق ويسرته لنا ،
وعندئذ تركتنا وسط الطريق .

وفى البداية نظرتِ إلينا نظرة الوصال ،
وفى النهاية ابتليتنا بالفراق .

فلا أنتِ إقتنعت بحجتى فى العشق ،
ولا أنتِ لبِّيت حاجة روحى .

إنك لا تُقرِّين بسلب القلوب ،
وأنا أشهد الله عليك وعلى أفعالك .

سنائى الغزنـــوى

(توفى عام ٥٤٥ هـ)

هو أبو المجد مجدود بن آدم من شعراء القرن السادس الكبار. التحق فى بداية أمره ببلاط الغزنويين ومدح منهم مسعود بن إبراهيم وبهرامشاه بن مسعـود، ولكنه اعتزل بلاط الملوك بعد سفره إلى خراسان ولقائه مع شيوخ الصوفية، ثم سافر إلى مكة، وطاف بمعظم المدن واختلط بشيوخ الصوفية وانضم إلى حلقاتهـم . وقد عاش فترة من عمره بعد سفره إلى مكة فى مدن بلخ وسرخس ومرو ونيشابور ، ثم عاد إلى غزنين حوالى عام ٤١٨هـ وظل بها حتى نهاية حياته .

ومن أهم أعماله ديوانه الذى يضم قصائد وغزليات وقطع ، وله أيضا «حديقة الحقيقة»، و«سير العباد إلى المعاد»، و«طريق التحقيق» ، و«كارنامه بلخ»، ومثنويات باسم «عشاقنامه»، و«عقل نامه».

ونذكر من ممدوحيه ثقة الملك طاهر بن على وزير السلطان مسعود بن إبراهيم، وخواجه قوام الدين أبا القاسم وزير سنجر، وعدداً آخر من رجالات البلاط الغزنوى .

وقد تأثر سنائى فى أشعار المرحلة الأولى من شعره بأسلوب الفرخى ومسعود سعد، ولكنه نظم أشعارا ذات مضامين مستقلة وموضوعات صوفية بعد أن دخل إلى عالم العرفان والتصوف. ويمكن اعتبار سنائى أول شاعر غزل صوفى فى إيران مزج فى شعره الأفكار والمصطلحات الصوفية بالأفكار والمضامين العشقية.

الدَوْرُ دَوْرُنــــا

طالما كان طيف الحبيب معنا،
فسوف نتطلع إليه طوال عمرنا.

وحيثما حل جمال الحبيب الفتان،
قسما بالله ... سيكون هذا منزلنا حتى لو كان فى الصحراء.

وهناك حيث يتحقق مراد القلب،
تكون الشوكة أفضل بالنسبة لنا من ألف ثمرة.

ومهما كانت البراعم فوق أغصان الأشجار،
فإنها تشبه شفتى الحبيب التى تطل منها نجوم الثريا (*) .

(*) (الأسنان).

وعندما تحين نعمة العشق وبهجته؛

فإن كل شئ يتلاشى بجانبها.

ولن تغتر العين التى عانت من الفراق وأبصرته

بالوصال مطلقا.

الآن وقد قَلَّ وجود الغربان فى الحديقة،

أعَدَّ البلبل عُشَّه بين الورود.

ويوجد فوق كل غصن عندليب،

يؤدى الشكر الذى قلل منه الغراب.

وقد أخذ يصيح قائلاً: الحكاية باختصار أن الدور

هو دورنا اليوم.

الرؤية وعدم الرؤية

يا من تكون رؤيتك هى الحياة بالنسبة لروحى ،

ويا من يكون عدم رؤيتك آفة لروحى .

لقد حرقت قلبى بنيران العشق ؛

فأنر روحى بنور الوصال .

بدون العشق لن يتحقق وصالك ،

وبدون ذكر اسمك لن يكون هناك سرور ولا فرح .

والآن وقد سلبتنى قلبى،

كيف يتأتى لى العيش بدون وجهك.

ومنذ أن سمعت أذنى اسمك ،

لا يردد لسانى سوى هذا الاسم .

وأصبح الخال الموجود على وجنتك يا أيها الحبيب

فتنة لقلبى ونورا لعينى .

يا من أصبح عشقك سيدا حاكما على قلبى ،

وأنا عبد لهذا العشق الخالد .

فتعال أيها الحبيب الجميل واحضر الخمر معك ،

واجلس معى ولو لفترة قصيرة .

فلو ذقتُ الخمر من يدك ،

فإننى سأظل حيا كالخضر حتى يوم الحشر .

طب مســـاءً

لقد أسلمت لك قلبى أيها الحبيب ؛ فطب مساءً .. إننى ذاهب .

وأنت تعلم حزن قلبى ؛ فطب مساء .. إننى ذاهب .

وإذا استحال وصلك لى مرة أخرى ؛ فلا مانع عندى من ذلك

وسوف أتعامل مع هجرك ؛ فطب مساء .. إننى ذاهب .

لقد سلبت بجدائلك السوداء ووجهك المنير نور النهار وظلمة الليل ،

فما أبدعك من ساحر ، وما أجملك من حبيب ؛ فطب مساء .. إننى ذاهب.

أنت بوجهك أصل للإيمان، ولكنك بجدائلك أساس للكفر،

وقد تسببت فى البلاء من ظلمهم؛ فطب مساء.. إننى ذاهب.

إنك ترانى بهذه الكيفية وأنا بين النار والماء،

وقد جفت شفتاى واغرورقت عيناى بالدموع؛ فطب مساء.. إننى ذاهب

الحبيب والدنيا

كل قلب لا يقترن بالحزن والغم ؛
لا يمكن أن يكون قد شغفه العشق.

لقد اخترتُ عشقك،
ربما لأننى لا أملك درهما.

ذلك لأن الدرهم هو من متعلقات الدنيا،
والحبيب والدنيا لا يجتمعان معا.

وطالما كنت مستقرا فى قلبى ؛
فلن يصبح قلبى قلقا حزينا .

عبد الواسع الجبلى

(توفى عام ٥٥٥ هـ)

يعتبر بديع الزمان عبد الواسع بن عبد الجامع الغرجستانى الجبلى واحدا من شعراء القرن السادس الهجرى . ولد فى ناحية غرجستان، وعاش فى بلاط بهرامشاه الغزنوى وبلاط السلطان سنجر السلجوقى ، وظل دائما محل احترام وتقدير منهما. وقد أنشد عبد الواسع أشعارا فى مدح هذين السلطانين وكذلك السلاطين الغورية والخوارزمية . ويتضح من شعره أنه كان على دراية بعلوم عصره خاصة الأدب والشعر ، ونلاحظ أن شعره ملىء بالمحسنات اللفظية . كما أنه نظم أشعارا باللغة العربية ، وقد أطلق عليه محمد عوفى فى كتابه «لباب الألباب» لقب «ذو البلاغتين»، ونقل عنه بعض أشعاره الملمعة. وتشتمل أشعاره على قصائد وغزليات وترجيعات.

يوسف قد عاد من جديد

ألا يا رياح السحر قولى لقمر «خلخ» (١٣) ذاك،
قولى لذلك الحبيب الحلو الشفتين السام الجواب؛

إنك منعت النوم عن عينى بعشقك وحرمتنى منه.
منذ أن قصصت جدائلك التى تحيط بوجهك وتزينه.

إن المفرحين للفؤاد فى هذا العالم يتيهون بك فخرا على الدوام،
وحسان خلخ يحسدونك باستمرار.

عندما أشاهد وجهك أقول إن «يوسف» قد عاد من جديد،
وذلك على الرغم من أننى أنكر دائما ما يؤمن به أهل التناسخ من حلول .

بدون جمالك لا يكون للحياة طعم ولا بهجة،

وبدون وصالك لا يكون لبهجة الحياة معنى.

شوك التمـــــر

يا من يزداد عشقى لك كل يوم مثلما يزداد حسنك ،

لقد فتنتنى بأحاديثك المعسولة الساحرة .

ولما كانت محنة عشقك قد أنهكتنى ،

فلا تتخلى عنى بسبب أقوال من يسيئون نصحك .

فحينا تقيدنى بجدائلك أيها الحبيب،

وحينما تصوب إلى تلك الغمزات النافذة فى القلب .

وقد جعلتنى أكثر نواحا وبكاء من طائر القمرى فى وقت الربيع ،

وعشقى لوجه الحبيب هو بالنسبة لى كالربيع البديع .

لا تخلو عينى من الدم ولا شفتى من الآهات ،

ولا قلبى من الحرقة لحظة بسبب الولع بعشقك .

فلو أوصلتك السماء الفيروزية اللون إلىّ ،

ولو خلصنى الحظ السعيد من الحزن عليك ؛

عندئذ يصبح الشوك تمرا، والفحم جوهرا ، والليل نهارا،

بسبب السعادة التى تغمر روحى وفكرى من جراء وصالك .

مصورو الصيـــن

أيتها الحسناء القمرية الوجه لقد صبرت على فراقك سنوات وسنوات ،

وما إن شاهدت وجهك حتى تغيرت أحوالى وتبدلت .

ليتك تعلمين أننى لن أتخلى عنك أو أتركك ،

وأننى لم أشتر دلالك وأتحمله عبثا طوال هذه السنين .

يا من مزق لابسو الخرقة خرقتهم عند سماعك ،

ويا من نثر الأثرياء أموالهم من أجل جمالك .

لو سمع مصورو الصين ومثالوه عن حسنك وجمالك ؛

لحطموا كل تماثيلهم خجلا وحياء منك .

ولو تأوهتُ آهة فى وجه الفلك فإن لهيبها سوف يحرق أجنحة النسر المحلق فى الفضاء ، من حرارة عشقى لك .

أحيانا أكون مطأطأ الرأس كحرف الجيم ، وأحيانا أكون محنى الظهر كحرف اللام ،

طالما أنك تلقين بحروف الجيم والدال العنبرية فوق الورد(١٤)

وطالما وجد خال من العنبر المسحوق فوق الفضة الخالصة(١٥)؟

فإن أحوال العشاق ستكون مضطربة بسبب ذلك الخال .

المولى شاهد على حالـــى

يكفى أن يكون المولى عز وجل شاهدا على حالـى ،
وكم يكون حالى سيئا فى فراقك .

إن كل ليلة تمتلئ بالنجوم من دموع عينى ،
ويُصبح وجهى الأصفر كالقش كطريق المجرة .

فإذا كان هدفك هو أن أصير مسكينا لا حول له ولا قوة ؛
فلن تجد من هو أكثر مسكنة وضعفا منى .

ليس لى من ذنب أو جريرة سوى أننى أحبك ،
ولا يحل لك أن تقتلنى بهذا الذنب .

ويعلم الله أنه بدونك لا تخلو عينى

من الدمع ، وقلبى من الغيرة والحسد ، وشفتى من الآهات .

وإذا نظرت إلى القمر حنينا لرؤية وجهك ،

فلا تظن أن القمر يعوضنى عنك .

لا أمل فى أن أعود إلى الطريق مطلقا

بسبب أنك نحيتنى عن الطريق .

ولو لم يكن لى من ملاذ سوى مدح المليك ؛

لأصبحت مجنونا بدون شك من نار عشقك .

وجهك وجبينــك

يا من يكون وجهك سراجا مضيئا وجبينك شمسا ساطعة ،

ويا من يكون شعرك المجعد مليئا بالحلقات ، وجدائلك مليئة بالثنيات والطيات .

لقد احترقت فى عشقك حبا فيك ،

كما تحترق الفراشة حبا فى السراج ، ويحترق عطارد(١٦) من الشمـــس .

إن فمك يشبه عينى فى الصغر بالقياس

وخصرك يشبه وجهى فى النحافة بالحساب .

ذلك لأنه يوجد فى فمك لؤلؤ براق صاف؛

كما يوجد حول وسطك ذهب خالص متألق(١٧).

وطرتك الملتوية وعينك السوداء ، الأولى

تعانى من عدم الإستقرار ، والثانية تمتلئ بالسُكْر والنعاس .

وكأن الأولى تتحمل كل صنوف الظلم كقلبى ،

وكأن الثانية تتذوق الخمر دائما كشفتيك .

لديك سلسلة وقفل من العنبر والسُكَّر(١٨)

موجودان فوق الشقائق المتفتحة واللؤلؤ البراق .

وأنا فى حب عنبرك والولع بسُكَّرِك،

أشبه العنبر وهو يحترق على النار، وأشبه السكر وهو يذوب فى الماء.

البلبل المذهــــول

لو لم يكن البلبل مذهولا مثلى من آلام العشق ،

فلماذا لا يتوقف فترة عن الشكوى والأنين؟ .

لا يوجد سوى صوت البلبل الذى يشاركنى الأحزان الآن ،

ذلك لأن صوت صنج ذلك الحبيب لا يصل إلى أسماعى .

لا يوجد مؤنس لى خلال فراق تلك المحبوبة الناعمة الوجه كالحرير والحلوة الحديث ؛ سوى الحديقة الغناء المكسوة بألوان الحرير والديباج .

لو مددت يدى أتحسس الوردة ليلا ونهارا فهذا أمر طبيعى؛

لأن الحبيب القمرى الوجه الوردى الوجنتين ليس بين أحضانى.

ومنذ أن أصبحت الدنيا مليئة بالثورة والغليان من صياح العندليب وغضبه ، لم يخل قلبى من الغضب والحزن على فراقه ليلة .

وأنا أشرب الآن الخمر على ذكراه دائما ،

على الرغم من أنه لا يطيب لى شرب الخمر بدون مشاهدة وجهه .

لكن كل من يفيق لحظة ويكون فى وعيه الآن

يدرك أنه لا عقل له بجانب العقلاء العالمين بالحقيقة .

البلبل المتيـــــم

لماذا يبكى البلبل وينتحب كل ليلة بهذا القدر؛

لو لم يذله الحبيب كما يحدث معى.

فإذا بكيتُ أنا وانتحبتُ من هجر جميل المحيا ذاك؛ فهذا أمر جائز

أما هو فلماذا يبكى وينتحب، وهو فى وصال دائم مع الوردة.

لكن ألمه يكون من أجلى كما أعلم،

إذ أنه يحزن ويغتم دائما من أجل العشاق.

فهو يعلم أنه لا رفيق لى يواسينى فى وقت الهجران؛

ولذلك يشاركنى البكاء والأنين كل ليلة.

إن أحدا لا يعرف قَدْر القلب وأحواله سوى البلبل المتيم ،
ومن ثم فهو يتعاطف مع المتيمين الولهين من سويداء قلبه .

فيا أيتها المحبوبة إلى متى تمارسين الجفاء فى الحب ،
مع من يكون مرتعا للوفاء دائما .

يجب على من يؤذى أحدا أن يخجل ويستحى منه فى النهاية ،
خاصة ممن لا يرغب فى إيذائك ولو قليلا .

فى السكر والصحــو

لا يوجد فى العالم كله قاتل وسفاك للدماء وجرىء أكثر منك ،
ولا يوجد فى هذه الدنيا من هو أكثر مسكنة وضعفا وحزنا أكثر منى.

إنك أكثر ظلما من الفلك فى القضاء على الأحرار الكرماء ،
وأنت أكثر شرا وقسوة من الدنيا فى قتل العشاق .

ومع أن النار قد تأججت فى روحى بسبب عشقى لك ،
إلا أن قلبى فى حبك قد أصبح أكثر صفاء ونقاء من ماء المطر.

إلى متى تقولين لى كن ترابا تحت أقدامى ،
وكيف يمكننى أن أكون فى نهاية الأمر أقل من التراب الذى أنا عليه الآن .

طالما ظل قميصك مرصعا بالدر فى شقيه ،

فإن قلبى سيظل دائما أكثر تمزقا بسبب عشقك .

إن أحدا فى هذه الدنيا لم ير ولن يرى

جميلة أكثر منك عنادا فى السكر والصحو .

حجة دامغــــة

لا توجد حبيبة فى جمالك فى كل الآفاق ،

ولا يوجد عاشق مثلى فى مدى ولعه وهيامه بين العشاق .

إن غمزتك الهاروتية(١٩) الساحرة هى أساس كل بلاء ،

وابتسامتك الياقوتية هى الدافع لكل ميل وولع .

لقد أصبح قلبى حارسا على نونة ذقنك ؛

وقائد الحرس عليها فى الليل والنهار هو شامتك .

ربما يقترب قلبى من شفتيك فى ظلمة ليل خصلات شعرك ،

لو لم تكن عينك تراقب الطريق كالعسس .

يا من تكونى فى سفك الدماء شريكة للأيام الظالمة ،

ويا من تكونى فى الظلم نائبة للفلك الجائر .

لا تقيدى أقدام المعذبين المحترقين واطلقى سراحهم ،

ولا تتخلى عن العشاق الولهانين وكونى عونا لهم .

إن دلالك حجة دامغة لدينا على قسوة قلبك ،

والشاهد الكافى لك على حزنى وضيقى هو بكائى .

عبق الربيـــــع

ألا يا أيها المحبوب المتدلل تعال فقد حل وقت الربيع البديع ؛

وناولنى الخمر المرة المذاق ؛ فهذا الوقت وقت جميل .

فأحيانا ما نتناول من يدك الخمر الصافية التى تشبه النار ،

وأحيانا ما ننظم الشعر المنمق البليغ فى وصفك .

من اللائق أن نزين المجلس ونرتبه للقائك ورؤياك ،

كما تزينت الدنيا من عبق الربيع الجديد المتألق .

فنشم فى كل ساعة عطر الزهور فى البستان المزدهر ،

ونحتسى فى كل لحظة الخمر بين المروج المخضرة .

إن البلبل يغرد الآن كل ليلة فى إنتظار الوردة ،

ويترنم بغزليات لطيفة ونغمات شجية .

وتتحول الصحراء كلها إلى رياض ، ويعم الكون كله ضياء،

عندما يصير المحفل غاصا بالمسك الطيب الرائحة الذى تحمله الرياح.

نقاب الــــوردة

لقد أزاحت يد ريح الصبا النقاب عن وجه الوردة ؛

ومزقت عين الهواء ببكائها حجاب الوردة [٢٠].

وتوجهت الوردة لعتاب زهرة الشقائق ؛

فاحتنقت الدماء فى روح زهرة الشقائق من عتاب الوردة .

ينبغى الآن أن يبادر الخلق بالرجوع عن التوبة بسرعة ،

ويجب على الوردة الآن أن تمزق ثوبها على عجل .

لقد طأطأت زهرة النرجس المسكية الرائحة رأسها ألما ،

ممن وصل إلى الخميلة وهو يحمل خطابا للوردة بعزلها .

وعندما تعكر ماء الجدول ، فهذا أفضل لنا الآن ،

حتى نضع فى أيدينا كؤوس الخمر الصافية كماء الورد .

وكأن الربيع الجديد قد أرسل للعندليب ،

رسولا يحمل البشرى فى رسالة للوردة .

والآن مدت شجرة السِّنار يدها عمدا،

حتى تكتب جواب الوردة من على لسانها .

الفراشة والشمعــة

مهما كنت محروما من عشقك وسيئ الحظ ،
فجميل أن أكون معك بأى حال من الأحوال .

لقد فررت فى عشقك من طريق السلامة ،
وأقمت فى طريق الملامة بسبب حبى لك .

كم كنت حذرا من فتنة عشقك ،
ومع كل هذا لم أتخلص من خداع عشقك .

لقد أسلمت لك قلبى مضطرا ، فإذا لم تقبله،
فسوف أقدم لك روحى التى لا أملك سواها .

لقد انهمرت دماء القلب من عينى ،
منذ أن تعلق قلبى بطيات جدائلك .

إن قلبى ينتفض كما تنتفض السمكة على الأرض ،
منذ أن عشقت أطراف هذه الجدائل التى تشبه الخطاف .

لقد مزقت ثوبى فى الصومعة من ظلمك ،
ورجعت عن توبتى فى الحانة بسبب حبك .

وصرت حائرا مضطربا كالفراشة التى تحلق حول الشمعة بسبب عشقك، وصرت حائرا مدهوشا كالمجنون الثمل بسبب حبك.

فخ العشـــــق

ألا يا أيها الساقى الحبيب لا تجعل يدى تخلو من الخمر ؛
ذلك لأننى أوقعت القلب مرة أخرى فى فخ العشق وشركه .

وقد جاءنا الربيع الجديد بشأن جديد ،
وسلب الحبيب الجديد قلبى ، ولم يعد الأمر بيدى .

فإذا كنت قد أسلمت له قلبى بسهولة بسبب جهلى ،
فأنا غير نادم على ذلك ؛ فقد وقعت فى حبه .

عندما شاهدت وجهه الجميل ابتعدت عن حب بقية الحسان ،
وقد مزقتُ الحجبَ من ظُلّمه، ورجعت عن التوبة بسبب عشقه.

أما أنت أيها الساقى فأنت بعيد عن هذا الولع كما أعلم ولا تتأذى بسببه ،

فناولنى الخمر المعتقة لعلك تسكرنى بدون رياء أو نفاق .

والآن لن اتوقف لحظة عن شرب الخمر ،
فإنه لا يمكن التعامل مع ما أنا فيه من حب شديد سوى بهذا .

الحبيبة الوفيـــــة

لن أتخذ حبيبة سواك طالما كنت حيًّا ؛

ولن يكون لى شأن مع أحد من الناس إلا معك .

وإذا كنت تنوين إيذاء قلبى وتسعين لذلك ،

فلن أؤذى قلبك ولو بمقدار ذرة من الأذى .

وكلما غضبت منك فأنا لا أحمل لك ضغينة ؛

لأننى أعلم أن هذا هو طبعك .

إن النوم لا يداعب أجفانى كل ليلة حتى طلوع النهار من التفكير فيك،

إذا لم أسلك فيها الطريق إلى حانة الخَمَّار .

فأنت الحبيبة الوفية ، وأنا لن أتخذ حبيبة،
سوى الحبيبة الوفية بقدر ما أستطيع .

ولن أجد الراحة بدون شفتيك الخمريتين ،
طالما لا أتناول كأس الخمر الياقوتية الشبيهة بِنَوّر الرمان .

قرين العين والشين والقاف

أيتها الحبيبة.. لما كنت تعلمين كيف تكون حالى فى عشقك،
فلا تهجرينى مرة واحدة ، ولا تهدرين دمى بلا طائل.

أنت كشمس الفلك فى قَدْرها وغَدْرها ،
وأنا بدونك محترق القلب كالشمس، محنى الظهر كالفلك.

ولأنك عندى كالهلال فقد تضاءل جسدى بسبب عشقك،
وعشقك يزداد كل ساعة كما يزداد حجم الهلال.

فمى مفتوح ، والدموع تنساب على وجنتى، وظهرى محنى،
حتى لكأنك تظنين أننى قرين العين والشين والقاف.

أنا فى الحزن كيعقوب(٢١) وفى اليقظة كأيوب(٢٢)
وفى الوله والهيام كداود(٢٣) وفى الوحدة كذى النون(٢٤)

جلست فى زاوية حتى أزيد من زادى،
ولا يعلم بحالى أحد سوى الله العليم.

ومع أن حرفتى وشغلى على الدوام هو ضيق القلب والحزن،
إلا أننى لم أكن ضجرا ملولا مطلقا كما هو حالى الآن.

جمال صوتك وعذوبتــــه

أى بلاء هذا الذى أصابنى من جديد عندما جلست معك ،
حتى أفلت الزمام من يدى مرة أخرى .

ومنذ أن رأيت أطراف جدائلك المعقوصة ،
ذهبت ناحية الحانة ونقضت التوبة .

وقلت لعل قلبى يتخلص من عشقك زمنا ،
وجلست فى فراغ فى زاوية أيضا .

وعندما تعالت نغمات صنجك تحت وطأة ضربات يدك وعزفها ،
صاح قلبى قائلا : إننى لن أتخلص من محبته .

فيا من تكون أجمل من القمر ، لقد أصبحت من حبك ،
مغلوبا على أمرى أكثر من السمكة الأسيرة فى الشبكة .

فلا تجعلنى ثملا الليلة بتلك الأقداح المتتالية ؛
لأننى قد ثملت من جمال صوتك وعذوبته .

بادية الألـــــم

منذ أن أصبح قلبى مغلوبا على أمره فى قبضة عشقك ،
فإنه لا يمكننى شرح حال قلبى وما يعانيه .

إن جسدى أسير فى بادية الألم ،
وقلبى بعيد خارج دائرة الصبر .

وطالما كانت عينك تمتهن الحيلة والخداع دائما ،
فإن قلبى سيظل أسير حيلك وألاعيبك على الدوام .

وسأظل على مدى السنين بسبب عشقك كهاروت ،
وقلبى معلق رأسا على عقب فى بئرك .

وسأظل أعانى بسبب عشقك كما عانى ذو النون ،
طالما كان قلبى مقيدا فى طرتك التى تشبه حرف النون .

ولن تَقِلَّ دماء قلبى التى تنساب من عينى ،
وكأن قلبى أصبح نبعا للدماء .

خطؤك وصوابك واحـــد

كم استمعت إلى عتابك دون ذنب لى أو جريرة ،

ولم أُجبِكَ مطلقا خجلا وحياء منك .

لقد انقضى عمرى من كثرة ما عانيت من جفائك ،

وقَلَّ صبرى من كثرة ما سمعت من عتابك .

والآن وقد أسلمت قلبى لحبك ،

فإلى متى تكون عجلتك لسلب روحى .

ولكن افعل كل ما فى وسعك من الأفعال الحسنة والسيئة ؛

لأن خطأك وصوابك واحد بالنسبة لى .

فقد صارت روحى فى ألم وعناء ، وأصبح جسدى كالحلقة المقوسة ،

وذلك بسبب شعرك المجعد الملىء بالحلقات وطرتك المليئة بالثنيات .

وأصبحت دموعى كالنجوم الساطعة بسبب عشقك ،

منذ أن صرت عاشقا لوجهك المضئ كالشمس.

وجنة الحبيب ووجنتى

لو لم تكن على وجنة الحبيب زهرة شقائق نضرة ؛
لما انسابت من عينى دموع من اللؤلؤ اللامع البراق .

ولو لم يكن لوجنتيك ضياء القمر وبهاؤه ،
لما كان لوجنتى صفار أشعة القمر وشحوبها .

ولو لم يغلب النوم عينيك النرجسيتين المخمورتين ؛
لما جفا النوم عينى بسبب حبك .

ولو لم يكن سنبلك المسكى (*) مليئا بالثنيات والطيات ،
لما أصبح قلبى يعانى من الآلام بسبب أحزانك .

(*) أى شعرك.

ولو لم يكن حاجبك مقوسا كالمحراب؛
لما ركعت طرتك أمام وجهك دائما.

ولو لم يكن هناك عسل مصفى بين شفتيك،
لما نحل جسدي من عشقك كالقصبة.

ولو لم تكن كقلم شيخ الكُتّاب؛
لما أصبح جسدي ذليلا أمامك على الدوام.

بذور الجـــــفاء

أيتها المحبوبة ماذا جنيت حتى إنك قطعت صلتك بى بمثل هذه السرعة ؟
وبنفس تلك الحرارة التى كنت تتعاملين بها معى.

عندما علمتِ بأننى حزين كالوردة الممزقة الأكمام
أسير لمن لا يخاف مثلك ، لماذا لم تصفحى عنى؟

وهل زرعتِ بذور الجفاء وابتعدت عنى غضبا ،
لقد قُتلتُ فى عشقك وما زلتِ غير راضية عنى.

وحطَّمتِ كل آمالى وتركتنى وحدى فى الطريق،
وأحنيت ظهرى من الحزن ، وخضبت وجهى بالدماء.

ومع أن كل ذلك كان بلا طائل معى إلا أن فراقك قد أضنانى ، وارتاح قلبى لأنك مرتاحة لآلامى.

عندما اخترت هواك وحبك لم أبحث عن شئ سوى رضاك، وأطعت كل أوامرك ونفذتها على أمل أن أحظى بوفائك.

فهل تراجعت عن حبى لأننى أصبحت كبستان فى فصل الشتاء، أو لأننى كالهلال الذى تضاءل بسبب فراق وجهك القمرى؟

السوزنى السمرقندى

(توفى عام ٥٦٢هـ)

هو شمس الدين تاج الشعراء محمد بن على السوزنى من شعراء القرن السادس المشهورين. ولد فى سمرقند وأتم دراسته فى بخارى ومدح ملوك آل افراسياب. ويعتبر السوزنى من شعراء الهجاء المعروفين، وقد ضمن هجاءه معانى خاصة وأفكارا جديدة ، وهجا بعض شعراء عصره من أمثال عمعق ومعزى وأديب صابر ورشيدى السمرقندى. وللسوزنى قصائد فصيحة وبليغة، ويقال إنه امتنع عن الهزل والهجاء فى آخر حياته وشُغل بالاستغناء .

لماذا لم تقل لى ؟

لماذا لم تقل لى منذ اليوم الأول أيها الحبيب:
لا تصدق عهدى ووعدى وميثاقى وتأخذهم على محمل الجد.

ولا تسلمنى قلبك ، ولا تبحث عن الوفاء عندى ،
فقد كان الوفاء منى أولا ، والجفاء منك فى نهاية الأمر.

لقد أغرقت قلبى فى الدم بسيف هجرك،
ولا أدرى لماذا محوت من القلب أمل الوصال معك.

من الجائز الآن أننى عاجز عن الوصول إليك،
فالمراد كله مرادك والأمر كله أمرك.

ناولنى الخمـر

أيها الساقى ناولنى ذلك الشراب الأحمر كالنار ،
وأدر الكأس وأزل همومنا التى لا نهاية لها .

فقد حلت أيام السرور والبهجة والفرح ؛
فلا تضيعها هباء بلا طائل .

واعقد مجلسا فى البستان وأجْلس فى كل ناحية منه
حسناوات ورديات الوجوه ، وحوريات فضيات الأجسام.

وهات الخمر فالوقت وقتها ؛
فلا مجال لأى نوع من المحاباة لهذا الوقت.

ساذج من يقول لك لا تمسك بقبضتك وكفك
تلك الجدائل المجعدة ، وكأس النبيذ المعتق .

اعقد مجلس السرور والطرب ، وعندما تعقده
ادع ذلك المطرب القمرى الوجه الذى يدعى «طوبى» [٢٥].

وحيثما يوجد «طوبى» يكون هناك الفردوس الأعلى:
فقد جاءنا رسول بهذه الرسالة.

الأنورى الأبيوردى

(توفى عام ٥٨٣هـ)

هو أوحد الدين محمد بن محمد الأنورى الملقب بحجة الحق، ولد فى قرية بدنه بولاية أبيورد. درس فى مدينة طوس وهو فى ريعان شبابه، وكان ماهرا فى الرياضيات والفلسة والحكمة أيضا بالإضافة إلى الأدب. كما كان مهتما اهتماما كبيرا بمؤلفات أبى على بن سينا ، وقد نقل بعضها بخط يده. كان الأنورى يهتم اهتماما خاصا كذلك بالنجوم ويقال إنه تنبأ بوقوع رياح عاتية مع اقتران الكواكب فى عام ٥٨٣ ولكن ذلك لم يحدث .

وقد مدح الأنورى بالإضافة إلى السلطان سنجر كثيرا من عظماء عصره مثل أبى الحسن عمرانى والقاضى حميد الدين صاحب «مقامات حميدى». وهو يعد من شعراء القصيدة العظام فى القرن السادس الهجرى ، وكان يتخلص فى بداية أمره بلقب «خاورى». كما أنه تفوق على السابقين عليه من الشعراء بدقة المعنى وفصاحة اللفظ فى قصائده. وتعتبر غزلياته من الغزليات اللطيفة جدا والجذابة ، كما أنه كان ماهرا فى فن الهجاء .

ولا شك أنه لعب دورا هاما فى تغييرأسلوب الشعر الفارسى، واستفاد كثيرا من لغة الحديث فى أشعاره. والغريب أن أشعاره تتسم أحيانا بالسهولة والبساطة، وتتسم أحيانا أخرى بالمعانى الدقيقة والصعبة. وقد مدح الشعراء اللاحقون له أستاذيته وقدرته فى نظم الشعر.

أغلى من الـــروح

يا من يكون الوجد بك روحا أخرى لجسدى ،
إن الروح لا تعثر على حبيب آخر مثلك .

ويا من تمنح العقل فى كل وقت ،
إيمانا جديدا بطرتك الكافرة .

ويا من تطلق سهام غمزاتك فى كل حين
سهاما أخرى على روحى .

إنه لا يوجد برهان آخر قط على وجود الله
أمام العقل أفضل منك .

فلو رأى الشيطان وجهك الصبوح ؛
فإنه سيقول بلا تردد : إنك إله آخر .

يا من يحمل كل قلب عبثا،
طمعا آخر على طمعه لوصالك .

ويا من يتطلع كل شخص بشغف،
إلى عشقك ويطل برأسه من لبة ثوبه .

لقد تخلى القلب عن الروح بأمرك ،
يا من تكون أغلى من الروح ؛ فهل من أوامر أخرى ؟

لا يوجد لمريض غم عشقك ،
دواء ناجع آخر أفضل من آلامك .

حزن المهمـــــــوم

يا أيها الحبيب لقد ضقنا ذرعا بسبب حبك ،

وا أسفاه .. إنك لا تعلم شيئا عن زماننا وأحوالنا .

لقد حزنتُ من الزمان بسبب أفعالك ،

يا من تكون سيئا كالزمان .. انظر إلى حالنا .

إن صياح قلبنا المتألم ونواحه

يصل إلى عنان السماء كل ليلة بسبب فراقك وهجرك .

وا اسفاه .. وا حسرتاه .. إنه لم يبق تذكار من زماننا سوى معاناة الأحزان .

لقد انتحينا جانبا بعيدا عن رعاية الزمن،
حتى يحين الوقت ويجعلك الزمان قريبا منا.

لقد كنت أنت الذى تحمل همومنا وأحزاننا،
واليوم لا يوجد من يحمل همومنا وأحزاننا سوى حزنك.

نعم إن هذا لم يكن بإختيار قلب «الأنورى»؛
فإن يد القضاء هى التى أغلقت باب اختيارنا .

قضاء السمـــــاء

عشقك قضاء سماوى ،

ووصالك بقاء سرمدى .

وضرر الحزن عليك فى هذا الزمان

بسبب البعد عنك ، بلاء فجائى.

ولا أتوصل للسعادة ؛

إلا وأجد فيها آثار أحزانك .

وفى زوايا ثنايا جدائلك

توجد مائة قطعة من الغنج والدلال.

ولو بقيت هذه القاعدة ودام هذا المبدأ ؛
فإن ذلك سيكون أساس خراب العالم .

لقد دمى القلب فى أحزان الانتظار ،
وما زال المسكين مشغولا بالفكر والخيال .

أين حبيبـــــى؟

أيها الناس قولوا لى أين راحة روحى ؟

أين من يضاعف الراحة لكل شخص ويسبب الشقاء لى وحدى؟

إننى لا أذكر اسمه أمام كل شخص ؛

ولكنى أدلله بين الحين والآخر وأقول أين سروتى الممشوقة القوام؟

إن كل إنسان يسعد بقطف وردة من البستان؛

فأين الوردة التى لم تتفتح فى بستانى؟

لقد سافر حبيبى ورافقته روحى ،

وسوف يظهر عند عودته من يكون هو بالنسبة لى.

إن كل شخص يكون عطوفا رحيما بأهل بيته ،

وأنا ليس عندى من يعطف على ؛ فأين العطوف علىّ ؟

أعرفك أنا وقلبـــى

لقد نقضتِ العهد الذى قطعتيه مع عبدك ،
مثلما عقصتِ شعرك .

مضى زمن لم أدّعُكِ فيه بالحبيبة ،
منذ أن نقضت العهد معى.

إن أحدا لا يعرف شيئا عن سيرتك وطباعك،
إلا أننى أعرفك أنا وقلبى كما أنت.

لم تعطنى وردة من على غصن الوفاء ،
ووخزتِ قلبى بأشواك الجفاء .

إننى اليوم أعانى من الخُمار بسبب هجرك لى ،
فأنت قليلة الوصال .

فيا أيتها العزيزة عليّ كروحى ؛

كُفى يد الظلم عن روحـــى .

ثم ذهبتِ بسرعة

يا من تأخرت فى المجئ إلى ثم ذهبت بسرعة ،
لقد أشعلت النار فىّ ثم تلاشيت كالدخان.

لقد تحقق حضورك متأخرا كآمال المحزونين
ثم ذهبت بسرعة كمحبة أصحاب القلوب الحجرية القاسية.

وقبل أن يهنأ قلبى ويهدأ فى حديقة وصالك
من الجرح الذى سببه فراقك .. ذهبت.

فلا أنت تركتنى أتخلص من قيدك ،
ولا أنت جعلتنى أستمتع بوصالك ... وذهبت .

لقد قصدت حرق قلبى عامدة متعمدة ،
وعندما ازداد عشقك فى قلبى ... ذهبت .

جمال الدين الأصفهانـــى

(توفى عام ٥٨٨هـ)

ولد جمال الدين محمد بن عبد الرزاق الأصفهانى فى مدينة أصفهان فى القرن السادس الهجرى، وقضى معظم عمره هناك، كما أنه سافر إلى آذربايجان والتقى هناك بالشاعر الكبير نظامى الكَنجوى. وقد مدح جمال الدين معظم السلاطين السلاجقة من أمثال أرسلان بن طغرل، وطغرل بن أرسلان، ونصرة الدين جهان پهلوان، وبعض ملوك آل باوند الذين كانوا يحكمون فى مازندران، وأسرتى آل خجند وآل صاعد؛ وهما من الأسر الكبيرة فى أصفهان.

يشتمل ديوان جمال الدين على قصائد وغزليات ومدائح وقصائد فى الحكمة والموعظة. وهو من مقلدى الأنورى وسيد حسن الغزنوى ورشيد الدين الوطواط، وكان هناك تنافس بينه وبين الخاقانى ومجير وظهير فى نظم الشعر. وتبدأ معظم قصائده فى المديح بدون غزل، وقليلا ما تبدأ بوصف الطبيعة، غير أن غزلياته تعد فى مقدمة غزليات عصره.

لا يحــــــوم

إن الحبيب لا يحوم حول الوفاء ،
ولا يريد التعرف عليه .

ولا يرد على خاطره وقلبه سوى الظلم ،
ولا يخطر بباله وفكره سوى الجفاء .

لقد سلبنى قلبى مرة واحدة ،
وهو لا يفعل إلا كل ما لا يليق .

وهو لا يسأل أحدا عن حالى ،
وهو نفسه لا يحوم حولنا .

هو نفسه لا يسأل لماذا لا يأتى
هنا فلان العاشق فى نهاية الأمر .

ولا توجد أى ليلة لا تتحول إلى طاحونة مائية ،
بسبب دموعى التى تنهمر لفراق وجهه .

أحسد طرتــــــك

لا تبحثوا عن شخص عديم الوفاء مثل محبوبى،
فهو لا يكترث بنا ولا يحزن من أجلنا.

ولن تجدوا فى قلبه سوى الظلم،
ولن تجدوا فى رأسه سوى الجفاء.

قلت له لماذا تسلبنى قلبى؟ قال:
لماذا لا يكون هذا ضمن مذهب العاشق ومبدئه.

إننى أحسد طرتك لأنها
لا تبتعد عن وجهك لحظة ولا تفارقه.

وإذا أردت ألا تقوم الفتنة فى المدينة؛
فوارى ذلك الوجه ولا تظهره.

هل سمعت أن القلب يموت من الضحك

وأن الوردة لا يكون لها دوام وبقاء ؟

لم يـــــأت ..

بلغ النهار نهايته والحبيب لم يأت،
ولم يأت أحد من عنده.

قلت سأحكى له الآن عن أحزانى
فلمن أحكى والحبيب مزيل الأحزان لم يأت.

إن كل ما أصابنى كان بسبب الزمن السيئ،
لا ، لقد جاءنى من القلب، ولم يأتنى من الزمن.

يجلس ويستقر

إن أحزانى تسكن فى قلبى الضيق الصغير ،
ولا أدرى لماذا يستقر قلبى فوق النار .

إن قلبى أيضا يستحق كل حزن من الأحزان ؛
لأنه يجلس فى طريق البلاء .

وهو يضعنى فوق ألسنة النيران ،
عندما أرى أنه يجلس مع من لا يستحق.

لقد قال لى : إنك تجلس مع شخص آخر ،
ولا أدرى أين يجلس هو .

ولا يعلم حبيبى حول أى شىء يربط حزامه ،
إنه فى هذه المرة يربطه حول أرواحنا .

اليد والخصـــــر

بدونك لا يصل أمرى إلى غايته ،
ولا تحيط يد أحد بخصرك .

ولا يظهر طيفك أمام عينى ،
طالما أنها لا تتبلل وتغرورق بالدموع .

وطالما أنك لا تلج بابى
فإن أحزانى لن تفارق قلبى .

وطالما أنك لن تحوم وتجول مثلى أنا العاشق ؛
فلن تدرى شيئا عن أحزانى .

حتى الصبـــاح

أنا والمعشوق نزيل الغم معا الليلة وحتى الصباح ،
يدى وطرة الحبيب متلازمتان حتى الصباح .

فطب نفسا واسعد لأنه لا يوجد تفاوت كبير
بين وجهك أيها الحبيب وبين الصباح .

إن كل مجنون يرى منى هذا
سوف يسهر الليل كله حتى الصباح .

تناول الكأس وناوله وتبادل القبلات ،
ولا تعرف عملا آخر لك سوى هذين حتى الصباح .

وطالما أنك تشرب الخمر حتى الصباح ،
وطالما أنك تحصى القُبَلَ حتى الصباح ؛

فلن تغفو عيوننا الليلة

يا من يكون شمعك حارسا لنا حتى الصبـاح .

قبضة الأحــــزان

أى وجه هذا الذى يكسوه مثل هذا الجمال ،
وأى عشق هذا الذى يتصف بمثل هذا الافتضاح .

لقد قلت إنك لن تنتشل روحى من قبضة الأحزان ،
فهل هذا هو ما أمرت به ؟

أنت حبيب جميل ولكنك سيئ الطبع ،
وأنت شديد الجمال ولكنك أرعن .

لقد قيدت قلبى وأحطت به كما تحيط جسدك بالعباءة ،
وفتحت القلب كما تفتح فمك .

أنت تمن على المرآة مائة مِنَّة ،
عندما تكشف لها عن وجهك وتنظر فيها .

الخاقانى الشروانى

(توفى عام ٥٩٥هـ)

هو أفضل الدين أبو بديل بن على الخاقانى أحد شعراء إيران الكبار. لُقب أولا بلقب «حقايقى»، ثم تخلص بعد ذلك بلقب «الخاقانى» نسبة إلى الخاقان الأكبر منوچهر بن فريدون شروانشاه. أبوه هو على نجار، وأمه كانت جارية رومية اعتنقت الإسلام. وقد حدث أول اتصال للخاقانى بشروانشاه عن طريق أبى العلاء الكَنجوى ، ثم التحق بعد ذلك بخدمة ابنه الخاقان الكبير اخستان. وبعد أن عاش الخاقانى فترة فى بلاط شروانشاه أصابه الملل ورغب فى السفر إلى العراق ، إلا أن شروانشاه لم يسمح له بذلك مما ضايق الخاقانى. وفى نهاية الأمر سافر إلى مكة، وعند عودته منها نظم قصيدة فى وصف أصفهان عندما دخلها. وعاد الخاقانى إلى بلاط شروانشاه ، إلا أن الشاه أمر بحبسه بعد ذلك بسبب وشايات الحاسدين. وفى عام ٥٦٩هـ خرج للحج مرة ثانية، وعند عودته من الحج اختار العزلة وأقام فى تبريز حيث مات، وذلك بعد موت ابنه ومصائب أخرى ألمت به .

ونذكر من ممدوحى الخاقانى الخاقان الأكبر أبا الهيجا فخر الدين منوچهر بن فريدون شروانشاه، والخاقان الكبير جلال الدين أبو المظفر أخستان بن منوچهر، وعلاء الدين اتسز بن محمد خوارزمشاه ، ونصرة الدين القائد الأعظم أحد حكام طبرستان، وغياث الدين محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه، وركن الدين أرسلان بن طغرلى، وسيف الدين الأتابك منصور حاكم شماخى، ومظفر الدين قزل أرسلان ، وعلاء الدين تكش بن ايل أرسلان.

ويعتبر الخاقانى من شعراء عصره النابغين ومن أساتذة نظم القصائد المتميزين فى إيران، حيث كانت له ابتكارات فى نظم الشعر. وقد التزم بأنواع صعبة من الرديف فى قصائده الطويلة. وكثيرا ما تبتعد قصائده عن السهولة نظرا لاحتوائها على كلمات عربية ومصطلحات فلسفية وطبية كثيرة وذلك نتيجة سعة اطلاعه وثقافته فى هذه المجالات. وعادة ما تبدأ قصائده بوصف الطبيعة والربيع والخريف، ويتميز الوصف عنده بالقوة والإجادة. ومعظم تشبيهاته الجديدة وليدة مشاعره وأحاسيسه وقوة خياله. كما تتضمن غزلياته أبياتا لطيفة ومثيرة، يتأثر فيها أحيانا بالشاعر سنائى. ومن أعماله بالإضافة إلى الديوان مثنوى «تحفة العراقين».

عطر العشـــق

أرْسِلى إلينا نسيما من طرتك المسكية اللون ،
وابعثى عطر العشق بمحبة عن طريق رياح الصبا .

وأعيرينا الشهد وامنحينا القُبَل ،
من تلك الشفة التى يكون منها المدد لروحنا إلى الأبد .

وعندما تعلمين أننا متيمون وكلفون بك وقتلاك ،
عيشى من أجلنا يوما وارسلى إلينا فيضا من رحمتك وعطفك .

وقللى من رباط جدائلك ، واجعلى منها سلاسل وقيودا لنا ،
واخطفى السكر من بين الشفتين وارسلى إلينا دِيَّة القتيل .

وأزيحى النقاب عن وجهك، وارسلى من عيوننا
النور الذى استعرناه منك إلى الشمس.

وابعثى أحيانا برسالة مع طيفك فى النوم،
وارسلى أحيانا أخرى سلام الوفاء على لسان الرياح.

إن «خاقانى» يقاسى بسببك ألف ألم وألم كل لحظة،
فارسلى دواء لواحد من تلك الآلام الألف فى النهاية.

وإذا لم تفعلى كل هذا ذات مرة فتكرمى عليه
وأعيدى له قلبه الذى سلبتيه إلى مكانه .

الربيـــــــع

إن الربيع لا يملك واحدا فى المائة من حسنك ،
والزمان لا يملك الطاقة على الظلم مثلك .

ولو بقى عشقك مستقرا فى عمله وتأثيره ؛
فلن يكون لشأن الدنيا استقرار إلى الأبد .

ضعى سيف الجفاء فى غمده فإن هذا الزمن
لا يوجد فيه الفارس المحارب مثلك .

ليس لنا خيار بشأنك ؛ فإن الشرط هو :
أن من يحبك لا يكون له أى اختيار أو إرادة .

ولا يجوز الهروب والفرار منك خاصة فى هذا الوقت
الذى لا يكون فيه للأحرار الطلقاء ضمان وأمان .

فيا قلب الـ «خاقانى» لا تتحدث عن السلامة ؛

فالعشق والسلامة لا يجتمعان معا بأى حال من الأحوال .

لم يوصل سلامـــك

تنفس الصباح ولم يحمل سلامك،
ولم ينقل عبيرك، ولم يوصل رسالتك.

فإما انك لم تُحَمِّل الصباح سلامك،
وإما أن الصباح لم يوصل سلامك حسدا.

لقد كتبتُ رسالةً وحَمَّلْتُها لحمامة ،
فما جدوى أن حظى لم يوصلها إلى شرفتك .

هبت الريح وطوت السحب الفضاء
ولم تحمل العطر من طريقك الملون بلون المسك .

لقد أسلمتُ قلبى وروحى للرياح حتى تحضرها إليك ،
ولا أدرى أيهما لم تحمله إليك من الاثنتين .

لقد ظل قلبى عطشا للعشق كالتراب زمنا طويلا ،
ولم توصل لى الأيام جرعة من كأسك .

إن قلبى طائر عجيب طرق باب شباكك من العشق ،
وهذا العشق نفسه لم يوصل مثل هذا الطائر إلى شباكك .

فيا «خاقانى» ماذا تنتظر وتتوقع من هذا الطالع العنيد المتشبث برأيه
وهو الذى لم يوصل لحلقك طعم المراد وحلاوته .

قلتِ سأحقق لك رغبتك

أعلم أن لكِ دلالا لا تقللى منه،
وأعلم أننى أعانى من الألم فى قلبى ولا تصدقى ذلك.

قلتِ لى سأحقق لك رغبتك ولكن ليس بهذه السرعة.
ومضى العمر، وأعلم أنكِ لم توفى بهذا الوعد ولو قليلا.

لقد منحتنى قبلة، وندمت على فعلتك هذه،
وتعلمين أنك أخطأت، وأعلم أنك لن تفعليها ثانية.

لو قتلتنى مرة بيدك وسيفك،
أعلم أنكِ لن تبللى يدك بدمى.

فانتبه يا قلب «الخاقانى» وفكر فى أمرها كله،
فأنا أعلم أنك لا تفكر إلا فى الرغبة فى وصالها .

كن روح الـــــروح

طالما بقيتُ روحى فسوف تكون حبيبا لى ،
فما هو الذى يكون أحلى من الروح عندما تكون مِلكا لك .

لقد كان القلب قلبك ، ومنذ اليوم وما تلاه
أصبحت الروح أيضا روحك .

إنك تَصنّع مرهما ودواءً لعلاج كل جرح من جراحنا،
بينما أنت الدواء والعلاج الناجع الشافى لكل ألم يصيبنا .

فَأْمرنى بأى شئ تريده ،
لتكون سلطانا علىّ طالما حييت .

ولا تسلب لُبَّنا بالدين والكفر وتخدعنا بهما ؛
فأنت بالنسبة لنا بعد ذلك الكفر والإيمان معا .

رسالة القســـم

قسما بشفتيك الخمريتين وثغرك الفستقى ،
قسما بثلاث قُبَل حلوة .

قسما بقدِّك المدرع المستقيم كالسهم ،
قسما بأهدابك المصوبة كالسهام المشدودة فى القوس .

قسما بالنرجستين والسنبلتين والوردتين
الموجودتين أعلى سروك(*) وصنوبرك (**).

قسما بالجسد الحريرى ، والوجه الديباجى ،
وبالصدر الأترجى(٢٦) وبالذقن التفاحية.

(*) قامتك.
(**) جسدك.

قسما بخمر وردتك الحمراء العنبرية ،
قسما بعرق جسدك العنبرى .

قسما بالدر الندى اللامع بين شفتيك الياقوتيتين،
قسما بالحلى الذهبية فوق جسدك الفضى.

قسما بضياء وجهك الذى يشبه ضياء كوكب الزهرة،
قسما بجمالك الساحر للألباب كهاروت.

قسما بخاتم شفتيك، وطوق جيدك،
فالأول من أوراق الورد ، والثانى من الياسمين.

قسما بهاتين العينين الثملتين كالعروس الحبشية،
وقد نعستا فى مخدع العرس المبارك.

قسما بشحمة أذنك والقرط الذى يتدلى منهما
بين سلاسل شعرك المتموج.

قسما بدموعى الندية ودماء كبدى
التى انسابت حول ثغرك وداخله.

قسما برجاء قلبى وتضرعه فى طلبك،
قسما بذوبان جسدى من الحزن بسببك.

قسما بجديلتيك اللتين هما تعويذتى،
وهما تذكار لأطراف قيدك المسكى.

قسما بالعلامة التى بينى وبينك،
وهى شدو الطيور ونغمات كلامك.

أنه طالما ظل لى قلبى وروح ؛
فإن مكانك سيكون دائما فى قلبى وروحى .

إننى أحبك أكثر من كلا العالمين ،
إننى أحبك أكثر من نفسى .

ابق طويلا .. فلم يبق للخاقانى قلب
بسبب تأخرك عليه .

نظامى الكَنجوى

(توفى عام ٦٠٤هـ)

هو الحكيم جمال الدين أبو محمد الياس بن يوسف بن زكى بن مؤيد من شعراء المنظومات القصصية المعروفين فى إيران. ولد فى مدينة كَنجه حوالى عام ٥٣٥هـ وقضى معظم حياته فى موطنه، إلا أنه سافر مرة واحدة إلى تبريز بأمر من الأتابك قزل أرسلان. قام نظامى فى مستهل حياته بتحصيل علوم عصره المختلفة كالعلوم الطبيعية والدينية والطب والنجوم، كما كان صاحب مكانة رفيعة فى العلوم الأدبية كذلك. ارتبط نظامى بأتابكة آذربايجان وملوك شروان ومراغه المحليين، وألف كتبه باسمهم، ومن جملة ممدوحيه منوچهر الخاقان الكبير ملك اخستان وابنه أبى المظفر الأتابك نصرة الدين أبى بكر من أتابكة آذربايجان، والأتابك شمس الدين محمد جهان پهلوان، والأتابك قزل أرسلان. ولما كان نظامى قد اختار العزلة معظم سنى حياته، فقد كانت علاقته بالملوك والسلاطين علاقة يسودها الاحترام المتبادل.

ومن أعماله الديوان الذى ذكر دولتشاه السمرقندى فى كتابه «تذكرة الشعراء» أنه كان يضم عشرين ألف بيت، وما زال قسم منها

باقيا حتى يومنا هذا. إلا أن أعظم أعماله الشعرية هو منظوماته الخمس التى نظمها على نظام المثنوى، والتى يصل عدد أبياتها إلى ثمانية وعشرين ألف بيت. وتشتمل هذه المنظومات على خمس كتب هى : مخزن الأسرار، وليلى والمجنون، وخسرو وشيرين، وهفت پيكر أو بهرام نامه، واسكندر نامه .

لقد كان نظامى أستاذا بارعا فى نظم القصص، كما كان قدوة لمن جاءوا من بعده، وهو فى نظمه للقصص لا يغفل عن ذكر الموضوعات الأخلاقية والحكم والمواعظ، ويتضح من شعره حسن خلقه وعفته، حيث أنه لم يتخل عن عفة القلم والحياء أثناء ذكره للعشق وأحاديثه. وقد استفاد نظامى من الأحداث والأحوال التى حدثت له وفى عصره حيثما كان، وعبر عن غدر الزمن وقسوة الدنيا، واستطاع أن يصل بالشعر التمثيلى إلى حد الكمال. وكانت قدرته على التخيل فى الوصف قوية جدا، وقد شرح الحالات النفسية للإنسان باقتدار كبير كالانتظار والشوق إلى اللقاء والوصال والهجر. واستخدم فى أشعاره معانى جديدة وتشبيهات مبتكرة. ولما كان نظامى مطلعا على مختلف العلوم فإننا نرى فى أشعاره مصطلحات علمية وفلسفية كثيرة.

وقد أصبحت منظوماته نموذجا يحتذيه كثير من الشعراء الذين جاءوا من بعده، ومن هؤلاء خسرو الدهلوى وخواجو الكرمانى والجامى ووحشى ومكتبى، وغيرهم، حيث قلدوه فى منظوماته الخمس.

ضيف مـــــن؟

أيها القمر لمن ستكون ضيفا وأنت بهذا الحسن والجمال ،
ويا آية الحسن فيمن ستفكر .

إن رأسك تعلوها مظلة ملكية من العنبر (*)؛
فعلى من ستكون سلطانا الليلة بهذه المظلة السوداء .

لا يمكن أن نطلق على أسنانك قطع السكر لأنها أحلى من قصب السكر، ولا يمكن أن نقول إنك الحبيب لأننا لا نعلم فى روح من ستكون.

إنك سوف تذهب، وستفارقنى الروح بسبب هجرك،
يا من ستتسبب فى ألم «نظامى» وعنائه، لمن ستكون دواء وشفاء؟

(*) أى الشعر.

بلبل الروضـــة

تمرد أيها الحبيب وأنا أتحمل دلالك ،

ويتكدر قلبى الصافى من غبارك .

إننى ثمل من عشقك لأنه كالخمر الصافية ،

فلا جرم أننى أعانى من آلام خمارك .

لا تُتَحِّنى جانبا كالأذلاء ؛

لأننى أكون عزيزا بجانبك .

إننى أقضى الزمن فى ظل ظلمك لى ،

فانْظُر إلى الظلم الذى أعانى منه فى زمانك .

واحسرتاه على آمالى إذا ضاعت ،

وأنا أعانى المشقة والمحنة بسبب انتظارك .

فيا «نظامى» .. إن بلبل روضتك

إذا لم يقطف الوردة ؛ فإنه سيعانى من جرح أشواكك.

غرامة وندامـــــــــة

غرامة وأى غرامة تلك الليلة التى أقضيها بدونك ،
ندامة وأى ندامة ذلك النفس الذى أتنفسه بدونك .

أنا أفارقك مضطرا لأنه لا وصال لى معك ،
ولن يقر لى قرار كما هو الحال بالنسبة لطرتك .

فهل أطلب من يشبهك ؟ أنا لا أتصور هذا .
وهل تطلب من يشبهنى ؟ أنا لا آمل هذا .

إنك عندى كبير ، وأنا عندك صغير ،
وأنت عندى عزيز ، وأنا عندك ذليل .

فلا عين أرى بها ، ولا حظ أعثر عليه ،
ولا قدم أخطو بها ، ولا يد أمدها .

أنت لا تفكر فى «نظامى»، وأنا أَجِدُّ فى طلبك،

ففى النهار أكشف عن طالعى، وفى الليل أعد النجوم.

مساعد الضعفـــــــاء

أنت تسألنى عن حالى ، إن حالى أيها الحبيب ما هى إلا :
كبد ملىء بالآلام ، وقلب ملىء بالدماء .. يا أيها الحبيب .

أترك حديث العشق وشجونه لى ،
وكن أنت كليلى ، وأنا المجنون .. يا أيها الحبيب .

فالغوث من صياحى منك كل يوم ،
من هذا الصياح المتزايد عندى ... يا أيها الحبيب .

سمعت أنك تدلل العشاق ؛
فلماذا تخرجنى بعيدا عن دائرتهم ... يا أيها الحبيب .

ألم تقل إذا وَقَعْتَ سآخذ بيدك ؟
فمن هو أكثر وقوعا منى الآن ... يا أيها الحبيب .

سأقرأ عليك غزليات «نظامى»

لأنه لا حيلة تجدى معك مطلقا ... يا أيها الحبيب .

لست أنا ذلــــك

لست أنا من رأيته، أما أنت فما زلت أنت وأفضل مما كنتَ ،
فأنت قد ازددت جمالا ، وأنا فارقنى الشباب.

لا تقل أن الربيع لا يتغير ويتبدل مثلك،
فكل ما يكون جميلا تحمله رياح الخريف مع الأحزان.

أنت «الخليل» وأنا النيران، فلماذا لا أموت أمامك؟
فإذا مت فهذا جائز، أما أنت فينبغى عليك أن تبقى.

ولو دعوتنى بالكسير؛ فلماذا لا أكون كسيرا؟
وجسدى كما ترى حالته، وقلبى كما تعلم حاله.

فارَّغَ قلبى بالإنسانية والرحمة وليس بالأمر،
ولا أقول لك إلى أى حد؛ فيكفى أن تفعل هذا بقدر استطاعتك.

إن «نظامى» استعد وشمر عن ساعديه لخدمتك؛

لأنه يرى مكتوبا على جبينك السعادة له فى الدارين.

ليكن الحزن بسببك مباركا ميمونـــــا

ليكن الحزن بسببك مباركا ميمونا لأنه حزن أبدى ،

ولن أضحى بمثل هذا الحزن فى مقابل ألف نوع من السعادة .

إن الحزن بسببه أفضل من السعادة ، فما رأيك فى هذا القول ؟

إن الحزن بسببه أفضل من لطفه، فماذا تعرف أنت عن هذا الضرر؟

فأنا من أقوم على خدمتك وأنا غير قادر ،

وأنت من لا تعالجنى ، وأنت القادر على هذا .

لقد قلت بلغة الحال أطلب وصالى ،

فعلى أى شىء أعتمد وبأى حياة أطمئن .

وكيف يقبل قلبى بديلا عنك ،

ولا أحد يشبهك وأنت لا تشبه أحدا.

بماذا تأمـــــــر

لقد صرت عاشقا لك فبأى أمر تأمر؟
فهل آتى من طريق الصلاح أم من طريق الافتضاح .

وطالما بقيت روحى وقلبى؛ فإننى سأبحث عن مثل روحك وقلبك،
فإما أن أنزوى بعيدا، أو أن تأتى أنت بجوارى .

لقد ازداد أعدائى بسبب حبى لك ؛
فمن يرحمنى إذا أنت لم ترحمنى ؟

فحيثما أراك تجتمع يدى وطرتك ،
وأنت تعلم أنه ليس للقلم سيطرة على العاشق .

فلا ابتعد عنك أحد كما هو حالى بدونك ،
ولا كنت فى متناول اليد ، ولا كان الصبر على بعادك .

فريد الدين العطـــــار

(توفى عام ٦٢٧هـ)

يعتبر الشيخ فريد الدين أبو حامد محمد بن أبو بكر إبراهيم بن مصطفى واحدا من أكبر متصوفة إيران وفى مقدمة شعراء التصوف الذين وصلوا إلى مقام الإرشاد. وكان أبوه يمتلك حانوتا للعطارة فى شادياخ، وقد امتهن مهنة أبيه من بعده، ومن هنا لقب بلقب العطار. وطبقا لما ذكره هو فقد كان يمارس مهنة الطب فى صيدليته هذه. ويبدو أن العطار قد ترك بعد فترة هذا العمل وابتعد عن الأمور الدنيوية واتجه إلى عالم العرفان، وعبَّر عن أفكاره ومشاعره فى تلك الأشعار الملفتة للنظر التى نظمها.

قضى العطار جزءا من حياته فى الترحال والسفر؛ فذهب إلى مكة، والتقى هناك بمعظم شيوخ الصوفية وأصبح مريدا للشيخ مجد الدين البغدادى المعروف بالخوارزمى.

وللعطار أعمال شعرية كثيرة ما زال معظمها باقيا حتى يومنا هذا، ومن المعروف والمشهور عنه أنه ألف كتبا ورسائل بعدد سور القرآن الكريم. ومن أعماله الشعرية ذلك الديوان الذى يشتمل على قصائد وغزليات، ومثنويات: أسرار نامه، والهى نامه، ومصيبت

نامه، ومنطق الطير، ومختار نامه، ووصيت نامه، وبلبل نامه، وحيدر نامه، وخسرو نامه، وشرفنامه. ومن أهم أعماله النثرية كتاب «تذكرة الأولياء» .

ذكر العطار المعانى العرفانية السامية بأسلوب سهل بسيط، والحقيقة أنه أبدى براعة فى هذا الصدد؛ حيث مزج الحقائق العرفانية بأمثلة متنوعة وحكايات مختلفة جذابة.

داء قلبـــى

إننى لا أعرف دواء لداء قلبى،
وأصبحت ضائعا لا أعرف رأسى من قدمى.

وليس سُكْرى هذا نتيجة تناول الشراب،
فلم أعد أميز بين الصواب والخطأ.

وكثيرا ما تسألنى من أنا،
وأنا لا أعرف الداء من الدواء.

ولا أعرف حلا لهذه المشكلة التى وقعت،
لا فى وحدتى ولا بين الناس.

وكل ما هو موجود بين القمر فى السماء والسمك فى الماء،
لا أعرف أنه منفصل عنى أبدًا.

فأنت جملة ما فى الأصول والفروع ،
أو أكون أنا جملة أو أننى لا أدرى .

لقد صرت حائرا ، وفى حيرتى هذه،
لم أعد أعرف الطريق إلى أى أمر.

إن ما يسعى وراءه «العطار» فى هذا الزمان ،
لا أعرف له مكانا أبدًا.

العطـــــــار

كل من له شأن بعشقك ،
تكون كل شعرة فى رأسه كالشوكة .

فلا تتركنى لحظة أعانى من الألم ،
حتى لا أحتمل عناء هجرك .

لو قلت لى اصبر لغضبت منك ،
فإن الصبر يكون من عمل العقلاء .

لقد سلبتنى قلبى ، وقلت لى : لا تحزن ولا تغتم ،
فلو لم يكن لى قلب لما حدث كل هذا .

إذا لم يبق لدى فى العشق دين ولا قلب ،
فمثل هذا يحدث كثيرا فى العشق .

لقد ضاع القلب من يدى وأخشى على الروح ،
لأن خصلات شعرك التى تغطى عينيك سارقة .

بدون مملحة شفتيك لا أعرف
سوى المشقة والألم فى كلا الكونين .

وإذا كان ثمن طلب القبلة لا يُدفع إلا بالروح ؛
فليس من رأى لى سوى شرائها .

إن نافجة وصالك التى لم يشم عبيرها أحد ،
أنى تكون مكافأة وجزاء لمن لا يستحق.

فيا للعجب .. إذا أراد كل شخص أن يكون «عطارا»
بدون طرتك التى تنثر العنبر .

طرتك المسكيـــة

أيها الحبيب لا تحرق قلبى مثلما حرقت كبدى بطرتك المسكية،
وتوافق معى ، ولا تحرق روحى وتعذبها أكثر من هذا .

ولما كنت أحترق كل يوم وحتى المساء بسبب عشقك،
فلا تحرقنى كل ليلة كالشمعة الباكية حتى السحر.

أنا طائرك الذى أرسلت له الحَبَّة بيدك،
فلا تحرق جناحى فى هواك أكثر من هذا .

لما أَحْرَقَتْ الرغبة فى وصالك الأخضر واليابس،
فلا تحرق منى الأخضر واليابس فى نيران فراقك.

ولما كنت قد سلبت قلبى وأحرقت كبدى،
فتوافق مع قلبى ولا تحرق كبدى أكثر من هذا .

ولا تحرقنى تماما مرة واحدة ،

ولا تحرقنى كل يوم من الفراق بطريقة أخرى .

إن روحى التى احترقت كالشمعة شغفا وحبا لشفتيك ،

لا تحرقها كالعود دون أن تشاهد شفتيك السُّكريتين.

وإذا وقع نظر «العطار» عليك ،

وهذا لا يحدث، وإذا حدث فلا تحرق نظره فى عينيه.

هذا هو الأفضـــــل

إن وجود نار العشق مشتعلة فى روحى هو أجمل شىء،
واشتعال روحى بسبب عشقك كالبركان الثائر يكون أجمل.

كل من يشرب قطرة من كأس عشقك ،
سوف يظل ثملا وحائرا حتى يوم القيامة ... وهذا أفضل.

ومنذ أن ظهرتَ اختفيتُ أنا
ذلك لأن الاختفاء مع المعشوق يكون أفضل .

إن آلام عشقك التى أحرقت روحى
لو كانت كلها سُمّا فهى أعذب من الروح وأحسن.

صب علىّ من الآلام والعذاب ما شئت ولا تداونى؛
ذلك لأن داءك خير عندى من دوائك .

أنت لا تتكيف معى إذا لم تحرقنى،

إن الاحتراق فى عشقك يكون أجمل وأحسن من ذلك.

لما كان وصالك لا يتأتى لأحد،

فإن التوجه ناحية جدار الهجران يكون أجمل.

إننى أعانى دائما من قحط وصالك،

فلا جرم أن تفيض العين طوفانا... وهذا أفضل.

إن «العطار» الباكى كالشمعة لفراقك كل ليلة

حتى السحر يكون أفضل وأحسن.

جلال الدين الرومـــــى

(توفى عام ٦٧٢هـ)

هو مولانا جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن حسن الخطيب، المعروف بـ «مولوى» أو «ملاى روم» من أعظم الشعراء الصوفية فى إيران فى القرن السابع الهجرى. ولد جلال الدين فى مدينة بلخ ، ولكنه اشتهر باسم «الرومى» أو «مولانا الرومى» بسبب طول إقامته فى مدينة قونية.

وجلال الدين هو ابن محمد بن حسين الملقب ببهاء الدين ولد الذى ينتسب من ناحية أمه إلى أسرة خوارزمشاه . وكان بهاء الدين ولد من المقربين فى بلاط السلطان محمد خوارزمشاه ، وقد توجه لأداء فريضة الحج عن طريق بغداد فى عام ٦١٠هـ والتقى فى نيشابور بالشيخ العطار، وأهدى الأخير كتابه «أسرار نامه» إلى جلال الدين الذى كان ما زالا صبيا، وبعد أن أدى بهاء الدين فريضة الحج اتجه إلى «لارنده» وكانت مركزا من مراكز حكومة السلاجقة فى آسيا الصغرى، وأقام بها سبع سنوات، وسافر بعد ذلك إلى قونية بدعوة من السلطان علاء الدين كيقباد أحد الملوك العظام الراعين للعلم، وقضى بقية عمره هناك فى الوعظ والإرشاد إلى أن توفى فى عام ٦٢٨هـ.

جلس جلال الدين محمد مكان أبيه بناء على توصية منه ونزولا على رغبة علاء الدين وكان عمره آنذاك أربعا وعشرين سنة، وأخذ يرشد الناس ويربى المريدين، وكان يداوم على حضور مجالس درس سيد برهان الدين محقق الترمذى وهو من تلاميذ بهاء ولد، وأخذ منه الإجازة بالقيام بالإرشاد، وقد عقد بعد وفاة برهان محقق مجالس للوعظ وأخذ يعلم التلاميذ والمريدين، إلا أنه التقى بالصدفة فى عام ٦٤٢هـ بالمتصوف الكبير شمس الدين محمد التبريزى.

وبعد هذا اللقاء ولع مولانا بشمس الدين فترك المنبر والمحراب وفارق الجميع، وقطع صلته بالماضى، وانخرط فى سلك مريدى شمس. وقد غادر شمس تبريزى قونية سنة ٦٥٤هـ ولم يعد إليها بعد ذلك. وقد اضطربت أحوال مولانا نتيجة هجر شمس تبريزى له فاعتزل الناس ، وأصبح مريدا لحسام الدين چلبى فترة، وشغل بنظم الغزليات والمثنوى إلى أن مات عام ٦٧٢هـ.

ومن أعمال المولوى نذكر «المثنوى» وهو فى ستة مجلدات، والرباعيات، وديوان الغزليات المعروف بديوان شمس. ومن أعماله النثرية: كتاب فيه ما فيه، والمجالس السبعة، والمكاتيب.

وقد بلغ الشعر الصوفى أوجه على يد المولوى، وقد أثر معنويا وأدبيا ليس فقط فى إيران والهند وآسيا الصغرى بل أيضا على بلاد الغرب، حيث ترجمت أعماله إلى لغات مختلفة.

العشق الحقيقـــى

إن تلك الروح التى لا يكون العشق الحقيقى شعارا لها ،
يكون فناؤها أفضل ؛ لأن بقاءها ووجودها ليس سوى عار .

كن ثملا فى العشق فالوجود كله عشق ،
وبدون العشق وشئونه وشجونه لا سبيل إلى الحبيب .

يقولون ما العشق؟ قل: هو ترك الإرادة،
وكل من لم يتخلص من إرادته لن تكون له إرادة مطلقا.

العاشق سلطان ، والعالمان بالنسبة له نثار (٢٧)
والسلطان لا يلتفت مطلقا إلى النثار.

إن العشق والعاشق هما الباقيان إلى الأبد؛
فلا تربط قلبك بسواهما، فسواهما ليس إلا شيئا مستعارا.

فإلى متى تحتضن المعشوق الميت،

احتضن الروح، فالروح لا حدود لها.

لا تذهب بدونـــــى

لا تتبختر بدلال يا روح الروح ولا تذهب بدونى ،
ولا تذهب إلى البستان بدونى يا حياة الأحبة .

ولا تَدُرْ بدونى يا أيها الفلك، ولا تسطع بدونى يا أيها القمر،
ولا تذهبى بدونى يا أيتها الأرض، ولا تمضى بدونى يا أيها الزمان.

فهذه الدنيا معك حلوة ، وتلك الدنيا معك جميلة،
فلا تكن فى هذه الدنيا بدونى، ولا تذهب إلى تلك الدنيا بدونى.

ويا أيتها العين لا تنظرى بدونى، ويا أيها اللسان لا تتحدث بدونى،
ويا أيها البصر لا تبصر بدونى، ويا أيتها الروح لا تذهبى بدونى.

يبدو الليل أبيض من ضياء وجهه القمرى ونوره،
وأنا الليل وأنت قمرى ؛ فلا تسطع فى السماء بدونى.

لقد أمِن الشوك واطمأن من النار فى حماية لطف الوردة،
وأنت الوردة وآنا الشوكة ؛ فلا تذهب إلى الروضة بدونى.

ويل لمن يسلك هذا الطريق بدون هداية منك،
ولما كنت أنت دليلى ؛ فلا تذهب يا من لا دليل لك بدونى.

وويل لمن يسلك هذا الطريق بلا علم ومعرفة،
فالعلم عندك ؛ فلا تذهب يا من لا دليل لك بدونى.

الآخرون يزعمون عشقك وأنا سلطان العشق،
فلا تذهب بدونى يا من أنت أسمى وأرفع من وهم هذا وذاك.

سر العشـــــق

لو أنك تعلم شيئا عن سر عشقه؛
فهب الروح فى العشق وانظر إلى الحبيب.

العشق بحر أمواجه خفية ،
وماء هذا البحر نار، وأمواجه جواهر.

جواهره أسرار ، وفى كل ناحية منه،
يكون للسالك فى طريق المعنى دليل ومرشد .

إن الخروج من كلا العالمين كالشعرة ممكن،
لو علمت سر هذه الشعرة.

لقد وقعتُ بالأمس ثملا فى منتصف الليل،
عندما مر على ذلك القمر الساطع ؛

فرأى وجهى الأصفر الشاحب فى ضوء القمر،
عندئذ بلل وجهى الأصفر بالدموع.

وعطف علىّ وأعطانى جرعة من وصاله،
فبث فى كل شعرة من شعرى روحا آخرى وأحياها.

ومع أننى قد سقطت ثملا من الشراب،
إلا آن كل شعرة من شعرى صارت وكأنها عين.

وأخذت أنظر فى وجنتى تلك الشمس التى تضئ الكونين،
وكأننى ثمل لا أدرى من أمرى شيئا.

جلال الدين الرومى

قال معشوق لعاشق : يافتى
لقد رأيت فى الغربة كثيرا من المدن .

فقل لى : أى مدينة من هذه المدن أجمل من غيرها ؟
قال : إنها المدينة التى يقيم فيها المحبوب .

إن المكان الأجمل فى كلا العالمين
هو ذلك المكان الذى يكون لى معك فيه قصة حب وهيام .

فخر الدين العراقــــى

(توفى عام ٦٨٠هــ)

هو فخر الدين إبراهيم الهمدانى المتخلص بالعراقى أحد العارفين وشعراء الغزل فى القرن السابع الهجرى . ولد فى همدان وسافر إلى الهند فى شبابه ، وانضم إلى تلاميذ الشيخ بهاء الدين زكريا أحد كبار الصوفية فى المولتان، وقد انتخب ليحل محله بعد وفاته، إلا أنه هاجر من الهند نظرا لحسد الآخرين، واتجه إلى مكة. والتقى فى بغداد بالشيخ شهاب الدين السهــروردى، ثم سافر من هناك إلى آسيا الصغرى وأخذ يداوم على حضور مجالس دروس الشيخ صدر الدين القونيوى فى قونية، وألف كتاب «اللمعات» وقدمه للشيخ صدر الدين. وقد وجد العراقى فى بلاد الروم مريدين كثيرين، وبعد فترة غادر قونية إلى مصر ومنها إلى دمشق، وبقى هناك إلى أن توفى عام ٦٨٠هـ.

لقد كان العراقى أحد شعراء الغزل والتصوف المعروفين، وتصل أشعاره إلى حوالى ٥٨٠٠ بيت تضم غزليات عشقية وصوفية وترجيعات ومثنوى. وقد نظم مثنوى «عشاقنامه» بأسلوب «حديقة الحقيقة» للشاعر سنائى.

لا أرى

لا أرى لى روحا بدون عشقك .. لا أرى،
ولا أرى حبيبا لقلبى غيرك .. لا أرى.

لا أجد فى نفسى صبرا وراحة .. لا أجد،
ولا أرى لطفا منك وإحسانا .. لا أرى.

فأرنى وجهك من باب اللطف ، لأن الألم الذى ألَّم بى،
لا أعرف له دواء سوى وجهك .. لا أعرف.

وتعال إن أردت رؤيتى ، فبعيدا عن وجهك الجميل؛
لا أرى لى بقاء طويلا .. لا أرى.

وخذ بيدى أيها الحبيب فقد سقطت فى دوامة،
لا أرى لها نهاية قط .. لا أرى.

وتعال من باب اللطف والمودة ورتب لى شئونى؛
فأنا لا أرى لنفسى ترتيبا بدونك .. لا أرى.

ودُلَّ «العراقى» على أعتابك ، لأننى لا أرى
مثيلا له فى العالم فى حيرته ودهشته .. لا أرى.

الحيرة والسُكْـــــــر

ها قد خرج الساقى من خلف الأستار والكأس فى يده؛
فمزق حجبنا ، ونقض توبتنا أيضا.

لقد بدا بوجهه الجميل فصرنا جميعا ولهى ،
ولما لم يبق منا شئ جاء وجلس معنا.

وحلت طرته العقد فتحررت قلوبنا من قيودها ؛
وحملت الروحُ القلبَ من الدنيا وقيدته بطرته.

وبقينا فى شباك طرته حيارى جميعا،
وسكرنا جميعا من كأس خمره الياقوتية.

وعندما ضاع القلب تشبث بطرته،
وغرق من الحيرة كل من اهتدى إليه.

ولما أصبحت سلسلة جدائله قيدا للقلب الحائر،
تحرر من العالم وتخلص من وجوده.

وأنا أحيانا أكون ثملا، وأحيانا أخرى أكون مفيقا من غمزة وجهه،
وأحيانا أكون معدوما، وأحيانا أكون موجودا بسبب طرة ياقوته.

الكفر والإيمـــــان

أيها الحبيب لقد خُلق جسدك من الروح،
وشاع الإيمان وانتشر من كفر جدائلك.

هل سمعت عن جمال يوسف المصرى ؟
لقد جعلوا جمالك مضاعفا بالنسبة له.

وقطفوا وردة من بستان وجنتك،
وجعلوا منها جنة الخلد.

وثار الغبار من ديارك،
فجعلوا من هذا التراب ماء الحياة.

لقد أراق الوجدُ بك دماءَ الأتقياء،
فصنعوا من هذه الدماء الياقوت والمرجان.

لأكن فداء لك كلى وروحى أيضا ،
فقد خلقت كلك من الروح .

لا أدرى كيف يمكن أن أكون معك لحظة ؟
وقد جعلوا لك حراسا من الملائكة.

فإلى متى أتجرع آلامك على الدوام ؟
وقد خُلقت أنا نفسى ثملا وحائرا.

إن «للعراقى» سعادة فى عشقك،
ومن هذه السعادة خلقوا وجه الإنسان.

الوحـــــــدة

تعال .. فبدونك ضقت ذرعا بالحياة من الوحدة ،
ولم تعد لى قدرة على الصبر والتحمل أكثر من هذا .

تعال .. فلا رغبة لروحى فى الحياة بدونك ،
تعال .. فلا إبصار لعينى بدونك.

لو انقلبت الدنيا رأسا على عقب بسبب أحزانك ؛
فأى حزن سيصيبك وقد تعودتَ على الوحدة .

ويغطى النقاب وجهك فى كل الأحوال ،
وأنت تخفيه عن العالم من كثرة ظهورك .

ولا يليق بعروس حسنك أن تظهر مطلقا،
وتتجلى إلا للعين المشاهدة.

إن من لم يشاهد وجهك من العشق فهو فى عداد الموتى ،
ولن يبقى أحد إذا أظهرت جمالك .

لماذا تجلس وراء الستار ، وماذا يحدث لو
خرجت لحظة لتسأل عن قلب العاشق المسكين.

انظر إلى معذَّب القلب المحطم الفؤاد ،
ربما ترأف بحاله وتعطف عليه.

إن قلب «العراقى» المسكين مشتاق لرؤيتك،
وقد عقد الأمل على ذلك ، فمتى تزيح النقاب عن وجهك؟

السعدى الشيرازى

(توفى عام ٦٩١ أو ٦٩٤هـ)

هو مشرف الدين مصلح بن عبد الله السعدى الشيرازى أحد عظماء ونوابغ الشعر والأدب الفارسى فى إيران . ولد فى شيراز عام ٦٠٦ تقريبا وبدأ دراسته فى نفس تلك المدينة، ثم انتقل إلى بغداد وقام بالتحصيل هناك فى المدرسة النظاميـــة .

وقد قام السعدى برحلات طويلة نظرا لولعه بالسفر والسياحة وأيضا بسبب النزاع الذى كان قائما بين الخوارزمشاهيين وأتابكة فارس وهجوم المغول، وقد استغرقت رحلاته هذه حوالى ثلاثين أو أربعين سنة، طاف فيها بغداد وسوريا ومكة حتى وصل إلى شمال أفريقيا، كما تحدث فى مؤلفاته عن سفره إلى كاشغر والهند وتركستان أيضا .

عاد السعدى بعد هذه الرحلة الطويلة إلى شيراز وبقى بها عندما رأى أنها تعيش فى استقرار وأن أهلها يعيشون فى رفاهية وبحبوحة من العيش، وبدأ يؤلف كتبه، وقام بمدح الأتابك أبى بكر بن سعد بن زنكى (٦٣٢ ـ ٦٦٨) وابنه سعد بن أبى بكر الذى أخذ تخلصه أو لقبه الشعرى منه. ونذكر من ممدوحيه الآخرين غير

الأتابكة بعض العظماء والعلماء من أمثال صاحب الديوان شمس الدين وأخيه عطا ملك الجوينى. وكان السعدى على علاقة وطيدة بشعراء من أمثال همام التبريزى ومجد همكَر، وقد أثنوا عليه ومدحوه.

ويمكن اعتبار السعدى واحدا من شعراء الطبقة الأولى فى إيران، كما أنه من الكتاب البارزين ومن أساتذة النثر المسجوع. وكان السعدى ماهرا فى نظم فنون الشعر المختلفة مثل: القصيدة والغزل والقطعة والرباعى والترجيع بند والتركيب بند. إلا أنه يمكن القول بأن الغزل قد أصبح على يد سعدى فى مقدمة أغراض الشعر الفارسى، وخاصة أن أشعاره فى الغزل قد وصلت إلى أوج لطفها وجمالها وتميزت بالسهولة وبصنعة السهل الممتنع.

أما أعماله فهى عبارة عن ديوان الغزليات الذى يضم الطيبات والبدايع والخواتيم والغزليات القديمة. وكذلك البوستان، والكَلستان، والقصائد، والملمعات، والرباعيات، والترجيعات. ويطلق على جملة أعماله هذه اسم «كليات سعدى».

ولما كانت أعمال السعدى هى نتاج تجاربه ومشاهداته خلال رحلاته الطويلة، فإنها تعتبر مفيدة جدا ومليئة بالمعانى والأفكار وعلى درجة كبيرة من الأهمية؛ حيث تضمنت موضوعات أخلاقية ومواعظ وحكم ، وكذلك أفكارا فى العشق والجمال . وقد ترجمت أعمال سعدى ومؤلفاته إلى لغات أجنبية كثيرة مما أدى إلى ذيوع صيته وشهرته فى العالم . كما طبعت أعماله أيضا فى كل من طهران والهند عدة مرات.

غريب فى المدينـــة

نحن غرباء فى هذه المدينة وفقراء فى هذا المُلْك؛
وقد أصبحنا أسرى أنشوطتك وصيدا أسيرا فى مصيدتك.

إن باب الآفاق مفتوح ولكنه مغلق أمامنا ؛
ذلك لأن أطراف جدائلك تقيد أقدام قلوبنا كالسلاسل.

إننى لا أستطيع أن أبعد نظرى عنك طوال العمر ؛
فلا تبعد نظرك عنى من جديد يا أمير الحسان.

ومع أن فى حاشيتك من يكون أجمل منا بكثير ؛
إلا أننا لا نعرف نظيرا لك فى كل أنحاء العالم.

لقد مر بخاطرى أن أضحى بروحى من أجلك ذات يوم ؛
ولكنى فكرت من جديد فى أنها متاع حقير وزهيد .

إن هـذا الحـديث الـذى أتحدث بـه إنمـا هـو بـسبب مـا أعـانيه من آلام،

وطالما أنك لا تضع البخور على النار فلن تتصاعد منه الرائحة الطيبـة.

وإذا قلت أننى لست مضطرب الحال،

فإن لون وجنتى سيعبر عما أخفيه فى ضميرى.

النظر إلى الوجه الجميل

إذا كنت غافلا عن حال الأحبة متجاهلا إياه أيها الحبيب ؛
فليس من السهل علينا أن نغفل عنك أو نتجاهلك .

إنك تتطلع إلى جمال طلعتك فى المرآة ،
وهذا يفسر ما أصاب نافذى الصبر .

تعال .. فالوقت وقت الربيع ، حتى نجتمع سويا ،
ولا نترك الحدائق والصحارى للآخرين .

لماذا لا تنظر أيها الحبيب إلى قامتك السروية المشوقة
بدلا من أن تنظر إلى شجرة السرو العالية على شاطئ الجدول.

إن الشمائل والصفات الجميلة التى يتصف بها الحبيب ،
لا يمكن أن يعبر عنها اللسان البليغ الفصيح .

من قال إن النظر إلى الوجه الجميل خطأ ؟
إن الخطأ كل الخطأ ألا ينظر المرءُ إلى الوجه الجميل .

وإذا تناولتُ السم من يدك حبا ومودة ،
فإنني سوف أتجرعه كالحلوى عن طيب خاطر .

إن من يوجه اللوم إلى «وامق» (٢٨) جهلا ،
هو حبيبى الذى لم ير وجه "عذرا" مطلقا .

لقد اشتعلت النيران فى جسدى خفية وأنت لا تدرى ،
ألا ترى أن دموع العين تبدو واضحة جلية ؟

ألم أقل لك يا «سعدى» إن قلبك أصبح نهبا،
لأنك عندما تسلم قلبك للعشق يكون نهبا للأحبة؟

وما زلتُ مع كل هذه المعاناة أتطلع إلى أمل الشفاء؛
فلابد لليل الحالك الظلمة أن ينجلى.

التأوهـــــات

إننى أحب هذه التأوهات التى تحرق القلب بنارها،
طالما أننى أستطيع مهما كانت شدتها أن أقضى الأيام وأعيشها.

وقد ينقضى الليل بطوله وأنا أنتظر وجه حبيبى الصبوح ؛
لأن صباحه ليس سوى الصباح الذى يضىء العالم.

ما أسعدنى إن رأيت وجهه الذى يزيد من حبى له ،
عندئذ سأقدم الشكر حتى يوم القيامة لحظى وطالعى السعيد.

وإذا تجنبتُ لوم اللائمين ؛
فإن شجعان الرجال هم الذين يتقون بأرواحهم سهام القادحين.

وليس لطالبى النجاح من وسيلة سوى تجشم الصعاب ،
كما أنه ينبغى على طالب الربيع الصبر على برد الشتاء .

إن العقلاء الحريصين غافلون عن سر ليلى،

ولم يظفر بهذه الكرامة إلا المجنون الذى أتلف كيانه وأحرقه.

إن لعشاق الدنيا والدين خاصية،

لا تتوفر لمن يحرص على جمع المال واكتساب الجاه من الزاهدين.

أَوّقع غيرى فى شباكك؛ فأنا عبد مطيع لك ،

ولا حاجة لوضع القيود فى أقدام من هو رهن إشارتك.

فيا «سعدى» لقد مضى الأمس، وما زال الغد غيبا؛

فاغتنم الفرصة اليوم بين هذا وذاك .

القتل بدون جريـرة

أيتها الحسناء القمرية الوجه لا تشيحى بوجهك الجميل عنى،
وأى صواب ترينه فى القتل بدون جريرة.

جئت لى فى الرؤيا بالأمس وارتميت بين أحضانى ،
ولا أظن أن ذلك يتحقق إلا فى الأحلام.

أنا أحترق من داخلى ، والعين باكية دامعة ،
فكأن نصفى فى النار ، والنصف الآخر فى الماء.

كل من يطرق بابى أظنه الحبيبة ،
فالعَطِشُ المسكين يظن السرابَ ماء.

إن أرواح الضعفاء المساكين تكون هدفا لسهامها ،
ودماء المساكين تكون خضابا لأصابع يديها .

فهى تقول كلاما وتسلب القلوب ،
وتلقى بالملح على الجراح ، وتشوى الناس كالشواء .

من الظلم أن يغطى مثل هذا الجسد قميص ،
من الجور أن يغطى مثل هذا الوجه نقاب .

خذ العرق المتصبب من شحمة أذنها فى حاشية قميصك ؛
حتى تتشبع ملابسك بأريج ماء الورد .

المحبوبة والشمعة فى يدها فتنة ،
وقد ثقلت رأسها من النوم وثملت من الخمر .

لا تغطى وجهك من الصباح وحتى المساء ؛
حتى لا توارى جمال الشمس وضياءها .

فيا «سعدى» إذا أردت أن تضمها إلى صدرك كالربابة ؛
فلابد أن تفرك أذنيها كما تفعل بالربابة.

لا تكشفى عن وجهك

أحب أن تغطى وجهك الذى يشبه القمر ،

حتى لا ينظر إليك الناس من فوق كل سطح ومن خلف كل باب

كما ينظرون إلى الشمس.

إن الجرم لا يكون غريبا إذا شاهدت وجهك فى المرآة ؛

فانخلع قلبك من صدرك.

فى وقت الضحك أو الكلام تظهر أسنانك الجميلة ،

وكأن الشهد يسيل من قطع السكر هذه عند ضحكتك.

إننى لا أتأوه من الشوق إليك فى وقت السحر ،

حتى لا أنغص عليك نومك فى السحر وأوقظك .

إن أى زينة لن تزيد من حسنك وجمالك ،
ولن تستطيع أى ماشطة أن تزين وجهك أفضل من هذا .

لقد قلتُ مرارا وتكرارا : لا تكشفى عن وجهك أمام كل شخص ،
حتى لا تتفرس فى وجهك كل عين غير بصيرة .

وأكرر القول بأن هذا الشكل وذلك المعنى اللذين تتمتعين بهما ،
لا يمكن أن يراهما إلا أصحاب النظر .

ولابد أن أفسح الطريق لمائة من أعدائى من أجلك ،
حتى أجد بينهم صديقا ينقل إلىّ أخبارك .

ولن يصعب على أن يطاح برأسى ،
يا أيتها الرفيقة فى سبيل ألا تضطرب شعرة من شعر رأسك .

وليس محزنا أن يرقد «سعدى» فوق التراب ،
لكنه لا يريد أن يكون عقبة فى طريقك.

الملح والجـــــرح

الجلوس فى الخلوة حرام بدونك،
ومن الظلم إغلاق الباب أمام مثل هذا الوجه .

عندما تتاح السعادة وتتشبث اليد بأذيالها ؛
فإنها تضيع إذا تخليت عنها وتركتها.

أى رأى هذا فى إراقة دمى؟
وأى ملح هذا الذى ألهب جرحى؟

كل من تصيبه سهامك لا تقوم له قائمة،
وكل من تستهدفه أنشوطتك لا يمكن الفكاك منها.

لقد ارتبطنا بك فجأة ،
ونحن فى هذا كالطائر الذى وقع فى الفخ وأنت مستقرة كالقمر.

لقد ولىَّ الصبر وفرَّ هاربا ،
وأصاب البلاءُ العقلَ ؛ فانزوى فى ركن بعيد.

من الممكن أن أتحمل عناء المذلة وقسوتها ؛
ولكن لا يمكننى نقض عهد المحبة .

وهذا الرمق الذى تبقى من وجودى ،
لا يمكن القول بأنه موجود فى وجودك.

ولو كانت معرفة الطريق بالمعنى فقط ؛
لما سجد للصنم عابد أصنام مطلقا.

ولن يرغب فى سكر الخمر،
كل من كان مثل «سعدى» ثملا من العشق.

ضاع الصبـــــر

لم نسمع مرة ثانية عن مثل هذه الفتنة التى ثارت ،
عندما خرج الحبيب من المنزل وازدانت به الأسواق.

ولم يتخيل أحدكم هو جذاب وجميل ،
ولم يصف أحدكم هو مقبول وحلو .

لقد ضاع الصبر والقلب والدين ، وتلاشت الطاقة والراحة ،
ويبدو من الجرح الذى سببه أن ساعده قادر وقوى.

بالله عليك لا تغطى وجهك وتحجبه عن النساء والرجال ؛
حتى يشاهدوا صنع الله من اليمين واليسار .

إن العين التى تراك والتى لا مثيل لقدرتها
ولا تندهش، لا يمكن القول بأنها عين مبصرة.

أى فائدة من الدنيا وأى نفع من الفردوس؟
إنه لا يمكن طلب حاجة من فضل الله أفضل منك.

إن البكاء حزنا عليك ليس عيبا؛
لأن الألم الذى أعانيه لا أظن أنه عندى وحدى.

وإذا لم نتوافق مع جورك وجفائك، فمع أى شئ نتوافق؟
مثلنا فى ذلك مثل الجرأة والقوة، فما من سبيل أمامهما سوى المداراة

إن الصبر على فراق وجهك ليس صبرا وإنما هو مؤنس،
والسم من يدك ليس سما وإنما هو حلوى.

إن هذا الفم والشفتين والأسنان التى تملكها،
هى الحياة والنعيم، ولكن من ذا الذى يستمتع بها؟

لو أرقت دمى وكل دماء العالم؛
فإننا سنقر بأن الذنب ذنبنا وليس ذنبك.

فيا «سعدى» إنه لا يمكنك الاستسلام والخضوع،
سواء أحنيت رأسك أم لم تحنها، ولترفع يدك بالدعاء.

حـــــل المشكلات

رؤياك فيها حل للمشكلات،
والصبر على بعدك وفراقك خلاف الممكنات .

وجبهة وجهك البديع ،
هى عنوان كمال حسن الذات .

ولو رأى الخضر[٢٩] شفتيك ،
لقال إنهما نبع الحياة [٣٠].

ضعى فمك على كأس الماء،
وابعديه عنها فقد أصبحت كأسا من السُّكر النبات.

أخشى ان تَدّعى ذات يوم بتأثير سحر غمزاتك،
صنع المعجزات .

السم من يديك دواء ناجع،
وقول الفحش من فمك يعد من الطيبات.

لم أر وجها بجمال وجهك؛
فإنه وحش المدينة المفترس الذى يبطل الصلوات.

إن عهدك فى العشق وتوبتى منه،
أرى أنهما غير مستقرين وهما بلا ثبات.

انظرى إلينا فى النهاية نظرة ،
لتكون طهرا لدولة الحسن هذه وزكاة .

وإذا احترق العَطِش الظمآن فى الصحراء ،
فما الفائدة إذا كانت الدنيا كلها نهر فرات.

إن «سعدى» لا يحزن من الفناء والعدم ؛
فتضحية العاشقين بأرواحهم هى النجاة كل النجاة .

القلب والحمامـــة

واحسرتاه على العين التى لم تشاهد وجهك،
أو شاهدته ونظرت من بعده لوجه آخر .

لو شاهد مدَّعو التصوير ملاكا ،
لعلموا لماذا مزق المجنون ثيابه.

من ذا الذى فصّل قميصا لشمس جماله [*]،
من المسك الأسود [**] كنصف دائرة .

أيها العاقل إذا وطأت قدمك حجرا ،
فاعلم لماذا قطَّع «فرهاد» [٣١] الأحجار ونحتها .

(*) أى وجهه.
(**) أى شعره.

إن من لا يرأف بقلب «فرهاد» المسكين ويشفق عليه،
لابد أنه لم يستمع إلى حديث «شيرين» وكلامها الحلو.

لا يوجد قلب فى المدينة لم يخفق ويرفرف كالحمامة فى صدر صاحبه،
بسبب استدارة قوس حاجبك.

لا يمكن تصور أنك كالشجرة الباسقة الجميلة،
والواضح أن أحدا لم يقطف ثمارك قط.

إن تفسير قدرة الله التى لا مثيل لها فى الخلق،
تبدو واضحة فى وجهك عندما تنعكس صورته على صفحة المرآة.

لا أمل ولا رجاء لنا إلا إياك ،
فقدم الحلوى لمن لم يذق طعم المحنة والألم.

ومع كل هذا الوابل من المصائب الذى انهمر على رأس «سعدى»،
فإنك لم تبتسم فى وجهه حتى مع انهمار الدموع من عينيه.

دوام السعادة والحـــزن

إن استغاثتى وصياحى بسبب فراق الحبيب ،
وأنينى وشكواى بسبب أحزان الحبيب .

إن وجهى يتلون بلون الدم ،
بسبب فراق وجه ذلك الحبيب الذى يشبه القمر .

ودماء قلبى تنزف من عينى،
وتسيل حولى بسبب هجره .

لقد تجاوزت آلام قلبى كل الحدود ،
ولم يقر لروحى قرار بسبب فراقه .

إن أحدا لا يعرف شيئا عن أحزانى ،
آه .. إن هذه الدنيا لن تدوم .

أنا فى عذاب من فعل الزمان وصنيعه ،

وأنا فى حزن دائم من تلك الروح وذلك القلب .

فيا «سعدى» لماذا تشكو من الحبيب؛

طالما أن السعادة والحزن لا يدومان ؟

الطالب والمطلـــــوب

إن جذور شجرة السرو مغروسة فى الطين ،
أما سروتنا فجذورها ثابتة فى القلب راسخة فيه .

كل من تقع عينه على مثل هذا الوجه ،
يكون طالعه سعيدا وفأله حسنا .

إن أصدقائى المخلصين ينصحوننى ؛
وهم فى ذلك كمن يلقى حجرا فى الماء بلا طائل .

يا أخى نحن غارقون فى الدوامة ،
ومن يتهمنا بالإثم يقف بعيدا على الساحل .

إن للشوق قوة تفوق قوة الصبر ،
وللعقل مع العشق دعوى باطلة .

إنهم ينسبون الغفلة للعاشق ،
والحقيقة أن الغافل هو من لا معشوق له .

أنظر إلى العَطِش الذى يتعجل شرب الماء ،
كذلك الحال بالنسبة للمحب الذى يتعجل لقاء محبوبه .

إن أول منزلة فى طريق العشق هى :
بذل الغالى والنفيس وترك الشهرة والعار .

فلو مات الطالب من أجل مطلوبه ؛
يكون ذلك سهلا يسيرا ؛ فالحياة بدونه أمر صعب .

كان عاشق يقول وهو يبكى على مهل :
إن الروح ترتاح وتهدأ طالما كان الحبيب هو القاتل .

فيا «سعدى» إن الرأى عند العشاق
هو أن الخلق هم المجانين، والمجنون هو العاقل.

بئر بابـــــل

إن منع العين من رؤية الحسان أمر صعب ،
وكل من ينصحنى بذلك تكون نصيحته عبثا لا طائل منها .

فلو كان هناك خوف كثير فى القلب من الحبيب الجميل ؛
فإن رؤية وجهه فى الصباح يجعله صباحا سعيدا .

فهو من تقبع فى بئر ذقنه قلوب العاشقين المساكين ،
كالمليك الحبيس فى سجن بئر بابل .

لقد زعمتُ الزهد والورع قبل ذلك ،
ولكنى أقول الآن إن كل ما زعمته كان باطلا .

فالسم القاتل عند العقلاء على الرغم من أنه يميت ،
إلا أنك عندما تأخذه من يد الحبيب يكون فيه الشفاء العاجل .

إننى لن أتزحزح قيد أنملة عن موطن الحبيب ودياره ،
وليعذرنى الأصدقاء المقربون لأن أقدامى مغروسة فى الطين .

اصبر حتى يقول المجانين لكل الحكماء والعقلاء :
إن ترك الأحبة غير ممكن حتى تنصح به أيها العاقل .

إن من يدعى أن النظر فى وجه الحسان خطأ فادح،
إنما ينظر هو إلى نفس هذا الوجه ولكنه غافل عن المعنى.

فيا أيها الحادى سر ببطء، فراحة روحى فى هودجها،
والدواب تحمل الأحمال على ظهورها بينما نحملها نحن فى قلوبنا .

ولو حدث فراق بيننا وبين الحبيب فى مائة منزل على الطريق؛
فإن منزله ومكانه سيكون فى أرواحنا العاشقة.

فيا «سعدى» إن محبة أى شخص أمر سهل يسير؛
لكن التخلى عن المحبة بعد رسوخها أمر صعب عسير.

عيد وصال الحبيـــب

الحق أن ليلتنا اليوم هى نهار مضئ،

إنها عيد وصال الحبيب رغم أنف الأعداء.

فهل هذه هى نسائم الجنة تهب أم هى نسائم البستان؟

أم هى رائحة أنفاسك العطرة أو عبير زهرة اللادن؟

لا تكون عينى التى فى رأسى وروحى التى فى جسدى بالنسبة لك،

أعز عليك من جسدك وروحك مطلقا .

إننى أضع عنقى تحت أمرك وأُسِرً لك فى أذنك بالقول ،

حتى يظل فكرى مرتبطا بأُذنك وجيدك .

أيها المليك لا تبعد الدرويش المسكين عن ظلك،
فهو مضطر إلى قطف العناقيد حيثما وُجدت الثمار.

لا مجال لفراقى بعيدا عنك فى الدنيا،
فالعالم فى عيون المحزونين ضيق كسم الخياط .

إن العاشق لا يقوى على الهرب والفكاك من قبضة الشوق ؛
فحيثما ذهب تعلق بأذياله .

لم تكن "شيرين" تخرج من منزلها دون رقيب ،
لأنها تعلم أن السُكَّر يجذب إليه الذباب .

فظلم الرقيب المنافس ولوم أهل الزمان لى،
هو نفسه حكاية البقرة قارعة الطبول.

ويُحسد المليك على هذا الصيد،
لأن للصقر مأوى هو قلب «سعدى».

وهذا القلب الرقيق كم يخفى من حديث العشق وشجونه ،
وكل ما تخفيه خلف الزجاج يكون واضحا جليا.

عبير وصال الأحبة

هل هذا النسيم هو نسيم ربيع البستان؛
أم هو عبير وصال الأحبة؟

إن هذا الخط الملون يسلب القلوب،
وكأنه الخط الموجود على وجه الحبيب .

أيها الطائر يا من وقعت أسيرا فى شرك القلب ،
عد مرة ثانية فالوقت وقت الأوبة للعُش .

أنا والشمس نحترق ليالٍ كثيرة ،
واحتراقى أنا يكون خافيا .

وأترقب وصولك وأنتظرك كل يوم ،
وعينى على الطريق ، ونظرى على أعتابك .

ولو علا صوت مؤذن ؛

أقول لعله صوت أجراس القافلة .

ومع كل ما فعلته معى من عداء وخصومة ،

عد إلىّ فهكذا تكون المحبة .

فمع قوة سواعد عشقك ؛

أصبحت قبضة الصبر ضعيفة عاجزة .

إن الفصل بين الحبيبين المتوافقين ،

كأنه تفريق بين الجسد والروح .

فالبكاء المؤلم يا «سعدى»؛

إنما هو دليل على دعوى المحبة .

وهو الذى أجج النيران فى داخل القلم ،

وجعل الخبر يشيع وينتشر كالدخان .

ليلى والمجنـــــون

لا تسلنى كيف يكون حال قلبك وهو فى يده ؛
سل من تكون أصابعه مخضبة بالدماء .

ولو تحدثتُ عن حال من أجريت له جراحة ؛
فكيف يدرك صحيح البنية ذلك .

لا ينظر إلى حسن طلعة ليلى
من سقط فى إثر المجنون المسكين .

كل شخص يفكر ويتخيل وجه شخص آخر ،
إلا أنا فإننى أفكر فى شخص بعيد عن التصور والتخيل .

ما أسعد يوم من تدخل عليه من بابه ؛
فإن الصباح يكون ميمونا مباركا بوجهك .

لا يكون من الطبع السليم ترك عشقك ومحبتك ،
وأنت على هذه الشاكلة من الصفات الرائعة والقامة الفارعة.

ولو تراجع أحد عن العشق بسبب اللوم
فإن إخلاصنا يقوى ويزداد من كل ما تقوله.

المليك لم يجعل المنادى ينادى بألا تشرب الخمر ،
فتعال .. فعينك وفمك ثملان ، وهما فى لون الخمر وعلى شاكلته .

ولقد أصبح جوار «سعدى» منذ ذلك اليوم الذى ابتعد فيه عنك،
وكأنه شاطئ نهر جيحون من كثرة دموع العين.

العظام النخـــــرة

بينى وبينك شأن ما ،
وإلا فإن الوجوه الجميلة كثيرة فى الدنيا.

ولى كيان يذوب فى هواك ،
وقد ضاع كيانى وتلف ، ولكن حبك ما زال كما هو.

لا تظن أن عشقك سوف يفارق رأسى وفكرى ،
حتى لو كنت عظاما نخرة فى باطن الأرض.

فلو جلست أمامى أرحت قلبى ،
وإذا غبت عنى فإن مكانك يكون فى قلبى.

لا يصح الحديث فى وصف حسنك وجمالك؛
ولكننى سوف أتحدث عنه وأصفه طالما بقى لسانى.

لا أدرى أهذه قامة أم قيامة ،

ومن ذا الذى يقول إنها كشجرة سرو باسقة ؟

يمكن القول بأنك تشبه القمر ، ولكن لا أظن

أن القمر عنده فم حلو عذب كفمك.

لا أريد وضع رأسى إلا عندك ،

وإذا لم تكن عندك وسادة ؛ فأعتابك تفى بالغرض .

فاذهب يا «سعدى» فإن ديار وصال الأحبة

ليست سوقا ؛ فهناك تقدر الأرواح.

جرح المحبـــــة

لا تصدق أيها الحبيب أن لى حبيبا غيرك ؛
أو أن لى عملا فى الليل والنهار سوى التفكير فيك .

لست أنا وحدى الذى وقع فى أنشوطة جدائلك ،
ففى كل حلقة من حلقاتها يوجد أسير آخر .

وإذا قلتُ إنه لا شأن لى بك ؛
فإن الباب والجدار سيشهدان بأن بينى وبينك معاملة .

كل من يعيب علىّ هذا العشق ويلومنى عليه،
ليس من حقه أن ينكر علىَّ هذا طالما أنه لم يرك.

فأنا لا أعشقك لمجرد الطمع فيك فحسب،
فحولك كثيرون قد احترقوا بحبك مثلى.

لقد أحضرتْ الرياح ترابا من مقامك ،
وحملتْ معها خلاصة كل طيب موجود فى حانوت العطار .

فماذا أنثر تحت أقدامك لترضى ؛
فلا يمكن القول بأن لروحى ورأسى قيمة حتى أنثرهما .

سوف أظهر ذات يوم من داخل هذا الدلق [٣٢] المرقع ،
طالما كان كل الناس يرتدون الزنار [٣٣]

فالجميع مصابون بجرح المحبة الذى أصبت به،
ولست أنا الثمل وحدى وكل من حولك فى صحو.

إن عشق «سعدى» ليس بالحديث الذى يظل خافيا،
إنها القصة التى يتناقلها الناس فى كل مكان.

مشكلة الفـــراق

يا من قلتَ إنه لا توجد مشكلة كمشكلة فراق الحبيب؛
إذا كان هناك أمل فى الوصال ؛ فلن يكون الأمر صعبا .

يجب على الخلق أن يكونوا متيقظين بسبب دموع عينى ،
والعجيب فى الأمر أننى عندما أبكى لا يكون أحد مستيقظا .

إن أطراف أهدابى تكتب قصة قلبى بلون أحمر
على بياض وجهى الأصفر ، ومن ثم فلا حاجة للكلام .

يا نسيم الصباح إذا تصادف مرورك (بديار الحبيب) ،
فبلغ تحياتى إلى حضرة من لا يكترث لأمرنا .

وكثيرا ما أتوجه إلى الحائط لما أصابنى من اضطراب وتعب ؛
فلا يوجد من أحكى له عن أحزان قلبى أفضل من الحائط .

ولقد صمتنا عن الحديث مع الخلق ومواجهتهم ،
وإذا جرى حديث فإنه يكون مع الحبيب وليس مع غيره .

إنك قادر على فعل كل ما تريده ولا بأس بإيذائى ؛
لأنك لو وضعت السيف على رقبتى فلن يكون هناك إيذاء ولا تعب.

فإن تَحَمُّلَ وخز النحل ضرورى للحصول على الشهد ،
كما أن حَمّل جبل بيستون [٢٤] من أجل خاطر شيرين لا يعد حملا ثقيلا.

إنك تشبه شجرة السرو ولكن السرو لا يسلك سلوكك ،
وأنت تشبه القمر ولكن القمر لا يتحدث .

فإذا كان قلبى قد جُن فى عشقك فلا تلمه على ذلك ،
فلا يوجد بدر بلا نقصان، ولا ذهب بدون شوائب، ولا ورد بدون شوك.

فلا أوحش الله قَدّ تلك السروة وقامتها العالية ،
فإنه لا يوجد مثيل لها تحت قبة هذا الفلك الدوار .

يقول الأصدقاء لى: يا «سعدى» انصب خيمة داخل الروضة، وأنا أقول إننى أحب وردة لا يوجد مثيل لها داخل الروضة.

القلب الحديـدى

لا يوجد على وجه الأرض نظير لكِ ،
ولا يوجد قمر فى السماء يشبه وجهكِ المضئ .

لن أسلم قلبى لقَدِّ شجرة السرو وقامتها ،
لأنها ليست ممشوقة وفارعة مثل قامتكِ المرغوبة .

وفى كل المدينة يا صاحبةَ الحاجب المقوس ،
لا أعرف أحدا لم تصبه سهامك وتصيده .

إن أحدا غيرك لن يسلب الناس قلوبهم ،
لأنه لا يوجد قلب واحد لم يأسره حبك .

ماذا أفعل لو اتخذتِ نظيرا لى ؛
فأنا ليس لدى فى الدنيا من يكون نظيرا لك .

يبدو أن ذلك القلب القاسى كالحديد ،

لا يليق بصدرك الناعم كالحرير .

لقد توجه العالم كله إلى العشق ،

إلا أن اسم «سعدى» لا يرد على خاطرك .

عار البضاعة وعيوبها

من لا يتيسر له الصبر والقناعة،
عليه أن يستعد ويتهيأ للخدمة والطاعة.

فإذا كنت قد وجدت الحبيب فماذا يهمك من العدو سافك الدماء،
قل له انفخ فى بوق الملامة، ودق طبول التشنيع.

وإذا كان يداوم على ظلمك فلا تقل شيئا على الإطلاق؛
لأن تعذيب الحبيب يكون أفضل من ذل الشفاعة.

إننى سوف أصبر عن طيب خاطر على كل ما يأتنى منك،
لأن إمكانية الصبر على بعدك من الأمور المستحيلة.

ولو حملوا نسخة من وجهك إلى السوق؛
فإن الرسامين سوف يغلقون أبواب حوانيت صناعتهم.

لقد جاءت الروح على كف اليد حتى ترى وجهك،
ولم تخجل من عار هذه البضاعة وعيوبها.

فادرك صحبة الحبيب ولو للحظة لأنه لو ذهب،
لن يأتى مرة أخرى بالأنشوطة فى تلك اللحظة والساعة.

ليس من الإنصاف والعدل أن أصير أنا المتعب المنهك،
فراشة له ويكون هو شمع الجماعة.

ولكن ماذا يمكن فعله، وكيف يمكن مواجهة
دوران الأيام بساعد الشجاعة.

لقد أصبح القلب فى حبك داميا، واحترقت الروح فى سبيل طلبك،
ومع هذا كله فإن «سعدى» يخجل من عار البضاعة وعيوبها.

الراحة والآفـــة

يا من تكون رؤيتك راحة وضحكتك آفة ،
لقد خطفت الكرة من أمام كل الحسان بلطفك .

يا من تكون بوجهك كالحرير الخطائى (٣٥) فى الحسن ،
ويا من تكون كقطرة المطر الربيعى فى النقاء والطُهر .

إن كل مُلك كيان استوليت عليه بدلالك ومرحك ،
ولّيت عليه سلطان طيفك لخلافتك .

فمر علينا يا أيها السرو المتبختر من باب الرحمة ،
والق إلينا بنظرة يا أيها القمر الساطع من باب الرأفة .

يقولون لى ابتعد حتى تفارق صحبتك قلبى،
وأخشى أن يشتد عشقى وولهى لبعد المسافة.

أيها العقل ألم أقل لك أنك لا تتحمل العشق ،
كما أنه لا يمكن إقامة الخلافة فى دولة الخاقان(٣٦).

إن من يَعِدَهُ الحبيب بالقتل ؛
لا ينبغى أن يُحس بأى خوف من الموت .

إن الساعى وراء الهدف يمد مائة مائدة للأعداء ؛
ولابد أن يجد صديقا واحدا فى ضيافته .

إن سيف الظرف واللطف يكون من أيدى الأعزاء ،
فلا ينبغى على الدرويش أن يتألم أو يتأذى من الظرف واللطف.

فيا «سعدى» طالما أنك وقعت أسيرا فاستسلم للقضاء ،
ففى البحر يوجد الدر والمرجان كما يوجد الهول والخوف.

القامة والقيـــــامة

إن ما لديك ليس قامة ولكنه قيامة ،
وتبسمك ليس تبسما ولكنه معجزة وكرامة .

كل من شاهد وجهك الشبيه بالقمر ،
جعل صدره درعا يقيه سهام الملامة .

كل ليلة أو نهار ينقضى من العمر بدونك ؛
يشعر كل نَفَس فيه بآلاف الندامة .

إن العمر لا يحسب إذا جلستُ غافلا عنك ؛
وسوف أقف بقية عمرى غرامة فى مقابل ذلك .

إن السرو المتبختر لا يشبه قامتك المشوقة ،
مع كل ما يصفونه به من اعتدال القامة .

إن عين المسافر التى تقع على جمالك ،
يتبدل عزمها من الرحيل إلى الإقامة .

إن أهل «الفريقين»(٣٧) يحتارون بشأنك ،
لو ذهبت فى مكان الحساب يوم القيامة .

إن كل هذه الشدة والخيبة التى يعانى منها «سعدى» ،
إذا كنت أنت راضيا عنها فهى بالنسبة له سعادة وسلامة .

جرح العشـــــق

إن تلك المعشوقة صاحبة الابتسامة السكرية التى لها ثغر ملىء بالشهد،

تملك شغاف قلوب العالم أجمع وليس قلبى فقط .

لا يحتاج إلى التفرج على الأشجار فى روضته

كل من يضم فى بيته سروا مرتفعا مثل قامة الحبيبة .

أى متعة للكفار فى عبادة أصنام بلا روح ،

فليعبدوا مرة تلك الدمية التى لها روح .

إن حاجبها المحنى يشبه القوس، وقدها المستقيم يشبه السهم،

والحقيقة أننى لم أر فى حياتى إنسانا يملك مثل هذا السهم وذلك القوس

ولولا حديثها وكلامها ؛

لما عرف أن لها فما .

ولولا ربط خصرها بالحزام ،

لما علم أحد بأن لها خصرا .

يا من قلت لى : لا تمشيِ وراء قاتلك ،

إننى أقول لك : كيف يكون ذلك وعنانى فى يده .

العشق جرح لا يُشفى إلا بالموت ،

وتظهر علامة هذا الجرح على وجه العاشق .

فيا «سعدى» إنه لا يمكن إنقاذ السفينة من هذا الموج المتلاطم ؛

لأنها تمخر عباب المحبة الذى لا شاطئ له .

أيها الحـــــادى

أيها الحادى تمهل فى السير فإن راحة روحى تسير معك ؛
وذلك القلب الذى كان ملكا لى يسير أيضا مع الحبيب .

لقد بقيت مهجورا منه مسكينا حزينا بسببه ،
وكأن نصلا قد اخترق عظام جسدى لبعده عنى .

فقلت : لأخفى جراحى الدفينة بالسحر والحيلة ،
ولكنها لم تختف ؛ فقد سال دمى فوق فراشى .

تقدم بالمحمل أيها الحادى ولا تسرع مع القافلة ،
فكأن روحى تنطلق معه بسبب عشقى لتلك السروية القد .

هى ترحل متبخترة، وأنا أتجرع سم الوحدة؛
فلا تسأل بعد ذلك عن أثر لقلبى ، فقد ذهب كل أثر له وضاع .

لقد انطلقت محبوبتى المغرورة المتمردة وتركتنى حزينا مهموما،
وكأننى مجمر ملىء بالجمر، والدخان يتصاعد من رأسى.

ومع كل هذا الظلم منها ، وعهدها الذى لا أساس له ولا ثبات ؛
فإننى أحتفظ بذكراها فى قلبى أو يرددها لسانى .

فتعالى وأقيمى داخل عينى يا أيتها المحبوبة الرقيقة ،
فصياحى وجلبتى منك تنطلق من الأرض إلى السماء .

إننى لا أنام طوال الليل وحتى السحر ولا أستمع لنصح أحد ،
ولا أستطيع السير فى طريقى ؛ فقد أفلت الزمام من يدى .

قلت لأبكى للأبد وأصيح كالأحمق العاجز ،
ولكنى لم أقدر حتى على هذا فقد انطلق قلبى مع القافلة .

إن صبرى على وصال المحبوبة يعتمد على تغير حالها،
مع أن هذا الأمر ليس بيدى ، والأمر لديها قد قُضى.

عند فراق الروح للجسد تقال أقوال كثيرة متنوعة،
وأنا شاهدت بعينى رأسى روحى وهى تفارق جسدى.

فيا «سعدى» إن الأنين والصراخ لا يستحقه عديم الوفاء،

وليس لى طاقة على تحمل رحيل محبوبتى بسبب صراخى وأنينى.

قلوب الخلـــــــــق

إن الأيام لا تسمح للحبيب أن يكون بين أحضانى ،
حتى آخذ نصيبى من تقبيل فمه .

فلأسرق هذه الشباك التى يصيد بها خواطر الخلق ،
وأضمه إلى جانبى .

ولكننى لا أستطيع الإمساك بأطراف جدائله ،
لأن قلوب الخلق قد وقعت داخل ثناياها .

إننى عبد لقامته التى كسيت باللطف والجمال ،
كما يكتسى جسده بالثياب .

فيا شجرة السرو الفضية الجسد ، لقد ضاع رونق النسرين وبهاؤه وجمال الحديقة وزهور النسترين بسبب عبيرك وجمالك.

فتقدمى بخطواتك للتفرج على الروضة وطئيها بقدميك ،
ودوسى بهما زهور الأرجوان والياسمين .

فما أجمل مشاهدة النيروز خاصة فى مدينة شيراز ،
التى تأسر قلب المسافر وتنسيه وطنه .

لقد صارت الخميلة عزيز مصر(٣٨) والورود جمال يوسف ،
وجلبت ريح الصبا إلى هذه المدينة رائحة قميصه .

فلا تعجب أيها الحبيب إن استطعتَ فى وقت الربيع
إثارة غيرة السحاب حتى يبكى، وحتى تضحك البراعم فى خمائلها.

وبهذه الطريقة ، إذا مررتَ على ميت ؛
فلا تعجب إذا علا صوتُه من تحت الكفن.

لم تعد هناك فتن فى أيام المليك
سوى افتتان «سعدى» بجمالك أيها الحبيب، وحديث الناس عن شعره.

قطرة النـــــــدى

بمجرد أن دخلت من الباب غبت أنا عن وعيى؛

وكأننى انتقلت من هذا العالم إلى عالم آخر.

كانت أذنى ترهف السمع على الطريق حتى يأتينى خبر عن الحبيب ،

وجاء حامل الخبر ولكننى لم أعرف منه شيئا .

لقد سقطتُ أمام الشمس كقطرة الندى ،

وقد تملك الحب روحى وإرتفعتُ إلى عنان السماء(٣٩).

قلت لأراه ، فربما تهدأ وتسكن آلام الشوق ،

ورأيته ولكننى صرت أكثر شوقًا إليه .

لم أقوَ على الذهاب إلى الحبيب ،
فمشيت مسافة على قدمى وأخرى على رأسى.

ولكى أرى كيف يسير وأستمع إلى حديثه،
أصبحت من رأسى إلى أخمص قدمى سمعا وبصرا.

وكيف يمكننى أن أمتنع عن النظر إليه ؟
ففى بداية نظرى إليه أصبحت من رؤيته كالعين .

لقد سعدت بوفائه يوما وزمنا ،
وصرت فرحا إذا جلستُ ، راضيا إذا ذهبتُ .

ولم يلتفت هو لصيده،
ولكننى صرت أسيرا لأنشوطة نظره.

ويسألوننى ما الذى جعل وجهك الأحمر أصفرا يا «سعدى» ؟
فأقول لهم لقد وقع أكسير(٤٠) العشق على نحاس وجهى فصرت ذهبا.

بكاء السحاب

دعونا نبكى كالسحاب فى فصل الربيع ؛
فإن الأنين يعلو ويتصاعد من الحجارة فى يوم وداع الأحبة .

إن كل من تجرع شراب الفراق يوما ،
يعلم تماما مدى صعوبة ضياع أمل الآملين .

صفوا للحادى أحوال دموع عينى وغزارتها ،
حتى لا يحمل الأمتعة على الجمال فى اليوم المطير .

لقد تركونا ودموع الحسرة تملأ عيوننا ،
ونحن نبكى كما تبكى عيون الآثمين فى يوم القيامة .

فيا صباح رفاق الليل لقد ضاقت روحى
من كثرة تأخرك كليل الصائمين .

كم أحصيتُ من حوادث عشقك وأفاعيله ،

ولم أصف من أحزان قلبى إلا ما يساوى واحدا على الألف .

لقد استقر الحب فى القلب زمنا طويلا يا "سعدى" ،

ولا يمكن إخراجه منه إلا بمرور أزمنة طويلة .

ومهما قصصت عليك من الحكايات فإن هذا القدر من الشرح يكفى،

ولا يمكن قول الباقى إلا للرفاق الذين يشاركوننى الأحزان.

السمكة والصنارة

أيها الحبيب الثمل لقد جئتَ متأخرا ،
ولن نتركك تغادر بسرعة .

ومهما حاولنا إطفاء نار عشقك
بماء التدبير؛ فهى لا تنطفئ .

لا يمكن للفكر العدول عن رأيك ،
كما أنه لا يمكن إغلاق الباب فى وجهك .

لا سبيل أمامى للذهاب من أمامك ،
فمثلى فى هذا كمثل السمكة التى ابتلعت صنارة الصيد

كم رجع الصالحون عن توبتهم ،
بسبب عشقهم لشفاه ذوات الثغور السكرية

فيا سروة البستان المديدة القامة،
إن الأشجار كلها قصيرة متواضعة أمام قامتك .

مسكين من قطع صلته بك،
مرتاح ومحظوظ من ارتبط بك.

لقد أراقت عينك بغمزاتها دمائى ،
وكيف يندم الثمل على القتل الخطأ غير المتعمد .

إن «سعدى» لا يستطيع الفكاك
من أنشوطة الحسان طالما بقى على قيد الحياة .

وإذا لم تضع الرأس على أعتاب الحبيب
فماذا تفعل غير هذا إذا كنت تعانى وتتألم من حبه؟

النقش على الحجــر

إن عيب الأحبة والأصدقاء فضل ،
وحديث الأعداء وكلامهم لا قيمة له .

خاتم الحب لن يُمحى من صدورنا
يا أخى -لأنه كالنقش على الحجر .

ماذا يمكن أن يقال فى لطف الحبيب ؟
إنه أكثر لطفا من كل ما سوف أقوله وأصفه به .

إن ما تراه عين قلبنا ،
لا يمكن أن نقول عنه: شمس أو قمر .

فقل لكل شخص: ابق على حالك،
إن حالنا أمر آخر ... يا أخى.

وأنت يا من كنت معنا فى الرؤى طوال الليل ،
أى نصيحة نسمعها من بلبل السحر .

إن الإنسان الذى لا يتمتع بروح المعنى ،
هو فى الحقيقة شجرة بلا ثمار .

ونحن المتفرقون مجتمعون -
وحبيبنا غائب ، ولكنه حاضر فى نظرنا .

إن الأوراق الخضراء الندية تجف بمرور الوقت ،
أما أوراق عيوننا فإنها تظل ندية دائما من الدمع .

لتكن الروح الغالية فداء لصحبة الحبيب ،
إننى خجل لكونها شيئا متواضعا قليل القيمة .

فهذا الذى أُضَحِّى به لا يتناسب مع قيمة الحبيب وقَدْرِه،
ولكن هذا ما نستطيع تقديمه والتضحية به .

ولا يمكن يا أخى التستر على الأمر؛
فالعشق يمزق كل الحجب .

ومهما علم «سعدى» أخبارا عن حرم الحبيب ؛

فإنه يظل لا يعلم شيئا .

نحن قد فكرنا فى هذا طوعا ؛

فأى تدبير سيدبره الله ؟

صبر القلـــــب

سواء كان صبر القلب على فراقك موجودا أو غير موجود ،
فليست هناك وسيلة ولا حيلة سوى الصبر .

يا سيدى احترس من الذهاب إلى حى الأحبة ؛
فليس من سبيل للوصول إليه .

ويعلم الناس جميعا أن تدابير
العقل وأفكاره لا قيمة لها فى العشق .

يقولون : اذهب إلى ناحية أخرى،
ولكن لا توجد ناحية أعز من ناحيته.

لقد طوفت بكل البساتين؛
ولم أجد ثمارا فوق أى شجرة مثل هذه الثمار .

فأى هدية أقدمها لك وتليق بك ،
إنها الروح ، وهى ثمن لنظرة واحدة إليك .

أنت تعلم أن من لا خبر عنده عن العالم كله ،
يعلم أخبار العشق .

فيا «سعدى» طالما ظل الأمل فى الوصال قائما ،
فلا تفكر فى روحك ولا تخشَ شيئا على رأسك .

فإن الفراشة كانت فى خطر بسبب العشق؛
ولكنها الآن لا تتعرض للخطر بعد احتراقها.

قضاء وقـــــدرا

عندما وقع نظر «فرهاد» على وجه «شيرين»؛
تعجب ودُهش منه ، وخر مغشيا عليه.

وعندما ثمل «المجنون» من كأس طلعة «ليلى» (٤١)
لم يعد يفكر فى أبيه وأمه ولا فى الذَهَبِ والفضة.

وعندما اختارت «رامين» (٤٢) معاناة عشق «ويس»؛
رمت فجأة بغطاء رأسها وحزامها.

وعندما بلغ حزن «وامق» على «عذراً» مبلغه،
ظل شغله الشاغل هو الحزن والتأوه حتى السَحَر.

وهكذا ثمل من خمر العشق آلاف الأشخاص،
من الشيوخ والشباب وسقطوا بلا وعى مثلى.

وكثيرون وقعوا أسرى فى أنشوطة العشق،
ولم تحدث هذه الفتنة وهذا الشر لى وحدى.

ذات يوم نظرت عينى إلى الحبيب ،
وبسبب هذه النظرة تضاءل فى عينى العالمان.

وهكذا أشعل مجيىء العشق قلبى بنيرانه ،
بحيث شبت النار فى قلبى آلاف المرات.

فلا تؤاخذنى إن كنت قد أصبحت مولها فى العشق ،
فكثيرا ما يحدث مثل هذا قضاء وقدرا .

فيا «سعدى» إلى متى تخفى سر القلب عن الناس،
إن حادثة عشقك سوف يشيع خبرها شيئا فشيئا .

القتل عمـــدا

أى حزن يصيبك من جراء أحوالنا المضطربة السيئة؟
وأى حزن يصيب ريح الصبا إذا انطفأ المصباح بسببها؟

إن كل ما تتمناه يتحقق طبقا لمرادك ورغبتك ،
فأى حزن يصيبك إذا لم تتحقق آمال أمثالى؟

أنت سلطان ... فماذا يحزنك إذا لم تنم،
أعين الحراس طوال الليل؟

• من الخطأ أن تؤذى قلوب المحبين العاشقين ؛
ولكن من يقتل عمدا كيف يحزن على ما ارتكبه من جرم؟

يا أمير الحسان لقد صرنا فى نهاية الأمر من شحاذى قومك ؛
أجبنى .. أى حزن يصيب الأمير من أجل الشحاذ؟

بكى العذول على ما جرى لأجفانى(٤٣)
فكيف يحزن الحبيب الغافل مما حدث ؟

ولو كان للعارف ألف عدو وراءه يلاحقه ؛
فكيف يعمل حسابا للفناء إذا رأى وجهك الجميل .

فيا بنى إن القضاء كَتَبَ عليكَ كل ما هو حلو أو مر ؛
ولو جلست مهموما أو حزينا فماذا يُحزن القضاء ؟

إن بلاء العشق عظيم ، وعندما يموت القلب من بلائه،
فأى حزن يكون لمن لا يبالى .

فمارس الجفاء وكل ما تستطيع فعله مع «سعدى»
فإن من ضحى بنفسه لا يمكن أن يحزن من الجفاء.

السم القاتـــــــــل

نحن نشترى قلب الحبيب بروحنا ؛
وإذا عادَتْنا الدنيا بأسرها فإننا لا نهتم ولا نحزن.

ولو يَطْعننا المعشوق بسيفه
فقل له: اطعن روحي ونحن فداء له ووقاء.

من لا يصبر على فراق جماله.
لابد أن يتحمل ظلمه وجفاءه.

انظر إلينا سواء بعين الغضب
أو بعين الرضا ، فنحن ما زلنا ننتظر.

إن نظرة واحدة إلى جمال طلعة الحبيب
لو بيعت إلينا مقابل أرواحنا لاشتريناها.

ولو قلتَ أن هذا يخالف العقل ؛
فهؤلاء العقلاء أناس ونحن أناس آخرون.

انتظر حتى تسيل دماؤنا على يدك ،
ونحن ننظر إلى تلك اليد وهذه القبضة.

لو يبعدنا الحبيب عنه أو يعطف علينا ؛
فإننا سنظل نستجدى نظرة منه.

ومهما قَتَلَنا الحبيب ؛
فإننا سنكون أكثر حياة بفضل الله.

فيا «سعدى» قل له احضر السم القاتل ؛
فإننا سوف نتجرعه وسيكون من يده كالسُكَّر.

ويا نسيم الصبا مُرّ على روضة الأنس ،
قبل أن نمضى نحن من الدنيا.

فأنت الخالق الكريم ،
حتى لو كنا نحن عبيدا غير مستقيمين.

البرقـــــــع

إذا كنت ترغب فى المحبة أيها الحبيب أو لا ترغب؛

فلن أشيح بوجهى عنك لأنك محبوبى.

لقد كنتُ أتصور أنك تشبه شجرة السرو الموجودة فى الخميلة تماما،

فأين هو السرو الذى يكون بمثابة الروح للجسد .

لا حاجة لك للأنشوطة حتى توقع المحبين فى حبائلك ،

ويكفى أن تزيح البرقع عن وجهك فحسب.

لا تغطى بياض ساعدك وأنت فى صفوف الحرب والقتال،

فأنت تقضى به على جيش دون الاستعانة بسيف.

إن مبارزى العالم يمزقون قلوب الأعداء ،
وأنت ماذا حدث لك حتى تمزق قلوب كل العشاق .

لا عجب فى أن الآفاق كلها حائرة بشأنك ،
وأنت أيضا حائر فى حسنك الذى يتجلى فى المرآة .

وأنت يا من شاهدت جمال طلعتك البهية ،
حرى بك ألا تنظر إلينا مرة أخرى .

فمن يرَ شخصا له هذه الصفات الجميلة فى المرآة ؛
لابد وأن يرتكب كل لحظة ظلما وجفاء ويصطنع الكبر والغرور والأنانية .

إن الكلام يمكنه وصف ثغرك ولا يحيط بصفاته ؛
فأنا لم أسمع قط عن إنسان له فم فى حلاوة السُّكَّر .

لقد سمعت أن أشعار «سعدى»
تنقل من شيراز إلى أكناف العالم كنافجة المسك الختنية (٤٤).

وربما لأن اسمك الجميل قد جرى ذكره على شفتى؛
ذاع صيتى فى العالم على أننى صاحب شعر جيد.

انفكاك من أنشوطتك

إن قلب من تصطاده لا يستطيع الفكاك من أنشوطتك ،

ولن يكون لديه أمل فى التخلص من قيدك .

أستحلفك بالله أن تضع حجابا على وجهك الشبيه بالنار ،

وإلا فسوف تَرى قلوب العالم بخورا يحترق من أجله عن طيب خاطر .

إن الروضة لا تنبت زهورا كوجهك الفتان ،

ولا تصادف ريح الصبا شجرة صنوبر تماثل قامتك الفارعة .

لو كان هدفك هو إراقة دم الخلق،

فماذا تفعل لو لم يخضع الأسد لك كما ينصاع الحَمَل .

حقا إنك أمير مملكة الحسن، وا أسفاه
إذا التَفَتَّ إلى الفقير البائس.

ألم أقل لك أيها القلب إنه لا يفكر فى الوفاء،
ومع ذلك أَفْلَتَّ من يدى طمعا ، فأوقعك فى حبائله.

إنك لم تكن رجل عشق يا «سعدى» بكل المقاييس،
فليست لديك القدرة على الهرب، وليست لديك الطاقة على تحمل الألم والأذى.

دعـــــــاء

ما ألطف العباءة وهى تلتف حول جسدك الشبيه بشجرة السرو،
آه لو الْتَفَّتْ يدى حول خصرك كالحزام.

لا يجول بخاطرى أى شئ سوى وصالك.
ولست أنت من يحل محله شخص آخر.

إذا كنت ترغب أن تقول لأحد كلاما مرا ،
فإن الكلام المر لا يكون مرا عندما يخرج من فيك.

ولست أنا الذى أصرح بحبى لوجهك ؛
فأنت الذى يشار إليه بالبنان والناس جميعا ينظرون إليك.

لقد أغلقتُ باب الفكر وحطمتُ قلمَ الوهم ،
هذا لأنك أجمل بكثير مما سأصفك به وأبينه .

لشجرة السرو قامة ممشوقة ، وللقمر وجه جميل،
وأنت لست هذا ولا ذاك، بل هما اللذان يشبهانك.

أيها الرقيب إذا لم تفتح باب الحبيب فى وجهى،
فسوف يتبين لك كم من الدعاء دعا به عليك فلان.

إننى أواظب على الدعاء لك أيها الحبيب طوال عمرى،
فلو ترغب فى عدم وجودى فجسدى فداء لروحك وقربان لها.

فيا «سعدى» إن وسيلة الثبات ومحور التحمل،
هو أنا المحتاج إليك وأحمل حملك الثقيل.

أسير العشـــــق

لو تأذى قلبى يوما من ظلمك وجفائك؛
فإن أنشوطة الشوق سوف تشده وتعيده من جديد.

لم يعد هناك أمل فى صباح مشرق لليلتى بسبب عشقك،
وأنى تكون لأسير العشق القدرة على تحمل الليل الطويل.

لا عجب إذا احترق القلب ، فالنار الحارقة
تذيب الفولاذ ناهيك عن الشمع .

أنت يا من إذا تَبَخْتَرَتْ فى مشيتها شجرة قامتك ،
تهتز أشجار السرو حسدا لك .

سوف أغلق الباب أمام الخلق جميعا مرة أخرى ،
إلا أمام من يحضر لى البُشرى منك .

وإذا قبلتِ فإننى أضع رأسى فوق أقدامك،
كما يفعل عابد الأصنام عند السجود أمام صنمه عند الصلاة.

فيا أيها القلب استمع مرة إلى «سعدى» بأُذن الرضا،
فإن حرقة العشق تُخرج كلاما رقيقا جذابا،

المسك الرخيـــص

عندما تطوف خصلات شعره على وجهه ؛
فإنها تجعل المسك رخيصا فى المدينة .

إن جوهرى العقل فى سوق الحسن
يقدر ثمن ياقوته بمائة روح .

وكلما أشرقت شمس حسنه ،
أخفى القمر وجهه وراء حجاب .

إن كل قصدى هو وصاله ،
بينما هذا الظالم لا يقصد سوى هجرى .

فإذا كنت تريد مملحة مليئة بالسُكَّر فلا تخشى ذلك ،
لأنه يجعل من منجم المرارة موطنا للسُكَّر .

إن سهام أهدابه وقوس حاجبه،
تجعل العشاق أضاحى عيد الأضحى.

أننى أجود بكل أنواع الوفاء بقدر استطاعتى،
بينما هو يجود بكل أنواع الجفاء بقدر طاقته.

عودة العقـــــــــل

كل من يقع فى الحب فى حَىّ ذوات الوجنات الشقائقية ،
لا أمل له فى عودة العقل إليه.

فالحمامة التى لن ترى عشها مرة أخرى ؛
هى التى يوقعها القضاء والقدر فى مخلب الصقر .

لا أدرى كيف يكون حاجبك المازح محرابا ،
فعندما يراه الزنديق يقيم الصلاة .

من يدخل من بابه كل لحظة من هو مثلك ،
هو شخص عالى المقام سعيد الحظ .

ولن أعترض أو أغضب إذا أجبتنى بمائة جواب مر ،
فإن هذه الأجوبة تخرج من فمك حلوة جذابة .

فتعالى وشاهدى وجهى الأصفر واقرئى ما كتب عليه،
لأننى لو تحدثت عن ذلك فسوف تطول القصة.

إن ضجيجى وصياحى نابع من حرارة صدرى وحرقته، وبكائى ونواحى بسبب آلام رأسى، وكلامى ليس كغيره من الكلام الذى يرد على سبيل المجاز.

فضعى قدميك على عينى «سعدى» بدلا من الأرض،
فكل من كان مثلك لابد أن يُكَرَّم ويتيه دلالا.

الجنة والنـــــــار

تعلقت ذات يوم بجدائلك وَلَهاً وهُياما،

وأَثَرْتُ فى شفتيك الحلوتين مائة نوع من الإثارة.

فإذا كنت تنوين الجفاء فهذا أنا وهذه رأسى،

وإذا كنت تسلكين طريق الوفاء فسوف ألقى بروحى تحت أقدامك.

كم من توبة لى وعفة ألغيت وبطلت بسبب عشقك ،

وأخذت أنخل التراب فوق كل الطرق عبثا (٤٥).

لقد أخذ عدوى يدق الدفوف فى المدينة ليفضحنى ،

حتى تغلب العشق على الدف بتأثير سهام عينى الحادة .

فأنا مجنون بوجه ليلى مثل قيس بنى عامر ،
وعاشق لشفة شيرين مثل خسرو پرويز (٤٦)

قلتِ لى اجلس فى حزن أو انهض من جديد ،
وقد أطعتُ أوامرك يا أيتها المحبوبة وها آنذا أجلس وأنهض.

لو كانت هناك جنة بدونك لما جلست أعلاها ،
ولو كنت معك فى جهنم فسوف أتعلق بسلاسلك.

لو لم يتضمن شعر «سعدى» ذكراك،
فلن أختلط مع أحد مثلما ظلت الحبيبة وحيدة.

قلب بلا أحـــــزان

لا أرى فى قلبى سوى الأحزان والهموم منذ أن عرفتُ الحب ،
فمن أين آتى بقلب بلا أحزان فى هذا العالم .

ولا تحين اللحظة التى أقضيها فى سعادة مع محبوبى ،
وقد خرجت أنفاسى مع روحى لأننى لا أعثر على رفيقى .

فى قلبى سر دفين ترعاه دموع عينى الدموية وتحافظ عليه ،
ولكن لمن أفشى هذا السر ولا أرى أمامى من يكتمه .

أنا قانع وراضٍ بكل هذه الآلام لأنى لا أرى علاجا لها ،
وأتحمل كل هذه الجراح لأنى لا أجد دواء ولا مرهما لها .

ما أسعد القلب الغريب عن العشق البعيد عنه ،
فمنذ عرفتُ الحب لم يسعد قلبى ولم يبتهج مطلقا .

لقد أذلتنى عينى الدامعة من كثرة بكائى ،

فلماذا أبكى وأنا لا أجد نتيجة من ذلك سوى البلل من الدموع .

والآن اهدأ يا «سعدى» فإن الأمر قد خرج عن السيطرة ،

على أمل قضاء لحظة مع الحبيب، وأنا لا أرى حتى هذه اللحظة.

شربة الوصـــــال

تعال؛ فأنا فى أحزان عشقك مشوش مضطرب الفكر بدونك ،
تعال.. وانظر كم أنا متعب مكدر بهذا الحزن بدونك.

إننى أبكى طوال الليل بسبب فراقك يا ملائكى الوجه ،
وعندما يطلع النهار فكأننى أحترق فى النار بدونك.

أيها الحبيب إنك لم تسقنى شربة من وصالك ولو مرة ،
ودائما أتجرع سم فراقك الزعاف .

فإذا كنت تفعل مثل هذا معى أنا المسكين أيها الحبيب:
فأنا على استعداد للانسحاب من العالمين بدونك.

لقد أرسلتُ رسالة قلتُ فيها: تعال واسعدنى،
ولكنك أجبتَ عليها وقلتَ : إننى سعيد بدونك.

تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

أيتها الرياح ... يا من مررت على تراب أعتاب الحبيبة ،
لقد ظننت أنك جئت من روضة من رياض الجنة .

إن العاشق المتيم لا يجرى بين المنزل والصحراء ،
كالمجنون كل لحظة بدون سبب .

وربما يقع نظرك ذات مرة على وجه الحبيبة ،
فتصير حائرا مدهوشا وتطوف الآفاق كلها مثلى .

لن أتخلى عن أذيال المعشوقة الجميلة وأتركها ،
فدعنى أيها الصديق أفقد سمعتى الحسنة .

لا تمر بخاطرى ذِكرى سوى ذكراك أيتها الحبيبة ،
مع أنك تركتِ ذكرى فجأة .

ماذا يفعل القلب الذى لم يتوافق مع طبعك الملكى ،
إن الرياح لا تجرى بما تشتهى السفن دائما .

لقد مضى وقت طويل لم تنظرى إلينا ،
وأنا لم أمكث لحظة دون أن تمرين بخاطرى .

إنك جميلة وألفاظك كالسُكَّر، وشحمة أذنك كزهرة الشقائق،
وأنت كشجرة السرو الفضية الجسد، وأنت حسناء حورية الأصل.

لم تلق بشباكك على أحد إلا وأوقعته فى شباكك،
ولم تشهرى سيفا فى وجه أحد إلا وقتلته.

إن سبيل القضاء لن يمحو من دفتر الأيام،
ما كتبته على جبين «سعــــدى».

همام التبريزى

(توفى عام ٧١٤هـ)

هو همام الدين علائى التبريزى من شعراء آذربايجان المشهورين، ومن مادحى شمس الدين محمد صاحب الديوان. وكان لهمام محاورات ومزاح مع الشيخ سعدى الشيرازى، وقد انتهج نهجه فى الغزل. وله أيضا بالإضافة إلى ديوانه منظومة باسم «صحبت نامه» نظمها باسم خواجه شرف الدين هارون بن شمس الدين محمد صاحب الديوان.

سكَّر نبات مصـــــر

متى يظهر سكَّر نبات فى مصر مثل شفتيك؛
فمن سكَّر نبات شفتيك يقطر ماء الحياة.

إن أحبابك لا نصيب لهم فى ماء الحياة هذا؛
وقد ضحى العطشى بأرواحهم بالقرب من هذا الماء الفرات.

لقد أضاء الخالق شمعة من وجهك،
ليزيل بها الظلمة من بين الكائنات.

وآمن أمام طلعتك البهية،
عبدة الأصنام فى أرض سومنات[٤٧].

وإذا كان النظر والتأمل فى وجوه الحسان حراما،
فقد جاء حسنك ليمحو السيئات.

كل من يبحث عن النجاة من أنشوطة جدائلك
التى تتعلق بها الأرواح، لا روح له.

إنك تأمرنى بالصبر فى العشق،
فكيف أبدى الثبات فوق ألسنة النيران؟

لو تنظر عينك إلى المساكين؛
فإن ذلك سيكون زكاة تؤديها عن حسنك.

وسوف تعود الحياة «لهمام» من جديد.
إذا مررت على ترابه بعد وفاته.

الحسن والشـــــــوق

إن حسنك قد بلغ مبلغه كشوق قلبى إليك،
وخلو بال حبيبى من العشاق قد بلغ غايته.

إن خلقته تتميز بعينه الناعسة وطرته المبعثرة (على جبينه)،
ونحن نتوافق وننسجم معا فأى مجال للكناية.

إن العارف يتحدث عن الحال، والعالِم يتكلم عن الآخرين؛
أما نحن والحديث عن عشقك فهو حكاية الحكايات.

لقد صوبت عينك سهام غمزاتها إلى قلبى،
وقد سررت بذلك لأن الالتفات إلىّ دليل على الاهتمام بى.

وقد نظر القلب من بين ثنايا ظلمة شعرك الداكن السواد؛
فرأى وجهك وقال: إن هذا هو الأمل فى الهداية.

الظلمة وضوء القمـــر

إن الحسن الذى يكسو وجهك لا نهاية له،
والوردة جميلة ؛ ولكن الملاحة هنا قد بلغت الغاية.

لقد تجاوزت حكايات خسرو وشيرين الحد،
أما نحن والحديث عن وجهك فإنه أصل الحكايات.

سوف أترك الحديث عن مصر لأنه فى مملكة شفتيك
يوجد اليوم منجم السكر والقند فى هذه الولاية.

لقد ألقت جدائلك بظلها على وجنتيك الجميلتين،
فانظر إلى هذه الظلمة التى تحمى ضوء قمره.

فمن أنا حتى أمد يدى إلى جدائلك؛
يكفينى أن تحمل ريح الصبا طيب عبيرها إلىّ.

من أجل عشاقك يكون لأوصاف وجهك وشعرك
آيات محكمة فى شرع الكفر والدين .

فمتى يفيق قلب «همام» الثمل،
وسكره من نرجسة عينك الثملة يكفيه.

جنة رضـــــوان

لقد تحول المنزل اليوم إلى جنة لأن رضوان موجود هنا ،
وهذا هو وقت السمو بالروح وتربيتها فالحبيب موجود هنا.

لا حاجة لنا اليوم للبستان والرياحين ؛
فالنرجس الثمل والورد والسرو المتمايل موجود هنا .

فاسألوا عن أخبار القلب الضائع السجين ،
وذلك السرو المتمايل موجود هنا .

وسوف أُصبح من الغيرة كمعبد النار ،
لو علم الخضر أن اسكندر الحسان موجود هنا .

لا تحضروا السكَّر من مصر إلى تبريز مرة أخرى ؛
فلا ضرورة لهذا السكر لأن موطن السكر كله موجود هنا .

كل من لا يعرف أدب مجالس الملوك ؛

قل له لا تدلف من هذا الباب فالسلطان موجود هنا .

واستعدوا اليوم للخضوع والطاعة والتضحية بأرواحكم ،

وكيف لا نستعد والعصر هو عصر يوسف وزمانه .

لقد أشارت عينك وحاجبك إلى همام،

بأن يتجاوز عن هذا الحسن وهذه الملاحة حيثما كانت؛ فأصلها موجود هنا.

فما قيمة العمر وأنا لا أبالى بشمس الفلك،

وظل لطف الله وروح القلب والروح موجوداً ها هنا.

أحلى من الـورود

هذا الحبيب ليس مخلوقا من الماء والتراب ولكنه روح مصورة ،

وعيون أهل الدنيا منيرة بجماله .

وإذا نسبوا خلقته إلى العناصر ؛

فإن ماءه لن يكون إلا من الكوثر ، وترابه لن يكون سوى من العنبر .

إن كل من ينظر إليه لن يجرى ذكر على لسانه سوى قول :

«سبحان من يصور والله أكبر» (٤٨).

فلا تنثر الورود أمامنا، ولا تحضر زهور الأرجوان مرة ثانية،

إن روحى فداء لمن هو أجمل وأحلى من هذه الورود وتلك الزهور.

ولماذا تضع العنبر فوق جمر المجمرة ،
ومجلسنا معطر بذاته من أنفاس الحبيب .

ابعد الشمع عن مجلس الحاضرين ؛ فالليلة
يكون ضياء الشمس داخل المنزل أكثر نورا وبهاء.

فيا أيها الساقى هات الخمر فإننا ثمالى حتى الآن،
من جرعة واحدة فى مجلس «ألست».

سوف نتجنب سكر خمر الدنيا ؛
لأن لدينا خمر من شفة الحبيب الخمرية اللون .

إن وجهه هو الكأس الإلهى الذى يظهر فيه العالم ،
فالأنظار تنصفه لأنه ليس سوى مُظْهِر للعالم .

قل للعاقلين إن لأصحاب العشق ذوق
يرشدهم وليس فكر المرشد .

ولا يمكن تفسير الذوق فى إطار الألفاظ الضيق:
لأنه توجد مقامات أخرى أبعد من الحروف والأصوات .

ولما كانت عين الحبيب الثملة تقدم الخمر للعشاق
فكيف يكون هناك مجال للإبريق والكأس؟

لقد ربت أنفاس الصبح وعطر الحبيب روح «همام»،
ولهذا السبب فإن أنفاسه تربى الروح .

سلاسل شعـــــرك

يُصبح نهارى أسود كشعرك فى غياب شمس وجهك،

ويصبح ليلى مضيئا كوجهك من خصلات شعرك المسكية الرائحة.

إن لديك حسن ألف «ليلى» وعشق ألف «مجنون»،

وأنا لدى أكثر من هذا العشق لتراب ديارك.

إن سلسلة واحدة من سلاسل شعرك تكفى للمجنون،

فلأى شئ آخر تجدلين سلاسل شعرك الأخرى.

قولى لشفتيك إلى متى تتركيننى عطشا ظمآنا،

يا من يجرى ماء الحياة دوما فى نهرك.

أتعلمين لأى شيء أحب العمر الطويل ؟
إننى أحبه لكى أكثر السعى والجد فى البحث عنك.

إن عينى قد حُرمت من رؤيتك ، ولكن،
لسانى له نصيب من الكلام معك.

وكيف يتسنى للروح أن تتحمل فى فراق وجهك أعباء الجسد ؛
إذا لم يكن لها مدد دائم من عطرك.

وإذا صارت كل شعرة فوق جسدى لسانا ،
فإن هذه الألسنة لن تعبر ببيانها عن بعض محبتنا لك .

لكـــل داء دواء

لا يحل محل الحبيب شخص آخر بالنسبة لروحنا،

وحبك باق فى قلوبنا يوم أن يموت الجسد.

أيها الحبيب لكل داء دواء يتجرعه الناس،

أما دائى أنا فلا يستجيب لأى دواء.

أيها الرفاق خففوا من لومى؛

فإن القصص لا تجدى مع من يعانون الهجر.

فالفراشة عندما تحترق من الشمعة تجد الخلاص فى نهاية الأمر،

والمسكين هو الذى يحترق دائما ولا يموت .

قلت لعل الصبر يكون هو الشغل الشاغل لـ «همام» ،

إلا أنه لا مناص للقلب من رؤية وجه الحبيب بأى حال من الأحوال .

الورد والسكـــــــر

لا مكان آخر للروح بدلًا من جدائلك ؛

ولا نية عندها للسفر ومغادرة هذا المنزل الجميل .

أيها الحبيب لقد سلبتنى القلب ، وتقول : أنا لا أدرى ،

ولكن ابحث عنه بين جدائلك فإنه لن يغادرها .

فوجهك الحسن وعينك اللطيفة اللذان يحملان البلاء ؛

لا يوجد أجمل منه ولا أحسن منها .

لديك تحت بيدر وردك(*) مرتعا للسكر،

ولا يجتمع الورد والسكر فى أى بستان قط.

(*) أى وجنتك.

إننى أقدس صورتك الجميلة فقل لرأسى تألمى وضيعى؛
فمحبة حسان الوجه لا تكون بدون آلام الرأس.

حيثما ينطلق وابل السهام من غمزتك؛
فلن يكون هناك درع يتلقاها سوى أرواح أصحاب القلوب الرقيقة.

وإذا كان العاشق يثمل من بعيد من عطرك وعبيرك،
فإنه سوف يغيب عن الوعى لو ضممته إلى صدرك.

كل عاشق تقع عينه على وجهك،
إذا نظر لشخص آخر غيرك لا يكون من أصحاب النظر.

إن روح «همام» تأمل فى يوم وصالك،
فيا ويلتاه إذا لم يأت ذلك اليوم الذى تتحقق فيه آماله.

لم أخترع العشـــق

لا تنام البلابل طوال الليل خوفا من أن
يُسْقِطَ النسيمُ ـ لا قدر الله ـ أوراقَ الوردة .

الليلة مقمرة والوردة والبلبل ثملان معا ؛
فليس هذا بالمجلس الذى تنعس فيه عين النديم .

ولو كانت الرياح تعلم غيرة البلبل ،
لما مرت فى أى وقت بالروضة خوفا منه .

أنظر إلى نيران العشق تتأجج فى كل شىء، وإلا
فمن ذا الذى علَّم الطائر عزف نغمة العشاق .

والإنسان الذى يعلم هذه الحالة أكثر ،
يطلب صحبة الحبيب ولا يطلب جنة النعيم .

ومن ذا الذى يطلب الجنة مع وجود مثل هذا الوجه؛
فبدونك تتبدل راحة الفردوس إلى عذاب أليم.

إننى متيم عاشق؛ فقل للخصم : لا تلمنى؛
فأنا لم أخترع العشق وإنما هو عادة قديمة.

ولو أننى أظهرت وجه الحبيب للائمى ،
فسوف ينصفنى ويسلِّم بهذه المسألة معى .

ولو كان القمر مثل وجهك
لما شطر النبى وجه القمر بأصبعه إلى نصفين .

كل من أصبح مقيدا فى أطراف جدائلك التى تشبه السلاسل ،
الظاهر أنه استمع قليلا إلى نصح الحكيم .

إن الآخرين يفدون إلى بابك ويذهبون كالريح ،
أما «همام» فإنه مقيم فى ديارك كالتراب .

لا تتعجل السيــــــر

لا تتعجل السير أيها الحادى فأقدامى تغوص فى الطين ؛
وسلاسل حلقات جدائله تحيط برقبتى .

أنت تسير فى عجلة، وأقدامى لا تستطيع الحركة،
لأن الخروج من منزل الأحباب ومغادرته من الأمور الشائكة والصعبة.

وإذا لم يكن للإنسان نصيب من حلاوة الوصال
بدون مرارة الفراق، فأى نتيجة ترجى من الزمن؟

ولما كانت نهاية صحبة الأحبة هى البعاد والفراق؛
فإن العاقل هو من لا يرتبط بأحد على الإطلاق.

فى يوم الوداع يغرق العشاق فى دموعهم الممزوجة بالدم ،
ومن ينظر إليهم عن بعد يكون غافلا عما يحدث لهم .

إن طيف الحبيب ينادينا؛
وإلا فإن فراقه بالنسبة لنا يكون سما قاتلا .

وحيثما جلستُ وأينما ذهبتُ ؛
فإن يدى طيفه تلتف حول رقبتى كحمائل السيف .

إن طيفه لا يفارق عينى «همام»؛
فحيثما تكون الصلة مع القلب لا يكون هناك فراق.

الحادى والقافلـــــــــة

هو فى الليل قمر فى ركب القافلة ،
ووجهه دليل الحادى ومرشده.

وماذا يفعل الحادى ووراءه تسير،
قوافل وقوافل من القلوب.

إننى أتعجب من قاطع طريق القلب ،
الذى يكون مرشدا ودليلا فى الليل للسالكين .

إن مثل هذه الهيئة لا تكون من الماء والطين ،
لعلها روح على شكل جسد سائر .

وعندما يوجد على الأرض مثل هذا القمر ،
يكون للأرض عظيم الشرف والتميز على السماء .

فمتى كانت الشمس تستظل بالمظلة،
إن وجهه هو الشمس وخصلات شعره هى المظلة.

وحيثما أسرعَ إلى كل منزل،
أسرعَتْ فى إثره روحنا فى عجلة.

وكلما مر على منزل من المنازل،
تكون هناك علامة منه على وجوه العشاق.

فالأفضل من الكحل لجواهر العيون،
غبار موكب الروح والعالَم.

إن قلب الحادى القاسى
لا يكترث لأمر «همام» المحب.

فقل له سر ببطء بمحملك؛
فإن هناك فقيرا ضعيفا يسير فى رَكْبك وبرفقتك.

فراق الأحبـــــــة

إن وداع من هو مثلك أيتها الحبيبة ليس بالأمر الهين؛

فهلاك العاشق المسكين يكون فى فراق الأحبة.

أمعنى النظر فى مفارقة الروح للجسد،

قسما بروح الحبيبة... إن هجرك وفراقك يعادل هذا آلاف المرات.

وإذا بعتِ وصالك لى لحظة قبل أن أبتعد عنك

فى مقابل روحى؛ فإنه عندئذ يكون زهيد الثمن.

لم تعد هناك فرصة لعينى لمشاهدة وجهك،

ذلك لأن إنسان عينى قد اختفى وتوارى خلف الدموع.

فقل لها طالما أن القافلة لن ترحل اليوم،
فإن الأمطار ستمطر من دموع عيون العشاق.

وما زالت سروتى المشوقة لم تبتعد عن عينى حتى الآن،
إلا أن قلبى يرتجف كشجرة الصفصاف كلما تخيل بعدها عنه.

وقد وضع المحبون جباههم على طريقك،
على أمل تقبيل نعل أقدامك.

وكلما نظرتُ إلى أى ناحية أرى أمامك،
آلاف الصدور الشاكية الباكية والعيون الدامعة.

وعندما أنظر إلى ناحية جدائلك أيضا،
أجدها مبعثرة مضطربة شفقة بهؤلاء المتعبين المتألمين.

إن التفريق بين الأحبة بسيف الفشل واليأس
عادة من عادات الفلك ، فأى قدرة لنا عليه.

أنت سترحلين و«همام» ينظر إليك،
وقد انقطع الأمل عن قلبه وما زال الحديث يدور فى روحه.

تعال أيها الحبيب

تعال ... تعال ... فقد ضقت ذرعا من هجرك أيها الحبيب
تعال.. تعال... فقد شبعت من هذه الدنيا بدونك أيها الحبيب.

لقد حققت آمال الأعداء بعدم السماح لى برؤيتك ؛
فلا تكن جاهلا بأحوال المحبين يا أيها الحبيب .

وإذا كان النفخ فى الصور يعيد الروح للميت ؛
فإن نسيم جدائلك العطر يهب آلاف الأرواح للعاشق ... يا أيها الحبيب

لقد تخيلت أنه يمكننى القدرة على الابتعاد عنك ،
ولكنى جربت ورأيت أنه لا يمكن ذلك ... يا أيها الحبيب .

لو أن حوريات الجنة كن فى جمالك وحسنك ؛
فما أجمل الفرجة على هؤلاء الحسان فى ذلك العالم ... يا أيها الحبيب

ولو تحققت صحبتك فى مقابل التضحية بالروح والدنيا؛
فإن وصالك يكون حتى الآن مجانا وبلا مقابل... يا أيها الحبيب.

وعندما أوارى الثرى مع طيف وجهك الجميل؛
فسوف تنبت من تراب عينى زهور الأرجوان... يا أيها الحبيب.

فمن ذا الذى يأمل فى الإفاقة من عشقك؛
وقد أصبح ثملا من عبيرك إلى الأبد... يا أيها الحبيب.

إن وجه الأرض ينير من انعكاس ضياء وجهك
فى الليلة التى لا يسطع فيها القمر فى السماء ... يا أيها الحبيب .

أحيانا ما تظهر الشمس من شوقها إليك ،
وأحيانا أخرى تختفى وتتوارى تحت الأرض خجلا وحياء منك... يا أيها الحبيب

لا يوجد عندنا لسان بدلا من كل شعرة فى جسدنا ،
حتى أصف به شعرة واحدة من جدائلك ... يا أيها الحبيب .

إن «همام» يذكر اسمك كثيرا ؛ فماذا يفعل

ولسانه لا يهدأ لحظة عن هذا الكلام ... يا أيها الحبيب .

أحزان العشـــــق

أنت لا تدرى شيئا عن لوعة قلبنا واحتراقه؛
فنواحنا وبكاؤنا يجعل ليالينا بلا سحر .

إن لك عشاقًا كثيرين ، ولكن
لا يوجد مثلى من احترق قلبه فى عشقك وتعذب .

ومن أجل دواء قلبى المتألم الضعيف
لا يوجد مربى ورد فى العالم أحلى من شفتك .

وطالما كانت عينك الجميلة المرحة تنظر إلينا ،
فأنا لا هدف لى ولا قصد من عينك سوى هذه النظرة .

يا من ذهبتِ بلا سبب غاضبة منى أنا المسكين ،
عودى فلم يعد فى جسدى أثر للحياة .

يقول الرفاق : إذهب واتخذ حبيبة أخرى ،
والمشكلة تكمن فى أننى لا أجد مثلها .

لقد دمى قلب «همام» المتعب بسبب أحزان عشقك ،
والآن لا يوجد ما يتغذى عليه سوى هذا القلب .

يوم القيـــــامة

إن فراق ذلك القد وتلك القامة لهو يوم القيامة .. يوم القيامة ،

والصبر على تلك الشفة الحلوة ما هو إلا غرامة .. ما هو إلا غرامة .

إن الوصول لخدمتك ورؤية وجهك فى الصباح ،

سعادة ما بعدها سعادة ، وسلامة ما بعدها سلامة .

أين أنا والسلامة وأنا أعشق وجهك ،

ففى سلامة العاشق ملامة ما بعدها ملامة .

إن اللحظة التى أمضيها بدونك لا أحسبها من عمرى ،

فالحياة الباطلة ندامة ما بعدها ندامة .

إن همام لا يرغب فى الحديقة بدلا من ديارك ،

فالإقامة فى جنة ديارك إقامة ما بعدها إقامة .

الوردة ووجهك

ربما يكون قاسى القلب ولا روح له
كل من لا يكون له حبيبة مثلك.

ولا عاش قلب فى العالم
لا يؤمن بجدائلك الكافرة .

أيها المسلمون إن قلبى يتألم ،
ولا دواء له سوى رؤيتها .

وعلى الرغم من أن الوردة جميلة وفاتنة ؛
ولكنها لا تملك جمالا مثل جمال وجهك .

كيف أقارن بين الوردة ووجهك،
بينما الوردة لا يتجاوز عمرها أسبوعا .

فلتمت الروضة والوردة تحت أقدامك ،
فأنتِ لك روح والوردة لا روح لها .

اذهبى أيتها الرياح وقولى لجدائلها ،
لا تجعلينى حائرا مضطربا أكثر من هذا .

ولا تؤذِ «همام» المتعب المعذب كثيرا ،
فقلبه هو الذى أذنب بينما هو لم يرتكب جرما .

نافجـــــة الغزال

عندما يتفرج صاحب الوجه الجميل على الروضة ؛
فليكن الخجل والحياء من نصيب غصن الورد إذا أثمر وردا .

ولو حملت ريح الصبا عطرا من جدائله إلى «الصين» ؛
فإنه سيجعل المسك يستسلم فى نافجة الغزال ويطلب الأمن.

إن عمل عطر جدائله هو أنه فى وقت الصبوح
يجعل العشاق فى حالة وجد بدون سماع أو خمر.

ولو سَدَل جدائله المبعثرة فى الصباح؛
فإن الريح تحمل للعشاق منها العنبر بالقنطار(٤٩).

ولو رسم المصور صورته فى معبد للأصنام؛
فإن كل صنم يسجد بالقرب من وجهه مائة مرة.

لقد كنت أرسل إلى جدائله ريح الصبا ؛
لعلها تحضر لنا رسالة من القلوب المعذبة .

وليس ببعيد إذا مرت ريح الصبا هذه على جدائله ،
أن تأسر حلقات جدائله ريح الصبا أيضا .

وطالما أن عينه الثملة تخرب بنيان العقل والدين وأساسهما ،
فإنها تأخذ الزهاد ثملين وفاقدى العقل إلى السوق .

وإذا كان «همام» لا يدرى شيئا عن عينه الثملة فهذا جائز ،
فإن عينه الثملة تسلب إرادة عقل كل عاقل .

الحور العيـــــــن

لو ساعدنى الحظ وكنت رفيقا للحبيبة ؛
فما أجمل هذا الإقبال الذى أكون عليه وما أسعدنى .

إن مثل هذا القمر لا يظهر أبدا خارج أى خيمة ؛
وإن رُمت مثيلا له فلن تجده إلا بين الحور العين .

فبين ظلمة شعرها وتحت ضياء وجهها ،
أحيانا يكفر عقلى وأحيانا أخرى يلتزم جادة الدين .

لم تعد السماء فى حاجة إلى شموع بعد أن صارت لنا ،
مثل هذه الشمس الساطعة فوق سطح الأرض .

وعندما تتبختر وتتمايل محبوبتى يعلو صراخ الخلق وصياحهم ،
ولا أعتقد أن لـ «طوبى» صفات وشمائل مثل التى لها .

إن شفتها الحلوة الخمرية اللون تذهب العقل وتسكره،
بسبب تلك الخمر التى يكون ماء الحياة ضئيل القيمة بجانبها.

إننى أحب حديثها حتى لو كان لعنا وسبابا موجها لى؛
فإن السباب من الشفة الحلوة يكون كالثناء والمديح.

وفى تلك اللحظة التى يتحدث فيها «همام» عن جدائلها وخالها،
تكون أنفاسه التى تخرج من فمه عنبرية الرائحة طيبة .

وداع الـــــروح

الأرواح تكتوى بالنيران ؛ لأن الحبيب ذاهب،
وسيول الدم تجرى من العيون الباكية ؛ لأن الحبيب ذاهب.

إنهم يبعدون «يعقوب» عن «يوسف»،
ويخلعون خاتم «سليمان» (٥٠) من يده.

ويودع آدم ظل شجرة «طوبى»،
ويفارق «الخضر» شاطئ نبع الحياة.

إن الصحراء والمدينة تمتلئ بفتن الناس وجلبتهم؛
فكيف تقضى بينهم والسلطان ذاهب.

أرأيت كم يعانى الإنسان فى وداع روحه وفراقها؛
إن ما يحدث لنا من هجر الحبيب أضعاف هذه المعاناة.

واحسرتاه على جوهر صحبته الغالى النفيس ،

الذى حصلنا عليه بصعوبة ومشقة وهو يضيع الآن منا بسهولة ويسر .

إن ما يقتلنا هو أن يذهب الحبيب

فى هذه الغصة أيضا ، وعيناه تفيضان بالدمع وهو مضطرب .

فيا «همام» كن مؤهلا فى هذه الحالة ،

لأن جور الزمان لابد له من نهاية .

ففى موسم الربيع تعود النضرة والازدهار فى نهاية الأمر

للروضة بعد أن يفارقها فصل الخريف .

لو أزاح النقاب

لو أزاح حبيبى النقاب عن وجهه ؛
لازدانت الدنيا بأكملها من حسنه وجماله .

إنه يغطى جماله ويخفيه خلف النقاب،
فقل له : إن هذا الأمر لا ينبغى أن يكون.

لقد كان الغرض من خلق الحبيب الجميل هو أن
يرتاح العاشق المتيم ويهنأ برؤيته .

إنهم يعبئون السكَّر فى أكمام ثيابهم وحواشيها ،
عندما يفتح فستقة فمه بالحديث أو بالضحك .

إن شفته عطشى لدماء قلبى .. وأنا راضٍ؛
لأنه يتطلع دائما إلى دمى.

ولكن لو أن دمي يكون مثل ماء الحياة؛

فمن المؤسف أن يلوث شفته به.

عيون ماء الحيـــاة

إن قلبى لن ينقض العهد فى عشقك،
ويجب أن يكون لى قلب مكان كل شعرة فى رأسى.

لقد قدرت ثمن كل شعرة من شعر رأسك بروح،
فما أحسن المعاملة إذا لم يَزِد شخص آخر الثمن.

إن نسيم فصل الربيع يستمد المدد والعون من عطرك
الذى يزين الخمائل بالورود ويجعلها كالجنة.

إن شهيد سيفك يهب الأرواح للأحياء،
وسائل ديارك يقدم العطايا للأمراء.

فمن ذا الذى يوصل نسيم عطرك الفواح إلى المعذب الوله،
إذا كان مرتاحا وهو يحترق فى النيران المتأججة.

إن عيون ماء الحياة تنساب مياهها من شفتى،
عندما يجرى ذكر اسم الحبيب على لسانى.

لقد غسلت فمى ألف مرة بالمسك وماء الورد ،
وحتى الآن لا يليق بى أن أذكر اسمك على لسانى.

إن النظر إلى وجهك من الأمور المسلم بها لمن
لا يشغل عينَه بجمالٍ آخر .

ما أجمل الصباح المبارك الذى يستيقظ فيه «همام»
ويرى وجهك بمجرد أن يفتح عينيه .

شاطئ الوصـــال

لا تنبت فى البستان شجرة سرو مثل قامتك ،

ولا تترعرع فى الروضة وردة تشبه وجنتك .

لو تحمل الرياح رائحة جدائلك وعبيرها إلى أطراف الخميلة ،

فلن تنبت ورقة واحدة فى غصن دون أن تحمل رائحة الحبيب وعطره .

وطالما يصفون عينك الناعسة أمام النرجس ؛

فلن تنبت زهور السوسن من الطين الأسود بدون مائة لسان .

ولو فتحت الوردة فمها بدون ذكر وجهك ؛

فلن يكون لها وجه من الياقوت ؛ ولن يكون لها دُرٌّ فى فمها .

وحيثما انعكس ضياء وجهك على الأرض،

فلن تنمو هناك سوى الشقائق، ولن يترعرع هناك سوى زهور الأرجوان .

وإذا مرغت وجهى الأصفر فى التراب،

فلن ينبت من هذا التراب سوى الزعفران إلى أن تقوم الساعة(٥١).

إن النباتات ترتوى وتنمو من دموع عينى بسبب قامتك،

ولا تنمو ذات ليلة على شاطئ جدول عينى شجرة السرو الباسقة .

إننى لم أقطف وردة واحدة من على شاطئ نهر وصالك،

وكأن عينى لم ترها مطلقا أو أنها لا تنبت فى هذه الدنيا .

الطرة المجعـــــدة

لقد تعلق قلبى بالحسان فقط من كل هذه الدنيا وما فيها ،
وأتعجب كيف أصبر على فراق الوجه الجميل طالما كنت حيا .

ينبغى أن تمسك يدى بطرر ذوات الوجوه الملائكية :
وماذا يحدث إذا قبّل المريد يدى أم لم يقبل ؟

لم يكن العشق يخطر على بالى ولكن
عندما رأيت الطرة المجعدة تراجعت عن التوبة برغبتى .

إن شفتك الحلوة الخمرية اللون كانت تقول كلاما سمعته ،
وفاح من أنفاسك العطرة عطر ما زلت ثملا حتى الآن من انتشائى به .

إن عيون الماء قد فاض ماؤها من عينى الدامعة الآن ،
عندما جلست تحت ظل شجرة سرو بدون وجهك .

ومنذ أن حدث رباط بينى وبين طرف كل شعرة فى رأسك ،
لم أرتبط مرة أخرى مع أى حبيب ولو بمقدار شعرة .

وعندما انعكس ضياء من شمع وجنتك على عين «همام»،
أغمضت عينى عن رؤية شموع السماء ونجومها.

السلطان والشحاذون

لقد استرحنا من رائحة طرة الحبيب العطوف ،

حتى لو لم يكن هناك فى الدنيا مسك ولا عنبر .

وعندما نغازل طيفه فى الخلوة ؛

فإننا لا نفكر فى الروضة وننسى البستان .

وطالما كان طيف قامته ماثلا أمام عيوننا الباكية،

فإننا مرتاحون حتى لو لم ينبت شجر السرو على شاطئ النهر الجارى.

ونحن الذين كنا نطلب الراحة لأرواحنا،

عندما تخلينا عن الروح وودعناها عندئذ استرحنا .

بالأمس مر علينا الحبيب فجأة بدون الأغيار ؛
ذلك ما تصورناه .. وهكذا استرحنا .

هو يجلس كسلطان بجوار القمريات الوجه على الحرير،
ونحن الشحاذون لرؤياه الطيبة قد وقفنا على بابه.

نحن لا نفكر فى تغريد البلبل طوال الليالى وحتى السحر؛
وقد استرحنا لعواء الكلاب فى دياره.

إن وصف شفتيه يتردد على ألسنة العاشقين وهذا يكفى؛
فقد استرحنا من صفات جنة الخلد .

إن «همام» لا يتخلى لحظة واحدة عن ذكره؛
فلا جرم أن ارتحنا من أنفاس ذلك الفصيح المفوه.

أنفاســـــه

إن حياتنا تتجدد عندما يفتح الحبيب فمه ،

سواء من عطر الورد أو نَفَس ماء الحياة أو الكلام .

فمن أنفاسه تصبح مشامنا كنوافج المسك ،

حتى لو أبعدت مجمر العود عن مجلسنا .

وإذا دخل الروضة فإن أحدا لن يتذكر

حركة أشجار السرو والنارون وتمايلهما بجانب حركات قامته وتمايلها.

لقد حملت الرياح غبار دياره إلى البستان فى وقت السحر،

وعندما شم رائحته مزقت الورود قمصانها.

ومن العرق الذى يسيل على وجنتيه خجلا
لم يبق لقطرات الماء وجود على أوراق الورود والياسمين.

وعندما هبت الرياح برائحة طرته الطيبة على تراب دياره،
حمل التجار المسك من على الأرض ونقلوه إلى مدينة «ختن».

لقد وَهَبْتُ روحى لشفتك وطأطأت برأسى أمامك،
والشمع والمعشوق هما وعاءان للروح وما عداهما أبدان فقط.

فكيف تعير روحى الكسيرة انتباها،
وآلاف الأرواح تسكن تحت كل طية من طيات طرتك.

يا منية العيـــــن

يا من تكون رؤيتك فى الأحلام هى منية عينى،
إن الفراق لا يمكنه قطع رباطنا.

أخشى أن تصل روح الهجر الحلوة إلى الشفاه،
حتى يحين وقت لقائنا معا.

فإلى متى يصل الإذن حتى لا أظل ممنوعا من النظر إليك،
فإشارة منك أيها الحبيب يقابلها إطاعةِ للأوامر.

وسوف أبذل كل ما فى وسعى طالما بقيت روحى،
فلا يجوز للمشتاق أن يهدأ لحظة واحدة ويقر له قرار.

فالعين التى شاهدت ذلك الشكل وتلك الشمائل،
لابد وأن تعيش فى ملل بدون أن ترى ذلك الوجه الجميل.

فأين يبيعون لنا وصالك بنصف الروح ،
وإذا أمكن شراؤه بمائة روح فهو رخيص .

إن عينى تغار دائما من أذنى
عندما تستطيع سماع رسالتك من بعيد .

وقد ظل عقلى فى حيرة من صنيع الخالق ؛
حيث إنه استطاع خلق شمس من التراب.

إن «همام» يقضى الليالى على أمل الرؤيا ،
التى يمكنه فيها احتضان طيفك .

رسول الحبيــب

يانسيم الربيع يا من تحمل معك عبير الجنة،
هل جئت من قِبَل الوردة أو أنك رسول من ذلك الحبيب.

لا إن مثل هذا النسيم لا يأتى من الروضة؛
فواضح من عبيرك أنك جئت من قبل الحبيب.

لقد مررت على منزله وحملت أثرا منه،
لأن جدائله الحاملة للمسك طيبة الرائحة وغير مستقرة.

إنها الرائحة التى تحيى الروح وتفتح على القلب وتلهمه،
ويَهُبُّ من جدائل حبيبى ما لا يتأتى منك أيتها الوردة.

وإذا كانت قامته تتبختر وسط البستان؛
فإنك يا سروة الجدول تظلين مكانك بلا حراك .

عش العنـــــقاء

لا خلا القلب من حبك لحظة،
فلا قيمة لجسد بلا روح.

إن قلبى هو عش لعنقاء(٥٢) عشقك،
فلا خلا هذا العش من ظل ذلك الطائر أبدا.

لا يوجد فى تلك الدنيا باعث أو دافع لأى روح
حتى تتخلى عن الشوق إليك فى هذه الدنيا.

بسبب غيرتى وحسدى لكلاب ديارك،
أخلى الأرض هناك دائما من العظام.

فليكن بقاء وجهك مضيئا للعالم،
حتى لو خلت السماء من القمر والشمس.

لا يصل جمال حديثى وحلاوته إلى أى قلب،
إذا خلا اللسان لحظة من الحديث عنك.

فأى فائدة تعود على «همام» من اللسان
عندما يكون الكلام خاليا من سيرة الحبيب العطوف.

يا ماء الحيـــــــاة

لقد مت عطشا يا ماء الحياة ،
فماذا تعرف أنت عن أحوالى وأنت لست فى النار .

فإذا لم تَدْعُنا يا سلطان زمانك ،
فيكفى الدرويش ألا تطرده من على بابك .

وطالما أن هذا الربيع الطيب لن يبقى إلى الأبد ،
فالحق بالعشاق لأنك تقدر على ذلك اليوم .

ووافق الأحبة والرفاق سرا ،
فأنت إن تنفست نفسا واحدا وأنت معهم يكون فيه الحياة .

لا تنظر فى الماء لأننى أخشى إن رأيت وجهك ،
ألا يكون لك صبرنا، وستظل حائرا فى أمرك .

ولو ظللت معنا ؛ فماذا يبقى لمُلك الدنيا ،
إن هذا هو المُلك والإقبال والتوفيق والسعادة .

عندما تمر علينا أنظر إلينا خلسة ،
وآه لو سلمت علينا همسا وسرا .

إن لحظة فى وصال وجهك بدون مضايقة المنافسين والخصوم ،
تكون أحلى عند «همام» من الحياة الخالدة .

الذنب ذنبنا

يا شمس الحسان ويا أيتها الآية الإلهية ،
إن الحسن مسخر لك من السماء إلى الأرض .

لو كان للقمر مدد من وجهك ؛
لما توارى القمر وقت الخسوف خلف الظلام .

لا .. إن حسنك ليس له نهاية ولا حدود مطلقا ،
وشوقى إليك لا نهاية له كذلك .

لو أنك تريقين دماء العاشقين بنظرة ،
فإن الذنب يكون ذنبنا إذا قلنا أنك أذنبت .

وأمام كلاب ديارك ، وفوق تراب أعتابك ،
لو كان لى مجال هناك لنازعتهم على هذا الملك .

إننى أشكو كثيرا فى نفسى ولكن ماذا أقول،

فأحوالى تعرفينها كما هى بدون أى حكاية.

إنـنى أرى أن كل شىء مـا عـدا رؤيـة وجه الحـبيـبـة يـكـون من المعاصى،

وأرى أن محبة الآخرين تكون من المناهى.

فأنت قمر المحبة ، وأنت أيضا روح الحياة ،

وأنت نور العين والقلب ، وأنت أيضا السند والمعين .

إن روح «همام» تحمل أثرا من عطر الأحبة ،

وتشهد أنفاسه العنبرية أيضا على ذلك.

أيتها الــــــوردة

أيتها الوردة متى تتفتحين من برعمتك ،
فقد صرت متيما من الانتظار .

إن البلابل لم يغمض لها جفن طوال الليل وحتى السحر ،
فأزيحى النقاب عن وجهك .

لقد أَخْبرتِ ريح الصبا بأنك قادمة ،
وها أنذا وهذه البشرى والصبر .

ولو كان أمامى ألف شخص آخر أو يزيد ،
فإننى سألفظ أنفاسى من الوحدة فى عدم وجودك .

فعينى ترغب فى رؤياك ،
وقد وَعَدْتِ بهذه الرؤية .

فضعى قدمك على عينى،

حتى تزينى جدول مائها بالورود.

إننى عَطِشٌ شوقا لماء الحياة،

وقد احترقت ، ألا ترحمينى؟

ليس كل نظر يليق بجمالك،

ولذلك تناثرت العيون هنا وهناك.

لقد تغلب الوجد على «همام» بسبب حديثك؛

فأخذ الشعر يجرى على لسانه بفصاحة.

الخضر وماء الحيـــــــاة

أنت روضة ونحن سكارى عطرك،
فماذا يحدث لو بلغت مرادى معك.

لما كانت عينى محرومة من وجهك؛
فلا أقل من أن ترسلى عطرك مع ريح الصبا عند السحر.

وإذا ارتبطنا معا يا أيتها الحبيبة؛
فإننى سوف أتخلى عن كل ذوات الوجوه القمرية.

ولما كان مراد «الخضر» هو ماء الحياة؛
فإن عينه لا تهتم بماء الجداول والأنهار.

الجنة والسجن(٥٣)

ذهبتَ ولم يفارق حبك روحى ،
كما أن طيفك لا يغادر عينىَّ الباكيتين .

إن تلك القامة الفارعة لم تبتعد عن نظرى ، ولكن
صورة السروة المتمايلة لم تفارق رأسى.

لو دعيت للجنة بدونك ؛
فإننى سأقول : إن هذا الضعيف المسكين لا يذهب إلى السجن.

فقلل اللوم لى ، لأننى بلا إرادة،
وهذا القلب لا يطيع أحدا سوى الحبيب.

كان القلب قد عقد مع أطراف جدائلك عهد المحبة ،
ومضى العمر ولم يفارق هذا العهد رأسى .

إن روحى فداء لمن لا تمحى من على لوح ضميره ،
صورة الوفاء وصحبة الأحبة .

وذلك المحب الذى سيصبح جسده ترابا ،
لن تفارق روحه محبة الأحبة.

خسرو الدهلوى

(توفى عام ٧٢٥هـــ)

هو الأمير خسرو بن الأمير سيف الدين محمود الدهلوى شاعر إيران الكبير الذى كان يقيم فى الهند فى مدينة دهلى ، ومدح ملوك الهند . انضم الأمير خسرو إلى حلقة مريدى أحد مرشدى الصوفية بالهند ويدعى الشيخ نظام الدين أولياء .

سار فى نظم الشعر على غرار الشعراء سنائى والخاقانى ونظامى والسعدى، وكان فى الغزل يسير على نهج السعدى على وجه الخصوص، ولكنه رغم اتباعه للشعراء الآخرين كان يقول: إن كتاب شعرى له حبكة شيرازية. كما أن له طابعا مميزا فى شعره حوّل شعره إلى شكل جديد تدريجيا عرف فيما بعد بالأسلوب الهندى. وينقسم ديوان شعره إلى خمسة أقسام :

١ ـ **تحفة الصغر:** وهى الأشعار التى أنشدها فى مرحلة الشباب، وتتكون من قصائد، وغزليات، وترجيع بند، وفيها مدح السلطان غياث الدين بلبان (٦٦٤ ـ ٦٨٦) وابنه الشيخ نظام الدين أولياء.

٢ ـ **واسطة الحياة** : ويضم القصائد التى نظمها فى مدح الشيخ نظام الدين أولياء ونصرة الدين سلطان محمد الابن الأكبر لبلبان المقتول فى عام ٦٧٣ والسلطان معز الدين كيقباد (٦٧٦ ـ ٦٨٩).

٣ ـ **غرة الكمال:** وهو الذى تحدث فى مقدمته عن الشعر الفارسى والمحسنات البديعية، وذكر شعراء إيران العظام من أمثال سنائى والخاقانى والسعدى ونظامى ومدح فيه الشيخ نظام الدين أولياء والسلطان معز الدين كيقباد وجلال فيروز شاه (٦٨٩ ـ ٦٩٥) وخليفتيه ركن الدين وعلاء الدين .

٤ ـ **البقية النقية:** وقد نظم قسما منه فى مدح علاء الدين محمد شاه (٦٩٥ ـ ٧١٥) وابنه وأمراء آخرين، وهو منظوم فى وقت شيخوخة الشاعر .

٥ ـ **نهاية الكمال:** ويضم قصائد فى مدح السلطان غياث الدين تغلق (٧٢٠ ـ ٧٢٥) ورثاء السلطان قطب الدين مبارك شاه (المتوفى عام ٧٢٠هـ) وهى آخر أشعار نظمها الشاعر فى أخريات حياته .

وتعتبر قصائد الأمير خسرو من القصائد الطويلة ، ومعظمها اقتدى فيها بقصائد للخاقانى كما تأثر أيضا بنظامى ونظم خمس مثنويات تقليدا له، وهى: مطلع الأنوار، وشيرين وخسرو، ومجنون ليلى، وآئينه اسكندرى، وهشت بهشت. وللأمير خسرو منظومات أخرى مثل: قران السعدين، ونه سپهر، ومفتاح الفتوح، وهى فى شرح أحوال ملوك الهند وصفاتهم.

ومن مؤلفاته النثرية كتاب «خزائن الفتوح» ، و«رسائل الإعجاز فى فن الإنشاء». ويمكن اعتبار الأمير خسرو أعظم شاعر إيرانى أقام فى الهند.

لحظـــــة الوداع

تمطر السحاب وأنا أفارق حبيبتى ؛

فكيف أنزع قلبى فى مثل هذا اليوم من قبضة الحبيبة .

ويقف السحاب والمطر وأنا والحبيبة فى لحظة الوداع ،

وكل منا يبكى على حدة أنا والسحاب والحبيبة .

فالعشب الأخضر حديث النمو ، والجو مبهج ، والبستان نضر ،

وبقى البلبل المسوَّد الوجه بعيدا عن الروضة .

لقد دمعت العين دموعا تقطر دما من أجلك ،

فيا إنسان عينى كونى صاحبة مروءة وإنسانية ولا تفارقى تلك العين التى تقطر دما.

ولا أريد أن تبقى نعمة الإبصار بعد ذلك ،
طالما أن العين ستحرم من نعمة رؤية الحبيبة.

ولن يبقى سجنك طويلا عندما تهجرين «خسرو»،
فالوردة لا تعيش طويلاً عندما تنفصل عن شوكها.

ماء الـــــورد

عندما تمر أيها الحبيب بديارنا ،
وتختلس النظر إلينا فى تلك الديار .

ستجد روحى فى مكانها ولكننى لست حيا،
لأن عماد عمرى وقوامه لا يكون إلا بروح أخرى.

لقد ثملت لأننى رأيتك فى النوم ليلا،
وما زال أثر من هذا السكر باقيا حتى الصباح.

فلا ترق ماء الورد من عينيك مرة؛
فإن لذة العشق طوال العمر بالنسبة لنا تكون فى صداعه وآلامه.

ألم تتذكر مطلقا يا فاتنى أنه فى وقت سابق
كان لك عاشق محترق شريد.

ابتعدَت عنـــى

ابتعدت عنى صاحبة الخصر النحيل،
فضاع القلب ونأت الروح.

فقولوا لها على لسانى:
إن هناك قلبا بقى بعيدا بسبب صمته.

وأصبح جدول عينى مليئا بالدم،
لأنه ابتعد عن تلك السروة الفارعة.

إن هلاك روحى يعرفه ذلك الشيخ
الذى ابتعد ذات يوم عن الشباب.

وقد بُحَّ صوت الطائر
الذى ابتعد عن الروضة.

فاسأل شخصا عن أحزان الغريب وآلامه،
لأنه ابتعد عن منزله وأحبابه.

واشهَد أيها الليل على بكائى ونواحى؛
فأنت بعيد عن سوء الظن بى .

وتحدثى معها عن «خسرو» ذات ليلة أيتها الرياح؛
فقد ابتعد الحارس عن هذا الباب.

سفينة المراد

ضاع القلب ولم يفارقه حبك ،
وتمزقت نياطه ولم يفارقه ألمك .

إن القمر يتقابل مع وجهك كل ليلة ،
إلا أن النهار لا يواجه وجهك ذات يوم .

وجهى ذهبى اللون وأنا أجعله ترابا على أعتابك ،
ووصالك كيمياء عزيزة المنال لا تتحقق أبدا .

لقد صارت دموعى حمائل للفلك بسببك ،
أما يداى فهما ليسا حمائل حول رقبتك .

أصبح القلب مقرا للغم ، ولا تصل قافلة الصبر
إلى منزلها بسبب قطّاع طرق الهجر .

لقد وقع «خسرو» فى مياه الأمانى العميقة؛

بينما سفينة المراد لا تصل إلى الساحل أبدا.

العين والقلـــب

لا نوم فى عينى ولا قلب أسيطر عليه ،
فالعين والقلب كلاهما قد افتتنا وثملا من وجنتيك .

لقد تمزقت الحجب، ولن يخفى أحد هذا السر،
وتفتحت البراعم . ولن تغلق أكمامها من جديد .

يا من أصبح الملاك أسيرا مقيدا من سحر عينيك،
وليس ببشر من يستطيع إغماض عينيه عن رؤيتك .

منذ أن ترعرعت قامتك السروية الفارعة فى بستان الدنيا ،
سقطت كل شجرة حديثة الغرس زُرعت فى البستان .

لماذا تفرك يديك استعدادا لإراقة دمى ،
الأفضل أن تريق دمى وتمسح يديك .

كل من لا يضحى بروحه فى سبيل الحبيب يكون ميتا ،
بل إن الميت يقدم روحه أيضا إذا كانت فى جسده .

إن «خسرو» لا يمكنه إغماض عينيه فلا يراك فى أحلامه،
كما أنه لا يمكن منع الهندوسى من عبادة الصور وتقديسها .

الحديث عن الحسان

شاخ الجسد ... وما زال حب القلب شابا يافعا ،
دمى القلب ... وما زال الحديث عن الحسان يجرى على اللسان.

أوشك عمرى على نهايته وكاد نهارى أن يصبح ليلا ،
وما زال سكرى من عشق الحبيبة كما هو .

لقد امتلأ العالم كله بشهداء الفتنة والغرام ،
وما زال سهم البلاء مصوبا نحوى من قوسها .

وبقى الناس جميعا يقظين طوال الليل من أنينى ،
بينما ظلت صاحبة العين الناعسة تلك تغط فى سبات عميق .

إن دلالها يزداد كل لحظة فى حين أن
«خسرو» ما زال يأمل فى التحرر من قيدها حتى الآن.

سلطانة على مُلْك القلب

لقد سلبتى الروح من جسدى ولكنَّكِ ما زلت تسكنين روحى ،
وسببتِ لى الآلام ولكنك ما زلت أنت الدواء الشافى لى .

ومزقتِ صدرى علنا ،
وما زلتِ مختفية فيه حتى الآن .

وخربَّتِ مُلْك القلب بسيف الغضب ،
وما زلتِ سلطانة على هذا الملك الخرب .

لقد قلتِ أن قيمتك تساوى كلا العالمين ،
ارفعى الثمن فإنه ما زال رخيصا .

أنا فى البكاء كمن يُلقى الملح فى عينيه ،
وأنت فى الضحك كمن يتناول قطع السكر .

لقد تحررت الروح من قيود الجسد وأغلاله ،

إلا أن قلبى ما زال مقيدا وحبيسا بين طيات جدائلك .

إن الشيخوخة وعشق الحبيبة لا يتفقان؛

فإلى متى تظل يا «خسرو» ولها متيما .

حاجبه وأهدابـــــه

كم من الليالى كنت مع الحبيب القمرى الوجه ، فأين ذهبت تلك الليالى يا إلهى ،

الليالى ما زالت موجودة الآن إلا أنها سوداء مظلمة من الدخان يا إلهى .

ما أجمل تلك الليالى التى قضيتها معه أحيانا فى سُكر وأحيانا فى سرور وهناء ،

إن الدنيا تظلم فى وجهى عندما أتذكر تلك الليالى .

كنت أتحدث كل لحظة عن حاجبه وأهدابه ،

كما يردد الأطفال سورة «نون والقلم» (٥٤) فى المدارس .

ماذا يحدث لو سأل مرة،

كيف يعانى غريب من شدة الحمى تحت جدار منزله فى ليالى الوحدة.

فيا «خسرو» لا تحزن من أجل الروح إذا عانت منك؛
فللحسان كثير من التصرفات من هذا النوع.

علاء الدولة السمنانى

(توفى عام ٧٣٦هـ)

هو أبو المكارم ركن الدين أحمد بن محمد البيابانكى السمنانى من متصوفة النصف الثانى من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن العظام، ولد فى عام ٦٥٩هـــ فى قرية بيابانك إحدى قرى سمنان. وكان أبوه محمد الملقب بـ «ملك شرف الدين» يتولى الوزارة على عهد غازان خان . وقد حَصَّل علاء الدولة فى شبابه العلوم العقلية والنقلية، واشتغل فى الديوان فى عهد أرغون عندما وصل إلى سن الخامسة عشرة وكان ملازما لعمه هناك، وصار محل اهتمام من أرغون خان، إلا أنه ترك هذا العمل الديوانى بعد عشر سنوات، وانشغل بالعبادة واستكمال دراسته فى العلوم الدينية، فدرس الصرف والنحو والحديث والتفسير والفقه على يد أساتذة متخصصين، وحصل على إجازة الرواية. وفى عام ٦٨٧ سافر إلى بغداد والتحق بخدمة الشيخ عبد الرحمن الإسفراينى وصار واحدا من مريديه، ومن هناك توجه إلى مكة ثم عاد إلى بغداد وحصل على مرتبة الإرشاد من الشيخ عبد الرحمن، ثم عاد إلى سمنان واستمر فى العبادة والإرشاد.

ولعلاء الدولة أعمال كثيرة بالفارسية والعربية، وينسب إليه حوالى ثلاثمائة كتاب ورسالة؛ منها: «مطلع النقط ومجمع اللقط» فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية، و«سر البال فى أطوار سلوك أهل الحال» بالفارسية، و«سلوة العاشقين» بالفارسية ، و«العروة لأهل الخلوة والجلوة» فى الحكمة الإلهية . وكان علاء الدين ينظم الشعر أيضا، وأشعاره فى الغزل والرباعى ما زالت موجودة باقية.

نية السفـــر

مرة أخرى ينوى حبيبى السفر ،
وسوف يقلب حال قلبى رأسا على عقب .

وسوف يطعن بخنجر الفراق عنق روحى ،
وسوف يطلق سهام أحزانه علىّ بشكل أسوأ .

وسوف يتأكد لقلبى العاشق المفتون ،
أنه سوف يهدر دم العشاق على وجه اليقين .

وعند فراق المحبوب ذى الوجه الجميل المبهج للقلب ،
سوف يجعل دموع العاشق تسيل من عينيه ممزوجة بدم القلب .

وقد ضحيت أنا العاشق بنفسى فى غم هجرك فى الدنيا ،
على أمل أن الحبيب ربما ينظر إلىّ .

ولما كان الحزن من أجله قد أحرق قلب علاء الدولة وروحه؛
فإنه سوف يمضى بعد ذلك صوب الخرابات(٥٥)

وسوف يصب الماء بلا خوف على نار الأحزان،
وسوف يجعل من اسمه قصة تروى فى كل الدنيا.

آهة قلب المظلومين

لا يتغلب عشقك إلا على قلبى ،
ولا تصيب روحى سوى سهامك الدموية القاتلة .

إن آهات قلب المظلومين محرقة للقلب :
إلا أنه لا توجد آهة مثل آهاتى أنا المسكين فى إحراقها للقلب .

ولن يطلع صباح من مشرق الوصال ذات ليلة فى نهاية الأمر ،
طالما أنه لا يكون لليلة الهجران هذه نهار .

إن شهر رمضانى لا تظهر فيه ليلة قدر ،
وليس لسَنَتى الطويلة ربيع(٥٦).

فكيف يفهم الناس حال قلوب العاشقين؟
إن قصتهم ليست سوى شىء مبهم غامض.

وطالما ترك «علاء الدولة» أبواب السلاطين؛
فلن يكون من زمرة المساكين المبعدين .

وسوف ينتصر دائما فى مملكة الروح ؛
عندما لا يتغلب عليه شىء سوى الفقر .

هل كان؟ لا لم يكـــن

هل كان للشمس جمال وضياء بقدر جمال وجهك المليح وضيائه؟
لا ... لم يكن

وهل كان للورد والعنبر شذى كشذى جدائلك المسكية ؟ لا ... لم يكن .

وهل يشبه سرو البستان قدك وقامتك الممشوقة ؟

وهل كان فى بستان العالم سرو أجمل من هذا ؟ لا ... لم يكن .

أين يوجد الدر والجواهر التى تعادل ألفاظك اللطيفة الموزونة ؟

وهل كان هناك سكر فى حلاوة شفتيك الياقوتيتين ؟ لا ... لم يكن .

وهل يمكن الإشارة إلى لطف ذاتك الطاهرة ؟ لا ... لا يمكن،

فانصفنى، فهل كان هناك من هو أفضل منى فى الصفاء والنقاء معك؟ لا ... لم يكن .

وعندما أخرجت جواد التجلى من هذا الميدان وسقته بعيدا ؛
هل كان لدى أى شخص أمل فى تلك الحالة؟ لا ... لم يكن .

إنك تسلبنى الروح بدلالك، وتسفك دمى بغمزاتك،
فهل كان لدى أحد من الناس حبيب مثل هذا الحبيب فى كل العالم؟ لا ... لم يكن.

يقول «علاء الدولة» هل كان هناك أحد آخر تائه حائر فى ديارك
مثلى بسبب حرقة روحه وآلام قلبه ؟ لا ... لم يكن.

لقد أخطأت فى هذه الحالة ، وأنا أقول مثل هذا الآن؛
فهل كان هناك أحد فى ديار عشقك أقل منى؟ لا ... لم يكن.

وهل يمكن الخلاص من شباك عشقك أبدا؟ لا ... لم يكن.
وهل كان هناك صيد أكثر بؤسا منى فى هذه البلاد؟ لا ... لم يكن .

شجرة ورد الوصـــال

طرتك ليست سوى سارقة ،
وغمزتك ليست سوى سفاكة للدماء .

لم يقطف القلب زهرة واحدة من شجرة ورد وصالك ،
إلا ووخزت أقدام روحه شوكةٌ أخرى .

إن القلب لا يروم روضة أخرى
سوى روضة وجودك يا أيها الحبيب .

إن القلب لا يهرب من أذاك ؛
فتعال ... فهو يطلب هذا الأذى كل لحظة وحين .

أنت تغرس الشوك فى أقدام روحى ؛
حتى لا أحوم حول الوردة مرة أخرى .

وعندما تراني متعبا منهكا تحت وطأة هذه الأحمال ؛
فإنك تضع فوق أحمالي حملا آخر .

إن أحدا لم ير في عالم العشق
محتالا آخر كعشقك مطلقا.

وإذا صوبت سهام الجفاء إليّ في كل لحظة؛
فإنني لن أتخذ حبيبا آخر غيرك.

إن «علاء الدولة» يعلنها صريحة مدوية:
إنه لا يوجد أي حبيب آخر لقلبه مثلك.

أيتها الحبيبة خذى بيدى

أيتها الحبيبة خذى بيدى فقد تعثرت،
وقد عزمت على الوفاء لك من كل قلبى.

ومنذ أن حزمت حزام الصدق على وسط روحى؛
فَتَحْتُ باب السعادة والهناء أمام قلبى .

وكأننى ولدتُ من أم الأيام يا قمرية الوجه
لكى أكون عبدا من عبيد أعتابك.

وأنا أمتطى مركب الوفاء لك حتى
أترجل من على حطام الهوى المخالف.

ومنذ أن سلكت طريق عشقك يا أيتها المحبوبة؛
فليس لى من زاد فى هذا الطريق مطلقا سوى ذكرك.

ومنذ أن دخلت حانة وصالك ،

فليس لى من خمر أشربها دائما سوى تلك التى أشربها من شفتيك الياقوتيتين

قالت : يا «علاء الدولة» ألم تكن تقيا من قبل؟

قلت : إذهبى ، فقد أضعتُ التقوى وفقدتُها.

وصلت ... وصلت

وصلت ، وصلت ، وصلت ، وصلت
إلى منى القلب وأمله عندما رأيت وجهه .

رأيت ، رأيت ، رأيت ، رأيت
جمال وجهه عندما وصلت إلى دياره .

تذوقت ، تذوقت ، تذوقت ، تذوقت
خمره الصافية كشفتيه الياقوتيتين .

تذوقت ، تذوقت ، تذوقت ، تذوقت
خمر العشاق عندما عضضت شفتيه .

فصرت مريدا ، مريدا ، مريدا ، مريدا
واشتريت مرادى بمائة روح .

يقول «علاء الدولة»: إننى خرجت من محبس الدنيا ،
وتخلصت من أحزانها .

وتحررت ، تحررت ، تحررت ، تحررت
من نفسى ومزقت كل الحجب والستائر .

ومزقت ... ومزقت كل الحجب والستائر ؛
عندما حلقت فى أوج عالم وصاله .

وتخلصت من أحزان هجره وآلام فراقه ،
عندما اخترت الخلوة مع الحبيب .

الولع برؤية الطيــف

أنا من ليس لى فى العالمين أحد سواك ،
ولا أملك من الحياة ومتاعها فى الحقيقة سوى هذا النَفَس.

بالله عليك أنا منذ أن ابتليت بغمك،
مللت نفسى ولم أعد أفكر فى أحد مطلقا .

وعندما قدمت إلى ديارك أصبحت حائرا،
أنا الثمل المسكين بسبب عشقك، ولم يعد لى طريق أمامى أو خلفى.

إن الولع برؤية طيف وجهك سلب النوم من عينى،
قسما بالله ... إننى لا أرغب فى شىء من العالمين سوى هذا .

إننى أطوف طوال الليل حول ديارك وأبكى،
ولا أغادر ديارك ولا أخشى شيئا من العسس.

حطم يا «علاء الدولة» قفص وجودك،

حطمه بلا توقف أو تردد؛ فأنا لا أفكر فى القفص ولا أميل إليه.

أيها المليك لقد ضاق قلبى وروحى ذرعا

من الحقد والبغضاء.

فدعهما يترجلان؛

فأنا لا أطمع فى فرس.

وصمة الحـــــب

تعال .. تعال .. فأنا المشترى لجفائك بروحى ،
ولا تذهب .. لا تذهب .. فإننى لن أتخلى عن الوفاء لك .

أنظر .. أنظر .. أى حزن وهم أصاب قلبى منك ؛
ولا تفعل هذا ... لا تفعل هذا ، فأنا لا أستحق منك كل هذا .

عجبا ... عجبا .. لأنك لا ترحمنى ولا تشفق على ؛
وطبعك قرين دائما لإيذائى .

وإذا هرب قلبى ألف مرة من جورك وظلمك ،
فإننى أرده مرة أخرى بلطف عن طيب خاطر .

وآتى به إلى بستان وفائك،
فتقول له لا تشم وردة الوصال وانعم بشوكها.

وإذا لم أجد الوفاء لك فى روحى وقلبى،
فبحق الحق سوف أنفر منهما بصدق.

هكذا قال «علاء الدولة» من باب التحقيق:
إن لسانى لن يتحدث عن أحد غيرك.

فأنا أزرع بذور المحبة فى مزارع القلب،
منذ ما يقرب من ثلاثين عاما يا أيها الحبيب.

بربك أصدقنى القول، هل يجوز يا أيها الحبيب
أن تثمر بذور محبتك نبات الجفاء؟

فإذا جئت مسرعا مع كل اللطف والصفاء،
يعلم الله.. إلى أى مدى تصل أمورى.

وإذا أردت أن تريق دمى بسيف غمزتك؛
فقد حَلَّلت لك ذلك ، وليكن سيفك سفاكا للدماء .

إن أحدا لا يستطيع شرائى فى كلا العالمين ،
لأن وصمة حبك مطبوعة على جبين روحى .

فبحق غمزتك القاتلة وعينك الثملة الناعسة
إننى أشترى أحزان عشقك فى مقابل روحى.

أنا متنفر من الاسم والعار

ليس فى مقدورى أن أبعد قلبى عنك تماما ،
وليس بإمكانى أن أجعلك قريبا من روحى .

لا قدرة لى على التنحى عن عشقك ،
ولا قدرة لى على أن أسلم القلب للعقل .

ولا يوجد مؤنس لى أشرح له حالى ولو للحظة ،
حتى ينظر إلى حالى نظرة كلها شفقة .

لا يوجد عاشق يرافقنى فى هذا الطريق ،
ولا يوجد صديق صدوق يواسينى بلطفه .

لا يوجد عاقل أجعله مستشارا لى ،
ولا يوجد غافل يصور لى فى كل لحظة مائة تصور .

لا يوجد مخلص يربت على رأس روحى ،
ولا يوجد مشفق ينزع الشوك من أقدام قلبى .

لا يوجد شاهد يشهد على حال قلبيـ،
وكيف أصل الليل بالنهار بأى حالة من الغم والحزن.

لا يوجد قاض يفصل فى دعواى،
ولا يوجد حاكم يحررنى من قيد الأحزان.

لا يُسمح لى بالتمكن من تقبيل يدك،
ولا تُتاح الفرصة للحبيب للسؤال عن حالى.

لا يوجد عمل أنال بفعله الرضا،
ولا توجد حيلة أو وسيلة تخفف الآلام عن قلبى.

ليست لدى الحمية التى تجعلنى أقيد شيطان النفس،
وليست لدى الهمة التى تجعلنى أسلم قلبى وروحى للغير.

فيا «علاء الدولة» الأفضل لك أن تعتكف فى زاوية؛
حتى تذرف دمعا دمويا من عين قلبك.

ولا تخفِ قلبنا من الاسم والعار أكثر من هذا ،
فماذا يكون الاسم والعار ؟ إننى أنفر وأشمئز منهما .

فأنا لست رجل زهد ولست كفؤا للطاعة،
فاحضر الخمر فأنا أهوى خمار السكر بكل روحى.

لقد أصيب قلبى بطعنة من سيف غمزتك السفاكة للدماء،
وأصبحت أسيرا فى حلقات أطراف جدائلك بروحى.

ولما أسرت روحى بشباك جدائلك،
طلبت روحى منى ، فمن أين آتى بها؟

لقد استوليت على قلبى وروحى ولم ترحم حالى،
والعجب أن يكون لك مثل هذا المطلب منى.

أجنحة العشق وقوادمـــــه

لقد ثملت وغبت عن الوعى من خمر عشقك ؛
إلى درجة أنه لم يبق منى أى أثر .

ووصل كمال سكرى إلى الحد الذى
جعل كل من أَمُرُّ عليه ثملا .

فكيف أشرح حال سوء سكرى ؛
فإن كل ما أشرحه أكون أنا أسوأ منه بكثير .

إن الله مطلع على ضميرى الباطن ،
ولمن تكون حكايتى ، وماذا تكون قصتى فى هذه الدنيا .

وماذا يكون حديثى من المساء وحتى الصباح ،
ومن أجل من يكون بحثى وتنقيبى كل سَحَر .

الله يعلم وأنا أعلم وأنت أيضا تعلم،
أننى معرض للخطر الشديد فى طريق العشق .

إلا أن لطف الله الكريم كان معى ؛
لأنه لا يوجد ما أتطلع إليه مطلقا غير الله .

ولما كان خنجر ذكره فى يدى ،
فإننى دائما لا أشك فى عنايته .

فأنا فى عفة من عزته ، وفى ستر من عصمته ،
وأنا لا أمزق هذه الحجب بأى شكل من الأشكال .

أنا لا أريد غيرك مطلقا ، وأنت تعلم هذا جيدا ؛
وأنا لست عبدا للمرأة والأولاد والجاه والفضة والذهب .

إن «علاء الدولة» يقول بصوت مرتفع :
إننى مقيم فى الخرابات وثمل لا أدرى.

وأرى طيفك فى النوم واليقظة على السواء ؛
وأرى جمالك فى كل ما أنظر إليه .

وأنا حذر دائما بسبب خوفى من هجر الحبيب ؛
وأنا فى سفر دائم على أمل وصاله .

بحق ماء الحياة الذى ينساب من شفتيك السكريتين ،
إننى لن أحلق فى سماء الدنيا إلا بأجنحة العشق وقوادمه .

هل يمكن ؟ لا .. لا يمكـــــن

هل يمكن النظر إلى غير وجهك الجميل ؟ لا .. لا يمكن

وهل يمكن المرور فى غير طريق عشقك الواسع الفسيح ؟ لا .. لا يمكن

من طاف ببستانك ، ودخل إلى روضتك

هل يمكنه النظر إلى غير ورد وجهك ؟ لا .. لا يمكن

يا أيها الحبيب أنت الكريم ونحن جميعا شحاذوك ؛

فهل يمكن إخراج الشحاذين وطردهم من ديارك ؟ لا .. لا يمكن.

لقد سلبتنى الروح بدلالك ، وسفكت دم قلبى بغمزاتك؛

فهل يمكن الرحيل عن ديارك بدون قلب ولا روح ؟ لا .. لا يمكن.

لقد وقع «علاء الدولة» فى شباكك بحكم أوامرك ؛
فانصفه ، فهل يمكن تغيير أوامرك ؟ لا .. لا يمكن .

إن القضاء والقدر قد كتب عشقك علىّ ؛
فهل يمكن لأحد أن يحذر من قضاء الحق ؟ لا ... لا يمكن .

إن غم عشقك فى روحى سر من أسرارك ،
فهل يمكن إخبار أحد عن أسرار غمك ؟ لا ... لا يمكن .

لا يمكن تعليم الأديب الغم والحزن إلا فى مدرسة آلامك ؛
فهل يمكنه حفظ ألف باء تاء عشقك ؟ لا ... لا يمكن .

لا ذنب لى مطلقا سوى عشقك ، وأنا أعلم هذا ؛
فهل يمكننى إهدار دمى لمثل هذا الذنب ؟ لا ... لا يمكن .

ماذا أخفى عنك؟

إن راحة روحى فى تلك الشفة الياقوتية المبتسمة،
وآفة عقلى فى تلك القامة السروية المشوقة.

عندما اشتعلت نيران الشوق فى صدرى؛
اصفر وجهى وشحب من العشق، فما أخفى؟

إن دموعى تنساب من عينى؛ فأنا سئ الحظ محروم.
منذ أن صار تراب ديارك فراشا لروحى.

لقد وقعت كُرةُ قلبى فى انحناءة صولجانك؛
ولم تلتقط غمزة عينك الساحرة الفاتنة الكرة من الميدان.

وأصبحت ديار نفسى السعيدة خربة عن جدارة،
وذلك لأن حجرة قلبى أصبحت عامرة بأحزانك.

فياربى خلصنى من وجودى ومن عدمى،
وأطلق سراحى بسرعة من هذا السجن بلطفك وكرمك.

فإن علاء الدولة أصابه الملل فى غرفة الجسد هذه؛
فخلصه من روحه ومن هذه المزبلة يارب.

حتى يسعد بوصلك وهذا هو المراد
من ظهور أثر فعلك يا روح العالم.

وعندما يذهب من دار الفناء إلى دار البقاء؛
فإن نفسه سترتاح من هذه المحنة وذاك الغم إلى الأبد.

الراحة الأبديـــــة

لقد ربيت بشير الحب لك:
وفديتك بروحى وقلبى وجسدى.

فألق بحبال طرتك يا أيها القمر المضئ لليل،
ذات ليلة حول عنق روحى.

إن جسدى ذاب فى عشقك كالشمعة ؛
فلتخش يا حبيبى من آهة قلبى هذه.

لماذا لا تشفق على روحى وترحمها؟
وكأن قلبك من الفولاذ والحديد.

فأجابنى الحبيب: إذا أردت وصالى؛
فابتعد تماما عن نحن وأنا .

وإذا أردت الراحة الأبدية ؛

فاشعل النار فى كيانك يا حبيبى .

فيا «علاء الدولة» إنهض متساميا بروحك

واضرب بقبضتك فم التوبة وحطمه .

الكرة والصولجان

ما أجمل الألم الذى تكون أنت دواؤه،
وما أجمل المكان الذى تكون أنت مخربه.

ما أسعد القلب الذى يقطن فيه حزنك؛
وما أسعد الروح التى يكون حبيبها هو أنت.

إن طرتك الملتوية كالصولجان وقلبى كالكرة؛
فما أسعد الكرة التى تكون أنت صولجانها.

تعودت على رائحتك

تعودت على رائحتك يا روحى وحياتى ؛
فكيف يعيش الجسد بلا روح ؟ وأنت تعلم ذلك أيضا .

أنت من تجعل الدنيا حية بماء الحياة ؛
وأنت أمل الروح ومناها بل روح العاشقين .

انا جيفة ضعيفة ، كما أن جسدى نحيل ؛
أما أنت فطائر لا مكان له فى عش الأرواح .

أنا كمن تعثر ووقع على الأرض فى طريقك من المذلة ،
أما أنت فى رفعتك ومكانك فكأنك قمر السماء .

فالمعشوقة تكون عزيزة مكرمة جدا، والعاشق يكون ذليلا عاجزا لا حيلة له ،
فأنت جديرة بهذا ، وأنا جدير بذاك .

حقا إن العاشق ليس له باب غير بابك ؛
فإذا دعوته فهذا من لطفك ، وإذا أبعدته فبسبب غضبك .

وفى كلا الحالتين يتزايد عشقه أو يتناقص ،
وهذا هو حال العاشق يا عمرى الخالد .

يقول «علاء الدولة» فى السر والعلن ؛
إننى أحيا برائحتك فى هذه الدنيا الفانية .

ولن أنفصل عنك سواء كنت غائبا أم حاضرا ،
وأنت فى عينى على الرغم من أنك غائب عنها .

يارب إنه يأمل فى أعتابك ويعلم
أنك لن تتركه بلطفك المؤكد .

لقد قلت بصدق وأقول دائما فى البداية والنهاية :
إننى قد تعودت على رائحتك يا روحى وحياتى .

رواج سوقـــــى

قل : إن كل من بالمدينة يعرفون أنك حبيبى ،

قل : إن جميع الناس يقولون إنك حبيبى .

ولو لامنى الرجال والنساء فى العشق وسخروا منى ؛

فأى حزن يصيبنى من مخلوقات الدنيا وأنت من تشاركنى الأحزان .

وحتى لو تحدثوا بجرأة وصراحة فى السوق

فإنك بالنسبة لى كل مذهبى ودينى ورواج سوقى .

أوحدى المراغـى

(توفى عام ٧٣٨هـ)

هـو ركن الـدين أوحـدى الأصـفـهـانى من شـعـراء آذربـايـجـان المتصوفة ، قضى شطرا من عمره فى أصفهان ، وأصبح مريدا للعارف المعروف الشيخ أبى حامد أوحد الدين الكرمانى (متوفى عام ٦٣٥هـ) ، وقد أخذ تخلصه منه.

عاش أوحدى فى عصر سلطنة أبى سعيد آخر الإيلخانيين المغول، وقد مدحه هو وغياث الدين محمد . ويضم ديوان أوحدى قصائد وغزليات وقطع وترجيع بند ورباعيات ، كما كان ماهرا فى فن الغزل الصوفى . ومن أعماله الأخرى مثنوى «منطق العشاق» الذى نظمه فى عام ٧٠٦باسم وجيه الدين شاه حفيد خواجه نصير الدين الطوسى . وكذلك المثنوى المعروف بـ «جام جم» أو «جام جهان نما» الذى نظمه تقليدا لـ «حديقة الحقيقة[٥٧] لسنائى باسم السلطان أبى سعيد بهادر الإيلخانى ووزيره خواجه غياث الدين محمد .

قدرة العقـــــــل

لقد خجلت الوردة من جمال وجه الحبيب ؛
واضطرب القلب ولم يقر له قرار كشَعره .

وأسلم القمرُ قيادَه له على الأرض ؛
لأنه امتطى جواد الجمال والحسن واعتلاه .

كل من لم يصبه الأذى من ناحيته
يكون بعيدا عن محيط الغم والأحزان .

وكل من رأى وجه حبيبى ؛
لابد وأن يزدان وجهه بدموع العين .

إننى أحنى رأسى على تراب أقدامه ؛
لأن قدرة عقلى قد توقفت عن العمل .

إن الخمر التى شربتها أشعلت فىّ النيران،
والغم الذى أخفيته أصبح واضحا جليا.

فقل لرفاقى ارحلوا واتركونى؛
فإن «أوحدى» قد وقع فى شباك الحبيب.

يفعلون ذلك أيضا

إن الحسان القساة يخلصون أيضا ،
وهن يسببن الآلام للناس ويداووهن .

فانظر إلىّ أيها الحبيب فإن أرباب الكرم
ينظرون أيضا إلى الضعفاء المساكين من أجل الله .

لا تبعد العشاق عنك طالما أنهم يضحون
بكل غالٍ ونفيس من أجلك ويدعون لك أيضا .

وإذا كان قلبى يميل للحسان فلا تَعِبٌ عليه هذا
فإن هذا الإثم يُرتكب أيضا فى مدينتك .

وإذا جرى ذكرى على لسانك فلا خوف من ذلك ؛
فإن الملوك يذكرون الشحاذين خطأ كذلك .

فيا «أوحدى» إذا لم يذكرنا الحبيب فلا تحزن لذلك ؛
فهناك من يفكرون فينا مثلما نفكر نحن .

لا تسألنى مطلقا

أنا قتيل العشق فلا تسأل عن خبرى مطلقا؛
فقد ضاع كل أثر لى ، فلا تسأل مطلقا عن أثرى.

قالوا : كيف أنت ؟ وأنا لا أستطيع الإجابة عليهم
إن ما قلته هو هذا، فلا تسأل مطلقا عن أى شىء آخر.

وغدا سوف أفكر فى علاقتى بالحبيب؛
فلا تسألنى اليوم مطلقا وأنا متعب الرأس.

فعندما أرى وجهه يمكن الحديث عن الأحوال،
أما فى هذه اللحظة التى أنظر إليه فيها فلا تسألنى عن شىء مطلقا.

فوق وجنته تكون قصة النهار الذى شاهدتَه ؛
فلا تسألنى مطلقا عن بكاء الليل والسحر .

دماء كبدى فوق وجنتى وتسألنى عن الأحوال ،
وقد رأيت كبدى الدامى ؛ فلا تسألنى مطلقا .

لقد مزقتُ ثيابى مائتى مرة بسببك،
وتريد أن أمزقها من جديد فلا تسألنى مطلقا.

لم نر مع «أوحدى» هذه العين الدامعة كثيرًا،
بالله عليك لا تسألنى مطلقا أكثر من هذا.

مثل عينك الثملة

لو تأتى اليوم ثملا إلى البستان يا وردى الوجه ؛
فإننا سوف نعلم أن فى الحديقة وردة اليوم .

لقد قلت أنك تتعهد بالأخذ بيدى وعونى،
فكن روحا لى لأننى سوف أضيع اليوم.

فبمثل حبة الخال هذه التى وضعتها على شفتك،
لا يمكننى الخروج من مصيدتك اليوم.

كم سيريق وجهك الوردى اللون من الدماء غدا،
وكم من التوبة سوف يُرجع عنها اليوم بسبب فمك الصغير

إذا لم يذهب قلبى إلى الروضة فهو معذور،
فما أكثر أشواك الجفاء التى انغرست فى كبدى اليوم.

ولا عجب فى أننى صرت مضطربا بالأمس كطرة شعرك ،

إنما العجب كل العجب فى أننى ثمل اليوم مثل عينك الناعسة .

لو أعلم أنك ستمر علىّ اليوم ؛

لأصبحت كالتراب الحقير فوق طريقك اليوم .

وإذا كان «أوحدى» قد قيد بشِعره أيدى الفصحاء وأعجزهم؛

فإن أقدامه اليوم صارت مقيدة بسلاسل أطراف جدائلك.

لا تبتعـــــدى

لا تبتعدى الليلة من أمامى أنا المتيم الوله ،

يا نور عينى، يا من تضيئين بصيرتى، لا تبتعدى.

لو ذهب الآخرون بعيدا عن ناظرى فلا خشية من ذلك ،

أما أنت .. فأنت المعشوقة والمحبوبة والجديرة بالنظر ... فلا تبتعدى .

إن منزلنا كالجنة فى وجود وجهك الحورى ،

فلا تغادرى هذه الجنة ما استطعت إلى ذلك سبيلا يا أيتها الحورية ... ولا تبتعدى

إننى الليله ثمل من نرجسة عينك المخمورة ؛

فلا تتركينى ثملا الليلة ولا تذهبى وأنت مخمورة .

إننى عاشق لوجهك ؛ فماذا تفعلين لمن أضناه هجرك ؟
ولا تهجرى هذا العاشق للحظة واحدة ولا تبتعدى .

لا يوجد دواء لقلبى المعذب سواك ،
فيا دواء قلبى وشفاءه لا تفارقى هذا المعذَّب المتألم .

وبما أن «أوحدى» صار ترابا يغطى أرض ديارك وفاء وإخلاصا؛
فقللى من العناد والغرور ولا تبتعدى عن ديار الوفاء .

أعطنى ما أطلبه منك

إما أن تأذن لى بالدخول عليك ؛
وإما أن تعطنى المجال للنواح والأنين .

ولما كنت لا أجد أثرا لثغرك ،
فاعطنى قبلة من وجهك الذى يشبه القمر .

إن غربتى فى هذه الدنيا من أجلك ،
فقربنى من حاشية بلاطك وخاصتك .

بالأمس قلت لى اطلب منى شيئا ،
إننى أطلب قبلة من شفتيك الياقوتيتين فأعطنى إياها .

إن كل ما طلبته منى نفذته تماما ؛
فأعطنى أنت أيضا ما أطلبه منك .

فإما أن ترسل طيفك إلىّ فى النوم،

أو تعطنى قلبا يقظا واعيا.

خواجو الكرمانى

(توفى عام ٧٥٣هـ)

هو كمال الدين أبو العطاء محمود بن على الكرمانى شاعر من شعراء القرن الثامن الهجرى العظام. ولد فى مدينة كرمان وتعلم بها ، ثم شُغل بالسفر بعد ذلك. وقد حظى بلقاء الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمنانى (متوفى ٧٣٦هـ) وهو من كبار رجال الصوفية، وذلك أثناء أسفاره، ودخل فى عداد مريديه.

مدح خواجو فى قصائده كلا من السلطان أبى سعيد بهادر ووزيره غياث الدين محمد. وقد أقام فترة فى شيراز، واختلط مع فضلاء تلك المدينة من أمثال حافظ الشيرازى، ومدح الشيخ أبا إسحاق أينجو، ووزيره شمس الدين محمود صاين، وتاج الدين أحمد العراقى وهو أحد عظماء كرمان.

ومن أهم أعماله ديوانه الذى يضم غزليات وقصائد، ومثنويات نظمها على غرار مثنويات نظامى وهى: هماى وهمايون، وكَل ونوروز، وروضة الأنوار، وكمال نامه، وسام نامه، وكَوهرنامه. وقد نهج خواجو نهج الشيخ سعدى الشيرازى فى الغزل.

لا تنسنـــــا

لا تنسنا فنحن لا نفكر إلا فى الوفاء لك ،

وقلبى يعيش على أمل الوعد ، والروح تطمع فى وفائك بهذا الوعد .

من السهل أن يكون ما يرضيك هو عدم رضانا ،

بينما هدفنا من الدنيا والآخرة هو رضاؤك .

وعندما جعلنا الرأس فداء لأثرك من الآن فصاعدا ،

فلا تبعدنا عنك ، فالقلب متعلق بأثرك .

إننى أضع رقبتى فى القيد وأجعل رأسى خاضعة لك ،

سواء أردت العفو عنى أو قتلى ، فالرأى رأيك والقرار قرارك .

من كان غلاما لك كان هو الأكثر حرية بين الجميع ،
ومن تعرفه أصبح غريبا عن نفسه .

يا من تكون فى قلبى أعز من الروح التى فى جسدى ،
فالروح التى يضمها جسدى إنما هى من أجلك .

إن قلبى المتعب المهموم الذى يدعى عشقك ،
إنما يكون قَسَمُه الصحيح بقدك الجذاب .

و«خواجو» الذى ضاع بسبب جورك وجفائك ،
ما زالت روحه ملتزمة بحبك والوفاء لك .

جريان الدمـــع

لا تـظن يـا صـاحب الجـسـد الـفـضى أنه يـوجـد عـلى أطـراف الخميلة

وردة ولا شجرة صفصاف مثل وجنتك وقامتك .

فمك لا يتسع لأى كلام مع أن حلاوة فمك أثناء الكلام

قد حطمت أسعار السُكَّر .

كل من رأى وجهك الباعث على السرور افتتن به لأنه أجمل الوجوه

وتعلق بأطراف جدائلك .

إن الهندوس يسكنون فوق النار(٥٨) ليلا ونهارا فى تلك الجدائل السوداء

وهم يعبدون جميعا الشمس(٥٩).

وأنا المحترق المعذب تجرى دموعى فى كل وقت وأتشبث بأذيالك حيثما أَرَدْتَ الذهاب .

وستشب الفتن عندما تأتى يوما وتدخل من باب منزلى وأنت نصف ثمل

ممسكا قدح الخمر بيدك .

استمع إلى بكاء «خواجو» وأنينه عند الصبوح عندما تعلو نغمات البلبل الثمل

فى وقت السحر من ناحية أطراف الخميلة.

آلام المحبة

ليس لآلام المحبة دواء ناجع،
وليس لطريق المودة نهاية .

إن الصبر ممكن على فراق الروح الحلوة
إلا أنه غير ممكن مع فراق الأحبة .

إن مِن لا يسكن العشق روحه ،
اقْتَلِعْ قلبَه منه ؛ فإنه بلا روح .

إن الخاقان لا يكون له ذوق الفقراء
كما أن السلطان لا يعيش عيشة الشحاذين .

أيها القلب لماذا تخفى عن الحبيب
ذلك الألم الذى لا يكون دواؤه إلا هو .

والواجب على كل مريض
ألا يخفى مرضه عن الأطباء .

ففى شرع «خـواجــو» لا يكون مؤمنا
كل من لا يؤمن بكفره.

تذكـــروا

أخيرا تذكروا احتراق قلبى طوال الليالى ،

وتذكروا أننى كنت كالشمعة فى وسط المجلس .

وتذكروا أننى كنت فى الخميلة كالمطرب وهو يعزف أعذب الألحان

للعشاق كطائر الحديقة الذى يغرد ألحانه .

وتذكروا الطرة التى تشبه السنبل عندما تهفهفها الرياح عند الصباح ،

وكم كنت آقاسى من طرة ناقض العهد هذا .

أيها الرفاق فى كل لحظة تحصلون فيها على وصال الأحبة ،

تذكروا أحزانى التى لا نهاية لها بسبب هجر الحبيب .

إن الببغاء آكلة السكر عندما تتحدث

كثيرا ما تذكر «خواجو» صاحب الأشعار الحلوة .

اذكـــــــــروا

اذكروا أننى كالشمعة التى تضئ فى غرفة نوم الحبيب ،
أو كأننى طائر يحلق فى جنة إرم(٦٠)

إن كل الناس يتحدثون عن نهار السعادة مع أحبائهم ،
أما بالنسبة لى فتحدثوا عن ذلك الحبيب الذى قدم لى ليل الأحزان .

وإذا سألتم عن العشاق المولهين ؛
فاذكرونى أنا العاشق الوله بين الحين والحين .

إن لى عينا أنا المتعب المحترق القلب ،
فاذكروا أحيانا عينى الناثرة للدر .

عندما يطلبون الأقداح من الحسان فى الخميلة ،
تناولوا الأقداح وتذكروا مكان مرح جمشيد(٦١)

واذكروا البلبل المتعب المسكين فى النهاية
مع نسيم الوردة الذى يهب من حديقة الكرم .

لقد احترق «خواجو» فى البادية شوقا للماء ،
فاذكروا ذلك المحترق القلب فى البيت الحرام .

طائر إبريق الخمر الصراح

يا من يكون ليل طرتك كالغالية، ويا من يكون وجهك القمرى محاطا بالغالية،

إن نرجستك الثملة (*) عابدة للخمر ، وياقوتتك الصامتة (**) بائعة للخمر

افتح نافجة المسك من الوردة ، واظهر البدر المنير فى وسط الليل ،

ولا تغطى القمر بالمسك الأسود ، ولا توارى الشقائق خلف السنبل الندى.

هل هذه ياقوتة شفتك أم هى الخمر الصافية . إنها خمر ياقوتية من ياقوت مذاب

وهل فمك وعاء للسكر أم ماء الحياة ينبع من نبع الشهد ؟

(*) أى عينك.

(**) أى شفتك.

لأى وردة صار السكير شمعة بدلا من شمس الفلك الساطعة،
قل للقمر المغنى انشد، وقل لطائر إبريق الخمر الصراح غَرِّد.

إن السكارى ثملون من الخمر، وكل الرفاق ثملون غائبون عن الوعى، وقد تركزت عيونهم على الساقى، وأرهفوا السمع للمطرب القمرى الوجه.

فالمطرب فى المجلس يعزف الألحان وهو يظهر جماله للسكارى،
فإذا استمعت إليه؛ فأين يكون الصبر والراحة؟ وإذا نظرت إليه، فأين تكون قوة التحمل والعقل؟

وقد قال شيخ المجوس فى الحانة: عندما يغيب «خواجو» عن الوعى
قل له: اشرب الخمر ولا تشرب كثيرا حتى لا يحملوك على الأعناق.

طيف حاجبك

اعطنى كأسا من الياقوت حتى أصبح ثملا كعينك،
ولو قلت إننى مضطرب كطرتك فهذا صحيح.

والآن وأنا أسقط من الذهول والسكر،
فمن يأخذ بيدى من الرفاق غير كأس الشراب.

فإذا كنت ترعى سكارى المجلس يا أيها الساقى؛
فناول الصوفى شيئا من الخمر الصافية من الآن فصاعدا فأنا ثمل.

وإذا كنت قد أمرتنى بألا أطمع فى أى شىء فى الوجود فقد نفذت ما أمرتنى به،

وإذا كنت قد قلت لى اجلس مع الأحزان طالما حييت فقد أطعت وجلست .

ودائما ما يمر طيف حاجبك فى أذن قلبى قائلا :
منذ أن أصبحت كالبدر المنير ارتبطت بالشمس .

فلا تمر من أمامى كالرياح ، وإذا طلبتَ الروح من «خواجو» فاعطنى إشارة وأنا أرسلها فى لحظة واحدة مع الرياح .

أعطينا وذهبنا

لقد أسلمنا القلب لقبضة أحزان عشقك وذهبنا ،
وأجرينا نبع دم القلب من العين وذهبنا .

وأدرنا ظهورنا للدنيا والدين وسخرنا الروح فى عشق القلب ،
وتوجهنا إلى بادية العشق وذهبنا .

أما أنت فجلست مع المطرب والخمر ونحن ثمالى محطمون ،
ووقفنا فترة على أعتاب ديارك ثم ذهبنا .

إن أحدا لم ينل مراده من فمك كما هو حال «خواجو» ،
ومن ثم قبَّلنا تراب أعتابك وذهبنا.

الذى أعرفه أنا وأنت

اتجهى أيتها الرياح إلى تلك الناحية التى أعرفها أنا وأنت ،
واضربى خيامك فى تلك الديار التى أعرفها أنا وأنت .

وإذا كان لك من سبيل إلى حرم ذلك القمر ،
فاسقطى الحجاب عن ذلك الوجه الذى أعرفه أنا وأنت .

وحتى تشاهدين قلوب الخلق المفتونة وهى فى قيدها ،
حُلّى طية من طيات ذلك الشَعْر الذى أعرفه أنا وأنت .

ففى فصول الربيع حين تتجلى عرائس الروضة ،
استنشقى من أوراق الورد ذلك العبير الذى أعرفه أنا وأنت .

وأرسلى فى وقت الصباح الباكر إلى الطيور المغردة فى السحر ،
شذا تلك الوردة النضرة التى أعرفها أنا وأنت .

وحين تكون تلك السروة المتمايلة طليقة بعيدة عنى ،
تكون بالنسبة لى أنا المتعب كالكرة التى أعرفها أنا وأنت .

آه إذا لم تُنْصِف قلب «خواجو» المتعب الجريح
تلك المعشوقة الظالمة القاسية التى أعرفها أنا وأنت.

ابن يمين الفريومدى

(توفى عام ٧٦٩هـ)

هو الأمير محمود بن الأمير يمين الدولة الطغرائى من شعراء القرن الثامن الهجرى. ولد فى فريومد بخراسان. وكان أبوه شاعرا واشتغل بالديوان فى خدمة خواجه علاء الدين محمد الذى كان مستوفيا من قبل السلطان أبى سعيد بهادر فى خراسان، وقد اشتغل ابن يمين أيضا فترة فى هذا العمل. ومدح فى بداية أمره خواجه علاء الدين وبعد ذلك أخاه خواجه غياث الدين هندو، وذهب مع علاء الدين محمد إلى جرجان، ومدح حاكمها طغاتيمور، وتوجه بعد ذلك إلى خراسان وهرات وهناك مدح أمراء السربداريين(٦٢) وآل كرت (٦٣)

ومن أهم أحداث حياته أنه وقع أسيرا فى الحرب التى نشبت بين وجيه الدين مسعود السربدارى والملك معز الدين حسين كرت، وتم الاستيلاء على ديوان شعره، إلا أنه جمعه من جديد.

كان ابن يمين شيعى المذهب وله ذوق عرفانى، وقد نظم قصائد أخلاقية واجتماعية مفيدة نتيجة تجاربه المختلفة. ويصل عدد أبيات شعره إلى خمسة عشرة ألف بيت، ويشتهر أكثر ما يشتهر بشعره الأخلاقى .

أطراف جدائلك

أيها الحبيب إن قلبى قد عشق أطراف جدائلك ؛
وهوى عند أقدامك بدلا منها .

إن النسيم الذى يهب من أطراف جدائلك وينشر عبير المسك ،
إنما هو يحيى الروح وينعشها مثل أنفاس عيسى .

إن شعرة واحدة من أطراف جدائلك لهى أفضل من عالم بأجمعه،
يا من يساوى العالمان كلاهما نصف قيمة أطراف جدائلك .

لقد أصبحت عاشقا متيما لجدائلك ،
بعد أن صارت قيدا لا دواء له مطلقا إلا أطراف جدائلك .

إن الرياح التى تفتح نافجة مسك أطراف جدائلك ؛
تشعل النار فى قلب غزال الصين حسدا .

ولو أرادت جدائلك إراقة دماء قلبى ،
فإن عينى تقوم بهذا العمل من أجل أطراف جدائلك .

إن كل عهد عقدته مع جدائلك الظالمة ؛
نقضته ... فيا حبذا عهد ووفاء أطراف جدائلك .

إن أحدا لا يستطيع تحرير «ابن يمين» من بلاء أطراف جدائلك،
سوى رقة شفتيك الواهبة للروح.

عبيد الزاكانى

(توفى عام ٧٧٣)

هو نظام الدين عبيد الله الزاكانى أحد الشعراء الهجائين وكتّاب القرن السادس المشهورين. ولد فى قرية زاكان بقزوين، إلا أنه لم يقض بها وقتا طويلا؛ فتوجه إلى شيراز وارتبط بهذه المدينة ارتباطا كبيرًا. وهناك أخذ يحصل العلوم والفنون وأصبح من فضلاء وأدباء عصره، ثم سافر إلى بغداد والتقى هناك بالشاعر سلمان الساوجى. كان عبيد معاصرا أيضا للشاعر حافظ الشيرازى ومدح أبا إسحاق إينجو ووزيره خواجه ركن الدين العميد. ومن ممدوحيه أيضا الشاه شجاع المظفرى والسلطان أويس الجلايرى.

أما أعماله فهى عبارة عن كلياته (أعماله الكاملة) التى تضم قصائد وغزليات ورباعيات وقطع وأشعار هزلية، وعشاقنامه، وأخلاق الأشراف، وريش نامه، وصدپند، وتضمينات، ورسالة تعريفات، وموش وكَربه، وسنكَتراش، وفالنامه. ويصل عدد أبياته الجادة إلى حوالى ثلاثة آلاف بيت.

ويعتبر عبيد من كبار الأدباء، وهو فى نفس الوقت شاعر ناقد ومازح، انتقد فساد عصره بأسلوب ساخر بليغ.

زائد عن الحـــد

لطفك زائد عن الحد وحسنك بلا نهاية،
وعندك يجرى ماء الحياة، وداؤك هو نفسه دواؤنا .

إن عشقك حاكم يجلس على عرش القلب آمرا ناهيا،
وحبك والى يحكم مُلك الروح وأمره نافذ .

ضياء وجهك هو منبع الشمس الساطعة ومصدرها،
ووجهك الملىء بالتجاعيد هو ظل لطف الله.

إن نرجستيك الفاتنتين(*) هما لعبة تخدع الناس وتغرر بهم،
وغمزتك الغمازة سحر يصنع المعجزات.

(*) أى عيناك .

منك يكون التمرد والعصيان أما نحن فما زلنا نمرغ وجوهنا على الأرض آملين ، ونرفع يد الدعاء طامعين.

فيا «عبيد» إذا أراد الحبيب قتلك فطأطئ رأسك ولا تتنفس؛ فالظلم هو عادة الحسان، ولا حيلة للعاشق غير الرضا.

مقام الـــوردة

عندما ألقى البلبل خطبة ملكية باسم الوردة ،

سيطرت الوردة على الدنيا ، وصارت الدنيا تابعة لرغبة الوردة وهواها .

وأقام السرو دعوى من أجل الحرية ، وعندما رأى وجه الوردة فجأة

من بعيد أصبح غلاما وعبدا للوردة.

إن لأرباب اللطف وأهل النظر فى هذا الزمان،

مكاناً ومقاماً كمقام الوردة.

ما أسعد من يخرج من منزله فى الصباح

ومعه الخمر والمعشوق بهدف تحية الوردة والسلام عليها .

وما أطيب ذلك الوقت الذى يشق فيه غبار الطريق
رسول نسيم الصبا ليُوَصِّل رسالة الوردة .

لقد فرح من سعادة الوردة صباحُنا ومساؤنا؛
فليسعد نهار الوردة وليلها ، وصبح الوردة ومساؤها.

أخذ البلبل يصيح ويصرخ من الشوق إلى الوردة،
فجن جنون «عبيد» عندما سمع اسم الوردة.

جـــاء الـــــدواء

عاد حبيبى الناقض للعهود يفكر فى الوفاء بالعهود ،
وحان الوقت لعلاج قلبى الملىء بالآلام .

فأى قمر هذا الذى أضاء منزلى؟
وأى شمعة هذه التى عادت إلى خلوتى؟

لـقـد عـاد الحظ من جـديـد وفـتـح الـطـالع بـاب الـسـعـادة عـلى مصراعيه،
وذهب المدعى وانتظمت أمورى .

فاحضروا الخمر فقد تجلت أيام الطرب وأطلت بوجهها،
وانثروا الورود فإن تلك السروة المتبخترة قد عادت.

ورقت لحال «عبيد» من لطفها وكرمها،
وربما عادت رحمة بهذه العين الدامعة وشفقة عليها.

ديـــة القتـــيل

لم تفِ تلك الدمية الحسناء الجامحة بعهدها معنا حتى الآن ،
ولم يحدث بيننا رباط فى آخر الأمر حتى الآن.

لقد احترقنا ـ نحن المعذبين ـ فى نيران الشوق إليها،
ولكن صاحبة العين المازحة لم تشبع من الجفاء معنا حتى الآن .

وبعد آلاف الآلام التى سببتها لروحنا،
لم ترحم قلوبنا المسكينة حتى الآن.

نحن نمر على ديار الحبيبة فى حالة من الوجد والحيرة،
وقد تخلف القلب المتعب هناك، وما زالت عيوننا تتطلع إلى الخلف حتى الآن

إن القُبلة هى ديتى، وياقوت شفتيه
قد قتلنى مائة مرة، ولكنه لم يدفع الدية حتى الآن.

وبقى قلبى يتعذب بين طيات جدائله وثناياها ،

وما زال يصارع داخل هذه الشِباك حتى الآن .

مسكين «عبيد».. لقد أصبح غريبا عن روحه وقلبه بسبب أحزان عشقه،

والحبيبة لم تتجاوب معه حتى الآن .

الروح والحبيب

تجاوزت آلامنا الحدود ولم نصل إلى الدواء الناجع،
وبلغت أرواحنا الحناجر ولم نصل إلى الحبيب.

وإذا وصل المسافرون إلى كعبة مقصدهم؛
فإننا لا نصل إلى شوك أم غيلان(٦٤)

أولئك الذين طووا طريق العشق قبل ذلك،
تحركوا ليلا ولم نلحق بهم.

وأقاموا هناك فى حرم الوصال،
ونحن نسعى ولكننا لا نصل إلى علاج أو دواء.

إن روحنا تشم عبير العود؛ ولكننا
لا نصل إلى كنه عمل من يطوف بالمجمرة.

ونتنفس أنفاس الصدق فى صفاء كالصباح؛
ولكننا لا نصل إلى الشمس الساطعة.

نحن فى المسكنة لسنا كأتباع سلمان،
ونحن فى السلطنة لا نصل إلى جاه سليمان وعظمته.

وقد بقينا ولهى وحيارى مثل «عبيد»،
ولن نصل إلى سر عالم الخالق.

ماذا كان يحدث ؟

لو كان ذلك القمر وفيا ... ماذا كان يحدث ؟
ولو كان يخشى الله ... ماذا كان يحدث ؟

أريد أن أكون على وفاق معه ولو للحظة ،
فلو رضى بذلك .. ماذا كان يحدث ؟

إن قلبى فى حاجة إلى قبلة من شفتيه،
فلو لبى لى هذا الطلب ... ماذا كان يحدث ؟

ولو نظر ذلك السلطان يوما بلطف
إلى هذا الشحاذ ... فماذا كان يحدث ؟

ولو طوف حولى قليلا ... فماذا كان يحدث ؟
ولو كان صبرى فى موضعه ومناسبا ... فماذا كان يحدث ؟

ولو تسبب وصاله لـ «عبيد» المسكين

فى سعادته ... فماذا كان يحدث ؟

يكون جميلا لـــو ...

يكون جميلا لو أنك أصبحت حبيبا لنا ،
يكون جميلا لو أنك صرت مؤنسا لنا فى زماننا .

وتصبح جليسا لنا فى النهار ،
وتمسى بين أحضاننا بالليل .

نحن جميعا عبيد مطيعون ،
وأنت سيدنا ومولانا جميعا .

إن الأحزان لا ترد على خاطرنا ،
لو كنت لحظة رفيقا مزيلا لأحزاننا .

وطالما كان قلبنا بلا استقرار ؛
فكن داخل قلبنا الذى لا يقر له قرار .

وسأظل عبدا لك مثل «عبيد»،

وستظل أنت أميرى وسيدى .

عطر المحبـــــة

إن قلبى المسكين يهوى الحبيب ويميل إليه ،
والقمر أسيرٌ عنده ، والسلطان شحاذ أمامه .

إن كل غمزة من غمزاته سهم ، وكل حاجب من حاجبيه قوس ،
أما جدائله فهى أنشوطة يكمن فيها البلاء .

إن لنا فتوحات كل لحظة بسبب عشق وجهه ،
وعندنا صفاء كل ساعة بسبب تراب دياره .

استحوذ عشقنا على ملك الوجود ،
وعندئذ رأى العقل أننا أيضا حكام هذا الوجود .

حقا إن ريح الصبا تنعش الروح فى وقت السحر ،
وهى تحمل معها عطر المحبة من الحبيب .

قلتُ : يا «عبيد» ، قال : لا تذكر اسمه ؛ فإنه ماجن ومقامر ولص ودائم الفرار .

محترق كالفراشة

إن سلاسل جدائلك تصيبنى بالجنون ،
وعيونك النرجسية الثملة تقودنى للحانة .

وقد تحيرت كيف عَثُرَتّ علىّ أحزانُ عشقك
فجأة فى هذه الزاوية الخربة .

إن قلبى يهوى لؤلؤة شحمة أذنك ؛
ولهذا السبب تتساقط قطرات دموعى كحبًات اللؤلؤ .

سأكون سعيدا عندما يجدوننى مقتولا ومحترقا كالفراشة ،
وأنا أنظر إلى شمعة وجهك المضئ .

إن هذا الواعظ يوجع رأسى ، ويظن أنه
يلفت انتباهى بهذه القصص التى لا طائل منها .

والعلاج الوحيد هو أن أدعى الجنون ؛
حتى ينسانى الواعظ الحكيم .

ومنذ أن ثملت من خمر محبتك مثل «عبيد»؛
لم تعد لى رغبة فى إبريق الخمر ولا القدح.

موطن الرجـــــاء

قتلتنى غمزة ذلك المازح المهذار بدون ذنب أو جريرة،
وأوقعتنى تفاحة طابع حسنه فى بئر عميقة.

فأصبحت خادما هنديا لخاله، ولم أكن أعلم
أنه سيجعلنى أسيرا لهذا الزنجى الأسود .

لقد كان قلبى فى موضعه وعقلى سليما ،
غير أن قلبى قد فارقنى بسبب مشيته .

لقد وقعت ألف مرة فى شباك العين والقلب ،
وما زال حتى الآن لا يعيرنى أى انتباه .

إننى لا أستطيع الإعراض عنه لحبى له ؛
حتى لو نَمَت من تراب قبرى النباتات .

وعندما أموت من ظُلّمه سوف أحيا من جديد ؛

لو أنه رمقنى بنظرة من عين عنايته .

فيا «عبيد» لا تقطع الأمل من كرم الحبيب ؛

ويكفى أن يكون لطفه الشامل هو موطن رجائنا ومحله .

أرق من الوردة

لى حسناء لها وجه مائة قمر وشمس ،

وهى أرق من الوردة الندية وأطيب ريحا من ماء الورد .

وهى أجمل من محاسن النسرين وشمائله وسط الحديقة ،

وأكثر دلالا وتيها من أشجار السرو على شواطئ الأنهار .

وقد أصابت حمى الحيرة زهور الياسمين فى الخميلة بسبب وجهها؛

واعترى الشرابَ فى الكأس طبعُ الخجل بسبب شفتيها .

شكلها كثير الملاحة ، ووجهها فى غاية الجمال،

عينها كثيرة الغنج والدلال ، وياقوت شفتيها كثير العتاب .

إن الشمس تتوارى خلف نقاب الخجل
إذا سقط البرقع عن وجهها الذى ينعش الروح ويحييها.

إن أرواحنا أسيرة فى حلقات جدائلها،
وقلوبنا قد احترقت بنيران عينيها الثملتين فأصبحت كالشواء.

الغوث والنجدة من هاتين الجديلتين المسكيتين اللامعتين المتموجتين،
والأمان الأمان من تلك النرجستين الساحرتين الناعستين.

كلما جَلَسَتْ على ركبتيها لتقدم الخمر،
أسلمتُ الروح فى تلك اللحظة كحبَاب الماء.

واليوم الذى تكون فيه معى أكون كـــ «عبيد»،
إذ أنعم بالسرور وأبلغ المراد.

محاكمة القلب العاشق

لا ضرر يصيب العاشق من سهام اللوم ولا أذى،
ولا قبول من المجنون لطريقة العاقل وسلوكه ولا رضا.

فلماذا يفكر فى آلامنا ، ولماذا يهتم بأحوالنا ،
من ليس قلبه أسيرا وأقدامه مقيدة بالحبال مثلنا؟

إن فرهاد الذى يعشق شفة شيرين
لا يرغب مطلقا فى شرب الخمر ولا يحتاج إلى السُكَّر.

وحيثما أشعل غم الحبيب النيران،
ضحِّ بالروح عن طيب خاطر هناك ، فالمكان ليس مكانا للبخور .

وتوقف يا «عبيد» عن محاكمة القلب العاشق المتيم؛
فلا فائدة تعود على هذا المسكين من نصيحتنا.

قُبْلةِ عبيــــد

أيها الحبيب .. أقبل فقلبى لا يقر له قرار بدونك ،
ولم يبق عندى مجال للصبر ولا قدرة على الانتظار .

إن من أصبح مثلى مجنونا فى العشق ومصيبته
لا يريد شفاء لقلبه ، ولا يريد استخداما لعقله .

لو حققت لى المراد أو رغبت فى هجرى ؛
فافعل ما تراه فالرأى رأيك ولا خيار لنا .

فيكفينا أن نعانى من آلام العشق وويلاته ،
وليس هدفنا من وصالك العناق والقُبل .

فيا أيها القلب كن عاشقا دوما وثملا على الدوام؛
فإن من لم يثمل من العشق لا يكن واعيا عاقلا .

رافق العشق ، واعرض عن العقل واتركه ؛
فليس له اعتبار عند أهل النظر .

إن لكل قوم طريقا وسبيلا وقِبْلة ،
أما «عبيد» فلا قِبْلة له سوى ديار الحبيب .

السُكْر والعشـــق

لا تفارق صورة وجهك ناظرى ،
ولا ينشغل فكرى بمكان آخر غير محلتك .

ومنذ أن رأيت شفتك الحلوة وتأملتها ،
لم يجر على لسانى حديث عن الشهد والسكر منذ ذلك اليوم .

إن وجنتك وطرتك الملتوية قد جعلتانى متيما ولها ،
ولم يعد قلبى يتجه إلى الوردة والسنبل النديين مطلقا .

إن السُكْر والعشق من العيوب فقل لهما: ابقيا ؛
فهذا العيب قديم عندى ولن يفارقنى .

ولن أتوقف عن حب الخمر والمعشوق ؛
فلا حياة لى بدونهما .

إن أحزان عشقه تحتل ركنا فى قلب «عبيد» المسكين المتعب ، ولا تنوى مغادرته والرحيل عنه .

فى الصين وبلاد الخطـــا

لا يوجد أحد مطلقا فى جمال حبيبى ؛
ولا يجوز لنا أن نصف القمر بأنه يشبه وجهه .

إن شعره الملتوى المجعد وعينه المسحوبة الجذابة ،
لا يمكن العثور عليهما فى «الصين» ، ولا يمكن تواجدهما فى بلاد «الخطا»

ليس لنا معه دائما سوى الرجاء والإخلاص ،
وليس له معنا دائما سوى الحوادث والفتن .

إذا لم يسأل عن أحوالى فلا تَعِبَّ عليه هذا ،
فإن الشحاذ لا يطمع فى المُلك ولا يحسد أحدا عليه مطلقا .

نحن صرعى العشق كـــ «عبيد»
ولم يعد لنا عقل سليم ، ولم يبق لنا مجال للصبر .

العين المستهتـــــرة

مُتْنا والحبيب لا يهتم بذلك مطلقا ،
واحسرتاه على الحظ الذى لا يعتنى بنا ولا يحالفنا .

فأمام عينه تقتلنا شفته ؛
فانظر إلى عينه المستهترة التى لا تحمينا ولا تدافع عنا .

ومهما عرضت عليه عجز حالى وضعفى ؛
فإن ذلك لا يؤثر فيه بأى حال من الأحوال .

• كيف أتحدث أمام شخص عن الشكر والشكوى ،
وهو لا يفكر أصلا فى الشكر والشكوى .

إنه ينظر بعين اللطف إلى العبيد بين الحين والآخر ؛
ولكنه لا يحقق لهم غاياتهم .

ومنذ أن قلتُ إن فمك صغير جدا ؛

فإنك لم تتحدث معى منذ ذلك الوقت مطلقا بسبب غضبك علىّ.

وحيثما يصل البلبل وفى أى مكان،

لا يردد سوى حديث العشق كما يفعل «عبيد» .

سلمان الساوجى

(توفى عام ٧٧٨هـ)

يعد جمال الدين سلمان بن علاء الدين الساوجى واحدا من كبار شعراء القرن الثامن الهجرى . التحق فى بداية حياته بخدمة خواجه غياث الدين محمد وزير السلطان أبى سعيد بهادر(٧١٦ - ٧٣٦) وبعد وفاة ذلك الوزير توجه إلى بلاط الجلايريين أو ملوك الإيلكان الذين كانوا يحكمون فى غرب إيران وعراق العرب ، ومدح الشيخ حسن بزركَ مؤسس تلك الأسرة وزوجته دلشاد خاتون والسلطان أويس والسلطان حسين .

ويعتبر سلمان من شعراء القصيدة، ويمكن اعتباره أعظم شاعر فى نظم القصائد فى إيران بعد العصر المغولى وقبل العصر الصفوى . وقد قلد أسلوب السابقين وخاصة أسلوب الأنورى، كما كان يقتدى أيضا بالشاعر منوچهرى الدامغانى. ولسلمان قصائد فى نعت الخالق والرسول (صلعم) والأئمة، لم تكن معتادة من قبله. ويوجد فى غزلياته مضامين جديدة وتشبيهات كثيرة. ومن أعماله غير الديوان الذى يضم قصائد وغزليات وترجيع بند وتركيب بند

وقطع ومثنويات، مثنوى عشقى باسم «جمشيد وخورشيد» نظمه فى عام ٧٦٣ بأمر من السلطان أويس، وكذلك «فراقنامه» الذى نظمه باسم نفس هذا السلطان فى عام ٧٧٠هـ.

حزن الـــــروح

ذلك الملائكى الوجه الذى ينظر إلينا،
عينه علينا ... ولكنه يرنو ببصره إلى غيرنا .

كنت فى خدمته وتحت أقدامه بلا مقابل حتى فقدت العقل والمال،
فلماذا انشغل عنى وتكبر ؟

قلت له بالأمس إن الوجد بك قد أتلف روحى ،
فقال : أيها الساذج أما زالت الأحزان تسيطر على روحك ؟

أيها القلب ... اسأل عن حال قلب البلبل المسكين ،
ولماذا كل هذا الصياح والأنين الذى يصدر عنه .

وإذا كان المعذب المحطم يرتاح برؤيتك ،
فأى ضرر يصيب جمال طلعتك من ذلك ؟

الوفاء مع الجفاء

كثيرا ما وعد الحبيب بالوفاء ولكنه جفانى ،
وقد وفى بكل وعد أعطاه بالجفاء .

لقد ألقى حبك بضيائه وأشعته على مرآة قلبى ؛
فجعلنى كالهلال يشار إليه بالبنان .

إن كل ظلم عانيت منه من الدنيا لم يكن ظلما ،
إنما ظلمها الأكبر أنها فرقت بينى وبينك .

لقد وضعتُ قلبى الوحيد بين خصلات شعرك ،
فأدى حمله الثقيل إلى اعوجاج هذه الخصلات وانثنائها .

وكلما أَعَدَّتْ عينُك سهام أهدابها وصوبتها إلى صدرى
أصابت الهدف وكنت أعتقد أنها ستخطؤه .

لقد صارت ريح الصبا بردا وسلاما على قلبى منذ ذلك اليوم، الـذى هـبت فـيه وجَـعَـلَـت الحـديث يـدور عن أطـراف خـصلات شعرك فى كل مكان.

فإذا تألم «سلمان» من العشق وبكى لا تعب عليه ذلك ولا تلمه : فماذا أقول وهو المعذب فى عشقك ، وكثيرا ما فعل ذلك .

العشق والروح

لا تفكير آخر لنا سوى التفكير فى طيفك ،

ولا يوجد خيال فى أى رأس أفضل من هذا .

فمتى يتجه المسافرون ليلا إلى ديارك ،

حتى لا يكون لهم مرشد أو دليل سوى ضياء شمع وجهك .

ونحن أغرقنا منزلنا فى دموع العين مع طيف وجهك ،

حتى لا يمر علينا أحد .

لا تنبت شجرة سرو فى الروضة مطلقا بمثل هذه النضرة والنماء،

ولا يوجد شهد ولا سكر مطلقا بمثل هذه الحلاوة والصفاء.

إن الروح تتعرض للخطر فى ديار العشق

ولو أنه حيثما وجد العشق لا تتعرض الروح للخطر .

أعلم أن تأوهاتنا ذات أثر كثير ،

ولكن أى فائدة تكون عندما لا يبقى أثر لنا .

ففى الخلوة التى يرى فيها العاشق جمال الحبيب

لن يتأتى له فعل شىء سوى النظر إليه.

عـــــاد

عندما سمعت الروح أن روح العالم قد عاد .

عادت هى الأخرى من طريق العدم راقصة مبتهجة .

لقد جاءت الروح من ذلك العالم إلى الجسد أملا فيك من جديد،

لا .. لقد أخطأت ، لقد عادت من كلا العالمين .

فيا أيها القلب الذى فارقتنى وآذيت روحى،

ارحمنى وعد إلى فقد عادت الروح من جديد .

لقد أشرق صبح إقبالى من خلف جبل الأمل ،

واستيقظ حظى وأفاق من سباته العميق .

لقد ذهب القلب الحائر الذى لم تتحقق أمانيه فى إثره ،
وطاف كل الكون وجميع الأماكن .

فأى قلق واضطراب يعتريك يا أيها الضعيف كالسمكة على اليابسة،
حافظ على الروح فإن المياه قد عادت إلى مجاريها .

وانثر الروح فى حبه كالنسيم يا «سلمان»؛
فقد عاد الربيع إليك رغم أنف الخريف.

سعادة العشـــــق

إننى ما زلت مصابا بجراح وآلام فى القلب والروح ؛

وما زال حب وجهك تاركا نفس أثره وعلامته .

فهذا هو آخر نفس سوف يتنفسه صريع هجرك ؛

فلا تذهب أيها الحبيب فالمسكين ما زال منتظرا يحدوه الأمل .

قلت له : هذه روحى وروحك يا عمرى الغالى ،

قال : انظر إلى المسكين إنه ما زال يعانى من أحزان الروح وآلامها.

إن عينك الثملة القاتلة للعاشق

قد مزقت حجب المستورين لسنوات وما زالت وراءها .

إننى أبيع لك هذه الروح الغالية العزيزة بلا مقابل ،
على الرغم من أنها هينة علىّ وثقيلة عليك .

فلا تغيبى عنى يا أيتها السروة ففى جدولنا
ما زال الماء يجرى من سعادة عشقك.

بين العين والقلب

أدخل بين طيات جدائلها ولا تسألها عن أحوالنا ،
واسأل عن أحوال الضعفاء المحطمين من أقواس البلاء .

وعندما تسأل أصحاب الآلام ،
اسألنى أنا أولا لأننى أكثر المحطمين قلبا .

لقد أراقت عينُك دمائى فقولى لها : اخشِ الله
واسألى بربك ماذا فعلتُ أنا فى النهاية .

إن الدم يجرى بين قلبى وعينى ؛
فتعالى واجلسى بين العين والقلب واسألى عما حدث .

تريدين أن تستوضحى أحوال آلامى،
خذى شمعة وافحصينى من رأسى حتى أخمص قدمى.

سألتُ العقل عن سؤال القلب فقال :

أنا غريب عنك إسأل من تعرفه عن هذا الكلام .

لقد أسلمنا الأرواح للرياح على ذكرى جدائلك ،

وإذا كنت لا تصدقيننا ؛ فاسألى نسيم الصبا .

إنك أنت سلطانة الزمان و"سلمان" شحاذ ببابك ،

فيا سلطانة الزمان اسألى عن أحوال الرعية .

الدموع النارية

كم قلت إنك ستحيل الليل المظلم إلى نهار مضيىء وأنا معك كالشمعة ؛

وأنا أتعجب كثيرا لأننى أنا الذى بقيت طوال الليل وحتى السحر أذوب وأحترق كالشمعة .

لقد أوشك عمرى على النهاية ولم يعد له بريق ،

ولا أجد حلا لهذا الآن سوى الموت كما تموت الشمعة .

وسوف أسلم قيادى مرة أخرى إلى الحبيب ،

وأنا أعلم أنه سوف يقضى علينا فى النهاية كالشمعة .

إننى أستغرق فى عشقى وأسوق حكايتى

طوال الليالى مع هذه الدموع النارية التى تشبه دموع الشمعة .

سوف أتشبث بأذيالك الليلة كالمجمرة ؛
وإذا تخليت عنى سوف أضحى بروحى كالشمعة .

وإذا فصلت رأسى عن جسدى ؛ فلن أعترض على هذه الحكم ،
ولو وضعت القيود فى أقدامى ؛ فإننى سأكون مطيعا لك كالشمعة .

ولكن تجنب الدخان الذى يتصاعد منى لأننى سأكون،
كل ليلة وحتى الصباح قابعا فى المحراب ، باكيا محترقا كالشمعة .

عطر الجدائـــــل

إن كل ما رأيته من القلب والعين قد رأيته ،
فأحيانا ما تكون الشكوى من القلب وأحيانا ما تكون من العين .

إن كل ما رأيته من القلب والعين حتى الآن،
لم أره من القلب وإنما رأيته كله من العين .

إن أول من أضاع كرامتى هو ذلك الدمع الذى،
مزجته بدماء كبدى .

وقضيت العمر على أمل أن أحقق أمنياتى ذات يوم ،
وكنت أُنْضِجُ العشق الخام ولم أكن قد نَضَجْتُ .

يقولون إن عطر جدائلك يجدد الروح وينعشها ؛
فتقبل يا «سلمان» هذا الكلام لأنى سمعته من الروح .

نقض العهد والتعهد

نقضت العهد مرة ثانية بسبب طرتِك ،
وكم من العهود نقضتها وعقدتها مثل طرتِك .

افهمى أن حال الدنيا قد انقلب واضطرب جميعه
بسبب عينيك ، وعذرها كله أنها ثملة .

وفى الرسالة عندما أشرح فراقك وأبينه ،
يبكى القلم دما ويصرخ بين أصابعى .

فأنت شمس عالية ، وأنا ظل فوق التراب ،
وحيثما تكونين لا يمكننى القول بأننى موجود هناك .

لقد قالت عينك لقلبى: هل أنت ثمل منى أيها القلب؟
فقال قلبى: نعم.. أنا ثمل منك منذ يوم «ألست».

فهى كنز للروح وكأس للخمر ، وعمل سحرى ضد التوبة ، وقد حصلت على ذلك الكنز ، وأبطلت سحره.

يا ويل قلبى ويا ويلى

لو أشعلت نيران العشق شعلة من لهيبها
فى قلبى الولهان ؛ فيا ويل قلبى ويا ويلى منها .

إن أساس عشقنا لك هو طرتك ، ولكن أى فائدة
ممن بعثر أساس عشقى ؟

إن أنينى ونواحى يعلو كل ليلة ليصل إلى عنان السماء ؛
فإلى متى تتحمل أنينى ونواحى طوال الليالى .

وإذا لم أقصص قصة قلبى الدامى ؛ فمتى أفعل ذلك ؟
وقد فاض بحرى ووصلت أمواجه من القلب إلى الشفاه .

ربما يكون من باب الرحمة أن تأخذ بيدى وتساعدنى ،
وإلا فما الذى يتأتى من يدى وقدمى .

لقد أحطتُ بالقلب قدَّكَ وقامتك كالعباءة،

واتضح أن عشق قدك هو ثوب يناسب قدى تماما.

ربما أيها الصبـــاح

إذا مررت يا ريح الصبا بقده الصنوبرى الجذاب،
فاخبريه عن هوى روحى الحزين وقلبى الذى أضناه التعب.

وعندما تَصِلى إلى كعبة وصاله أقيمى هناك،
وتنفسى بعد الدعاء من غبار الطريق وأنت تسعين من الصفا.

وإذا كان هناك مجال للتنفس فقولى له على لسانى:
ماذا يحدث لو أنك بجمالك أحلت هذا الليل المظلم البهيم إلى صباح مضىء

وماذا يحدث لو أنك وطأت بقدميك ترابى فى زيارة؟
وما الضرر الذى يحدث لو نظرت إلى حالى فى عبادتك؟

لقد طلبت صباح وصالك من المولى وأنا أدعوه بالليل؛
فربما تتنفس يا أيها الصباح، وربما تُستجاب يا أيها الدعاء.

قلت وقالـــت

قلت: أين طيف وصلك؟ قالت: تراه فى النوم،

قلت: أين مثال وجهك؟ قالت: تراه فى الماء.

قلت: كيف تكون رؤية جدائلك فى النوم؟

قالت: سترى نفسك فى طياتها وثنياتها.

قلت: إننى أرى وجهك ، قالت: ما أجمل هذا التخيل والتصور ،

قلت: فى النوم يا محبوبتى ، قالت: شاهده فى النوم .

قلت: اكشفى عن جدائلك ووجهك حتى أراهم،

قالت: كيف ترى الشمس(*) فى مثل هذا الليل (**).

(*) أى الوجه.

(**) أى الشعر.

قلت : لقد تحطمت بسبب الطواف حول عينك الثملة ،

قالت : إن كل ما تراه .. تراه ثملا ومحطما .

قلت : لقد رأيت شفتك ، وهى تساوى فى الثمن مائة روح ،

قالت : إن ما تنظر إليه وتراه ما هو إلا ياقوت خالص .

قلت : لقد استحال نهار «سلمان» إلى ليل بسبب شَعْرِك ،

قالت : انظر إلى وجهى حتى ترى البدر المنير.

حافظ الشيـــرازى

(توفى عام ٧٩١هـ)

هو شمس الدين محمد بن بهاء الدين المعروف بـ «لسان الغيب» أعظم شعراء الغزل فى إيران ، ولد فى شيراز فى أوائل القرن الثامن وهناك أتم دراسته ، وحضر فى مجالس علماء من أمثال قوام الدين عبد الله ، كما اطلع على أصول الأدب ودواوين الشعراء العرب . ولما كان قد حفظ القرآن فقد تخلص بلقب «حافظ». وكان أبوه بهاء الدين قد هاجر من أصفهان إلى شيراز فى عصر أتابكة فارس ، والتحق حافظ فى شبابه بالعمل الديوانى فى بلاط ملوك إينجو وآل المظفر . وقد أصبح مقربا لدى أبى إسحاق إينجو الذى كان يحكم فى فارس على وجه الخصوص ، ومدحه إلى أن انهارت حكومة أبى إسحاق على يد محمد مبارز الدين مؤسس الأسرة المظفرية. وقد ذكر حافظ فى غزلياته من ملوك آل المظفر الأمير مبارز الدين والشاه شجاع والشاه يحيى والشاه منصور .

قضى حافظ عمره كله فى شيراز ، وسافر أسفارا قصيرة إلى أصفهان ويزد . ودُعى ذات مرة من قبل محمود شاه البهمنى

الدكنى لزيارة الهند، إلا أنه صرف النظر عن هذه الزيارة بسبب فيضان البحر. وتوفى فى عام ٧٩١ فى مدينة شيراز .

ويضم ديوان حافظ غزليات ومثنوى «ساقى نامه» وعدة قصائد. ومع أن هذا الشاعر العظيم قد عاش فى عصر ملىء بالفتن والاضطرابات إلا أن أشعارها اتسمت بالقوة والمتانة ولم يبالغ مطلقا فى المديح. وقد حظى حافظ بروح عرفانية، ومزج المضامين العشقية بالمعانى العرفانية ووصل بهذا الأسلوب إلى درجة الكمال.

وقد اشتهر ديوان حافظ وراج بين أهل اللغة الفارسية أكثر من دواوين شعراء الغزل الآخرين، ولهذا اعتبر من أحب الشعراء الإيرانيين، وطبع ديوانه عدة مرات فى إيران.

ألف قلـــب

قيدت طرتُك ألفَ قلبٍ بشعرة واحدة منها ،
وسدَّت الطريق أمام ألفِ مُدَبِّرٍ ومتحايل من جهاته الأربع .

وحتى لا يُضَحِّى العشاق بأرواحهم من أجل عبير نسيمها ،
فتحت لهم نافجة المسك وأغلقت أمامهم باب الأمل .

لقد صرت متيما بسبب أن حبيبى يشبه البدر المنير ؛
فقد أظهر حاجبه وتجلى وأخفى بعد ذلك وجهه .

وصب الساقى الخمر ذات الألوان المتعددة فى الكأس ،
فانظر إلى هذه الصور الجميلة التى انعقدت داخل الكأس .

فيارب أى غمزة غمزها الكأس حتى أوقف دم الإبريق
فى حلقه مع نغمات حركته وجيشانه ؟

وأى لحن جميل عزفه المطرب فى السماع،
حتى أغلق باب الذكر على أهل الوجد والحال؟

يا «حافظ»... إن كل من لم يمارس العشق وأراد الوصال،
يكون كمن أحرم لطواف كعبة القلب بغير وضوء.

لم يبق لعينى نور

لم يعد لنهارى نور بدون شمس وجهك،
ولم يبق لى من عمرى سوى هذا الليل الديجور.

ومن كثرة ما بكيت أثناء وداعك،
أبعد الله ذلك عن وجهك ! لم يبق لعينى نور.

كان طيفك يغيب عن عينى ويقول:
هيهات لهذه الزاوية التى لم تعد عامرة.

وكان وصالك يبعد التفكير فى الأجل عن رأسى،
أما الآن فإن هجرك لم يبعد التفكير فى الأجل عن رأسى.

لقد اقتربت اللحظة التى يقول فيها رقيبك:
إن هذا المتعب المتألم قد ابتعد عن وجهك .

إن الصبر بالنسبة لنا هو حيلتنا فى مقابل هجرك ،
ولكن كيف يمكن الصبر ولم تعد هناك قدرة عليه ؟

ولو انهمرت الدموع من عينى بسبب هجرك ،
قل لى أرق دماء القلب فلم يعد هناك عذر لك .

إن «حافظ» لم يتحول من البكاء إلى الضحك بسبب أحزانه ،
فكيف يتسنى للمبتلى بمأتم أن يشارك فى الأفراح والولائم.

خاتم سليمان

قمحى اللون ذاك الذى له حلاوة الدنيا،
عينه خمرية اللون ، وشفته مبتسمة ، ووجهه سعيد بشوش.

وإذا كان أصحاب الثغور الحلوة ملوكا ،
إلا أنه سليمان هذا الزمان والخاتم معه .

وجهه جميل ، وعلمه كامل ، وذيله طاهر ؛
فلا جرم أن اجتمع معه ذوو الهمم الطاهرة .

خاله المسكى الموجود على وجنته القمحية اللون ،
يعرف سرّ تلك الحبة التى قطعت الطريق على آدم .

لقد عزم الحبيب على السفر ؛ فلنا الله يا أيها الأصدقاء ،
وماذا أفعل مع قلبى الجريح والمرهم والدواء معه .

ولمن يمكننى قول هذه المسألة وهى :

أن ذلك القاسى القلب قد قتلنى رغم أن معه أنفاس عيسى بن مريم التى تحيينا

ومع ذلك فـ «حافظ» من المعتقدين فيه ، فأكْرمه

فمعه العفو عن كثير من الأرواح المكرمة .

الرســــول

ذلك الرسول الشهير الذى وصل من ديار الحبيب ،
أحضر معه حرزا لروحى من خط الحبيب الذى ينثر المسك .

فما اجمل ما قدمه من دليل على جلال الحبيب وجماله ،
حتى يجعل قلب الراغب فى الحبيب يجدّ فى طلبه .

لقد وهبت له قلبى فى مقابل بشراه ، ولكننى أستحى
من نقدى الزائف الذى قدمته للحبيب .

فشكرا لله على مَدَد حظى المواتى ،
حيث أصبحت أمور الحبيب جميعها تجرى وفقا لرغباتى .

فأى إرادة للفلك فى سيره وللقمر فى دورته
وهما يطوفان وفقا لإرادة الحبيب؟

فلو أطاحت ريح الفتنة بالعالمين ،

فسوف نكون نحن ومصباح عيوننا على الطريق فى انتظار مقدم الحبيب.

فاحضر إلى يا نسيم الصباح كُحل الجواهرى

من ذلك التراب السعيد الحظ الذى مر فوقه الحبيب.

ودعنى أتضرع على أعتاب العشق؛

حتى أعرف من ذا الذى نام نوما هادئا فى أحضان الحبيب.

وأى خوف من حديث العدو عن «حافظ»؟

فالحمد لله أننى لا أخجل من لقاء الحبيب.

ياريح الصبـــا

ياريح الصبا ... إذا اتفق عبورك بديار الحبيب ،
فاحضرى نفحة من ذؤابته التى تفوح منها رائحة العنبر .

قسما بروحه سأضحى بروحى مغتبطا ،
لو أنك أحضرت لى رسالة من عنده .

وإذا لم تظفرى بالوصول إلى حضرته ؛
فاحضرى للعين غبارا من فوق أعتابه .

فأنا سائل مسكين ... فكيف أطمع فى وصاله ؟
لعلى أرى فى النوم طيفه .

وقلبى الصنوبرى كشجرة الصفصاف المرتعدة
حسرة على قامة الحبيب التى تشبه شجرة الصنوبر .

ومع أن الحبيب لا يشترينا بشيء،

إلا أننا لا نبيع شعرة من رأسه بالعالم أجمع.

فما عسى أن يحدث لو أصبح قلب «حافظ» طليقا من قيود الأحزان،

وقد أضحى المسكين خادما وعبدا للحبيب.

بدون سبب

ليس نعاس نرجستك الفتانة (*) بدون سبب ،
ولا تجاعيد طرتك المشعثة بدون سبب .

لقد كان اللبن يسيل من شفتيك حتى أننى كنت أقول :
إن هذا السُكَّر الذى يحيط بفمك لا يكون بدون سبب .

ليطل عمرك لأنى أعلم علم اليقين ؛
أن سهام أهدابك المشدودة فى القدس ليست بدون سبب .

إننى مبتلى بغم المحنة وأحزان الفراق ؛
فيا أيها القلب إن نواحك وأنينك ليس بلا سبب .

(*) أى عينك.

لقد مرت الرياح بالأمس على الروضة من ناحية دياره ،
فيا أيتها الوردة إنَّ تمزُّق جيوبك ليس بلا سبب .

ولو أخفى القلب آلام العشق عن الناس،
فإن بكاء عينك يا «حافظ» ليس بلا سبب.

لا تنكر علينا حالنـــا

أرأيت أن الحبيب لا يملك سوى الجور والظلم ؟

وأنه نقض العهد ولم يحزن لأحزاننا .

فيارب لا تؤاخذه على ذلك، حتى لو كان قد اصطاد قلبى كالحمام

ثم قتله ، ولم يرع حرمة لصيد الحرم .

لقد ظلمنى بسبب سوء حظى ، أما الحبيب

حاشا لله أن يتبع معى مراسم اللطف وطريق الكرم .

ومع هذا كله فإن من لم يتحمل المذلة منه ،

لن يحترمه أحد قط حيثما ذهب .

فيا أيها الساقى هات الخمر وقل للمدعى ،

لا تنكر علينا حالنا، فإن جمشيد لم يكن عنده مثل هذه الكأس.

وكل سالك لا يسلك الطريق إلى حريم بابه

يكون مسكينا ؛ فقد قطع الطريق فى الوادى ولم يتوصل إلى باب الحرم

فيا «حافظ» تمسك بكُرة الفصاحة، فإن المدعى

ليس له أى فضل كما أنه لا يعلم شيئا عنها.

دوران الفرجار

أرأيت أيها القلب ماذا فعلت أحزان العشق مرة أخرى
عندما ذهب الحبيب ، وماذا فعل مع الصديق الوفى ؟

آه من تلك النرجسة الساحرة وكم أثارت من ألاعيب ،
آه من تلك الثملة وماذا فعلت مع المفيقين من الرجال ؟

إن دموعى قد تلونت بلون الشفق بسبب قسوة الحبيب ،
فانظر إلى طالعى عديم الرحمة ماذا فعل فى هذا الأمر ؟

لقد أومض البرق فى السحر من منزل ليلى ؛
فآه مما فعله ببيدر المجنون جريح القلب .

فيا أيها الساقى اعطنى كأس الخمر ،
فليس معلوما لدينا ماذا كتب الغيب لنا فى حجب الأسرار .

إن من نَقَش هذه الدائرة الزرقاء كالميناء بنقوش كثيرة ،

لا أحد يعلم ماذا فعل فى دوران الفرجار .

إن الفكر فى العشق، ونيران الأحزان قد اضطرمت فى قلب «حافظ» وأحرقته؛

فانظر إلى الحبيب القديم ماذا فعل مع حبيبه.

لا يكون جميـــــلا

إن الورد لا يكون جميلا بدون وجنة الحبيبة ،
والربيع لا يكون جميلا بدون الخمر .

وأطراف الخميلة والطواف بالبستان
لا يكون جميلا بدون الوردية الوجه .

وتمايل السرو ، وحالة الورد ،
لا يكون جميلا بدون صوت البلبل .

ووجودك مع الحبيبة صاحبة الشفاه السكرية والقامة الوردية
لا يكون جميلا بدون القبل والعناق .

إن حديقة الورد والخمر جميلة ؛ ولكنها
لا تكون كذلك بدون صحبة الحبيبة .

إن كل صورة ترسمها يد العقل
غير صورة الحبيبة لا تكون جميلة .

فيا «حافظ» إن الروح نقد حقير زهيد ،
ولا يكون جميلا عندما يقدم للحبيبة .

لم يتحقـــق

ذابت الروح كى تتحقق أمانى القلب ... ولكنها لم تتحقق ،
واحترقنا بسبب هذه الأمانى الساذجة ... ولكنها لم تتحقق .

قال متضرعا : سأصير أميرا لمجلسك ذات ليلة ،
فأصبحت أقل خدامه برغبتى ، ولكن ذلك لم يتحقق .

وبعث برسالة يقول فيها "سوف أجلس مع المعربدين" ،
فاشتهرنا بالعربدة وشرب الثمالة ، ولكن ذلك لم يتحقق .

ولو اضطربت حمامة قلبى فى صدرى فهذا أمر جائز ،
لأنها رأت فى طريقها طيات الشباك ، ولكن ذلك لم يتحقق .

ونظرا لرغبتى الشديدة فى تقبيل شفته الياقوتية اللون بنشوة ،
كم من الدماء تقاطرت فى قلبى وكأنه كأس، ولكن ذلك لم يتحقق .

فلا تخطو بقدمك فى ديار العشق بدون دليل للطريق ،

فقد أبديت بنفسى كثيرا من الاهتمام ، ولكن شيئا لم يتحقق .

وقد أثار «حافظ» آلاف الحيل من فكره ،

على أمل أن تلين تلك الحبيبة ، ولكن هذا لم يتحقق .

البلبل الصبــــور

غرَّد البلبل الصبور من فوق غصن شجرة السرو من جديد ،
وصاح قائلا : لتكن عين السوء بعيدة عن وجه الوردة .

فيا أيتها الوردة ... الشكر لله على أنك ملكة الحسن ،
فلا تغترى مع البلابل المولهة المتيمة .

أنا لا أشكو من غيابك ،
فإذا لم يكن هناك الغياب ... فلن تكون هناك لذة للحضور .

وإذا كان الآخرون سعداء مبتهجين بطيب العيش والطرب ،
فإن لوعتى وحزنى بسبب الحبيب هو أساس سعادتى وابتهاجى.

وإذا كان الزاهد يطمع فى الحور والقصور ؛
فإن الحانة بالنسبة لى هى القصور ... والحبيب عندى هو الحور .

فاشرب الخمر على نغمات الصنج ولا تحزن ،
وإذا قال لك أحد لا تشرب الخمر ، فقل له : هو الغفور .

فيا «حافظ» لماذا تشكو من غم الهجر وأحزانه ؟
فبعد الهجر يكون الوصال وبعد الظلمة يكون النور .

لا تســـــأل

تحملت آلام العشق فلا تسأل كم كانت ،
وتجرعت سموم الهجر فلا تسأل كم كانت .

وطوفت العالم ... وفى نهاية الأمر
اخترت حبيبا واحدا ، فلا تسأل عنه .

ورغبة فى تراب أعتابه
أخذ الدمع يسيل من عينى ... فلا تسأل كم سالت .

لقد سمعت بالأمس كلاما جميلا
بأذنى من فمه ... فلا تسأل كم كان جميلا .

فلماذا تعض على شفتك قائلا : لا تتحدث ،
وقد عضضت أنا شفته الياقوتية ... فلا تسأل عن جمالها .

وفى صومعة الحاجة بدونك

كم تحملت من الآلام ... فلا تسأل كم تحملت .

ولقد وصلت رغم أنف المدعين

إلى مقام عالٍ كـ «حافظ» ... فلا تسأل عن علو مقامى.

قدر على النـــــار

لقد سلبتنى هذه الحسناء القاسية القلب البيضاء الأذنين
الاستقرار والطاقة والعقل .

فهى حسناء ، رشيقة ، مرحة ، عاقلة واعية ،
ظريفة ، قمرية الوجه ، تركية ترتدى العباءة .

وبسبب حرارة نيران عشقى لها ؛
فإننى أغلى دائما كقدر على النار .

وعندما أصير ملتصقا بها كالقميص سوف يرتاح خاطرى ،
وذلك إذا ضممتها فى أحضانى كما أفعل بالعباءة .

وإذا بليت عظامى ؛
فلن تنسى روحى حبك أبدا .

لقد سَلَبَتْ قلبى ودينى ، قلبى ودينى

بصدرها وكتفها ، بصدرها وكتفها ، بصدرها وكتفها .

ودواؤك ... دواؤك يا «حافظ»

هو شفتها الحلوة ، المعسولة ، مانحة الحياة .

كالشمعــــــــــة

لقد أصبحت فى وفائى لعشقك مشهورا لدى الحسان كالشمعة،
وأصبحت مقيما فى ديار المتمردين المعربدين كالشمعة .

ولا تغفو عينى العابدة للأحزان ليلا ونهارا ،
وما أكثر ما بكيت من آلام هجرك كالشمعة .

لقد انقطع خيط صبرى بمقراض الولع بك ،
وما زلت أحترق فى نيران محبتك كالشمعة .

وإذا لم تكن دموعى الوردية اللون متألقة براقة ؛
فكيف يضئ سرى الدفين العالم كالشمعة .

أصبح قلبى المغلوب على أمره مشغولا بك بين الماء والنار ،
والدموع تنهمر منه كالشمعة .

فابعث لى فى ليلة الهجران رسول الوصال ،
وإلا ... فإننى سأحرق العالم بسبب آلامى كالشمعة .

إن نهارى مظلم كالليل بدون جمالك الذى يزين العالم ،
وأنا فى نقصان دائم بكمال حبى لك كالشمعة .

وقد لانت جبال صبرى بسبب الحزن عليك كالشمعة ،
منذ أن ذبتُ فى ماء عشقك وناره كالشمعة .

وكالصباح يبقى نَفَس واحد مع رؤيتك ،
فأرنى وجهك أيها الحبيب حتى أضحى بروحى من أجلك كالشمعة .

وارفع رأسى ذات ليلة بوصالك أيها الرقيق العذب ؛
حتى ينير إيوانى من طلعتك كالشمعة .

عجبا لـــ «حافظ» الذى أشعل نيران حبك فى رأسه ،
فمتى يطفئ نيران القلب بدموع العين كالشمعة .

السلسبيل

يا من يكون وجهك كالخلد وشفتك الياقوتية كالسلسبيل ،
إن سلسبيلك مهد الطريق للروح والقلب .

وشعيرات خدك الخضراء حول شفتيك ،
تشبه النمل الملتف حول السلسبيل .

وسهام عينك قد إنطلقت من كل حدب وصوب ،
فأَرْدَت مائة قتيل مثلى .

فيارب أطفىء هذه النيران التى تضطرم فى روحى ،
بنفس الطريقة التى فعلتها مع «إبراهيم الخليل»(٦٥)

إننى لا أجد مجالا يا أيها الأصدقاء معه ؛
مع أنه يملك جمالا فائقا .

إن قدمى عرجاء ، والمنزل بعيد جدا ،
ويدى قاصرة ، والتمر فوق النخيل .

وقد أصبح «حافظ» فى قبضة عشق هذه الحسناء ...
كالنملة التى وقعت تحت أقدام الفيل .

وليدم لَملِك العالم البقاء والعز والجاه ،
وكل شىء شبيه بهذا .

الوردة والبلبل

ذهبت إلى البستان فى الصباح حتى أقطف وردة؛
فطرق سمعى فجأة صوت البلبل وتغريده .

هو مسكين مثلى قد ابتلى بعشق الوردة ،
وقد تردد صوته فى جنبات الخميلة .

ولقد طفت فى تلك الخميلة والبستان لحظة تلو لحظة ،
وتأملت فى أمر تلك الوردة وذلك البلبل .

كانت الوردة قرينة للحسن، وكان البلبل قرينا للعشق،
ولم يكن لهذه فضل، ولا لذاك تغير أو تبدل.

وعندما ترك صوت البلبل أثرا فى قلبى،
أصبحت غير قادر على أى نوع من التحمل.

ما أكثر الورود التى تتفتح وتزدهر فى هذا البستان ،
إلا أن أحدا لم يقطف منه وردة بدون أن يتأذى من شوكها .

فيا «حافظ» ... لا تأمل الفرج من هذا الفلك الدوار ،
فإن له ألف عيب ، وليس له فضل.

الحسن والعشق

لقد وصل شأن حسنك إلى الكمال كما هو الحال بالنسبة لعشقى لك،

فاسعد.. فلن يكون لكليهما زوال (*).

لا يدخل فى الوهم، ولا يتصور العقل،

أن يجئ مثال أجمل منك بأى شكل من الأشكال .

كان من الممكن أن يتحقق حظ عمرى ،

لو أنك متعتنى بوصالك حتى ولو ليوم واحد فى العمر .

وفى ذلك الحين ستمضى السنة علىّ وكأنها يوم واحد،

وفى تلك اللحظة التى أكون فيها بدونك يمضى اليوم وكأنه سنة كاملة.

(*) أى الحسن والعشق.

فكيف أرى طيفك فى النوم يا أيها الحبيب ،

وعينى لا ترى النوم سوى وَهْمًا .

فارحم قلبى ... فأنا بسبب حبى لوجهك الجميل ؛

أصبحت شخصا عاجزا ضعيفا نحيلا كالهلال .

فيا «حافظ»... لا تشكو إذا كنت تريد وصال الحبيب ،

وينبغى عليك أن تتحمل هجره أكثر من هذا .

كمال الخجندى

(توفى عام ٨٠٣ هـ)

ولد كمال الدين الخجندى فى مدينة «خجند» ببلاد ما وراء النهر ، وهو من شعراء القرن الثامن الهجرى المتصوفة. وقد هاجر بعد فترة إلى «تبريز»، وأصبح مقربا فى بلاط السلطان حسين الجلايرى، فأقام له خانقاه (تكية الصوفية). وكان كمال الدين ضمن كثير من العلماء الذين أخذهم معه الأمير قبچاق إلى عاصمته بعد هجومه على تبريز فى عام ٧٨٧ وظل بتلك المدينة لمدة أربع سنوات، ثم عاد إلى تبريز وظل بها إلى أن توفى فى تكيته. كان كمال الدين متمكنا فى الغزل الصوفى، وقد اقتدى به حافظ الشيرازى. ويضم ديوانه غزليات وقطع وعدة رباعيات .

تذكرت عطــرك

ذكرت اسم القمر ذات ليلة ... فتذكرت وجهك ،

وفى جوف الليل تذكرت حلقات شعرك .

وشاهدت الدمع ينساب بين التراب والدم ،

فتذكرت صرعى عينك الساحرة وضحاياها .

كان أحد الزهاد يصف ذات يوم رضوان والجنة ؛

فتذكرت المقيمين فى ديارك .

وعـنـدمـا سـمـعت وصف شـجـرة طـوبى ومـا بـهـا من ارتـفـاع وانخفاض،

تذكرت اعتدال قدك اللطيف المقبول .

وكنت أفتح أوراق ديوان «كمال» كأوراق الوردة ،

فتصاعد العبير منها ... فتذكرت عطرك وعبيرك الطيب .

حديث كمــــال

لم يخرج الحبيب من داره حتى الآن ،
وما زالت الرؤوس على أعتابه حتى الآن .

طائر العنقاء هذا الذى يظللنا بالسعادة ،
لم يفتح جناحيه ويغادر العش حتى الآن .

وعلت دعوات الجميع وصعدت إلى السماء ،
ولم تُلَبِّ حاجة العشاق حتى الآن .

لقد حرق شعاع ضياء وجهه عالما بأكمله ،
فى حين أنه لم يشعل النيران حتى الآن .

لقد أصابت سهام تلك الغمزة قلوبنا ،
وهو لم يصوبها إلى أهدافها حتى الآن .

امتلأت الآذان بحديث «كمال»

ولكنها لم تستمع إلى ذلك الدر الفريد حتى الآن.

قلت : سمعا وطاعـــة

قال الحبيب : غض البصر عن غيرنا ... فقلت : سمعا وطاعة ،
وعندئذ انظر إلينا خلسة ... فقلت : سمعا وطاعة .

قال الحبيب : إذا وجدت أثرا لأقدامنا فوق تراب الطريق
فانثر هناك دُرَّ دموع العين بكثرة ... فقلت : سمعا وطاعة .

قال : إذا أردت أن تضع رأسك فى صحراء أحزانى ؛
فاحمل البشرى منى إلى العطشى ... فقلت : سمعا وطاعة .

قال : إذا تجولت بالليل بعيدا عن وجهى الذى يشبه القمر ؛
فعُدَّ النجوم حتى وقت السحر ... فقلت : سمعا وطاعة .

عبد الرحمن الجامـــى

(توفى عام ٨٩٨هـ)

هو نور الدين عبد الرحمن الجامى من الشعراء المشهورين فى القرن التاسع الهجرى ، وكان أبوه نظام الدين دشتى (نسبة إلى محلة دشت بأصفهان) قد هاجر إلى ولاية جام . ويرجع تخلصه بلقب الجامى إلى سببين أحدهما ولادته فى ولاية جام ، وثانيهما بسبب إخلاصه ووفائه لشيخ الإسلام الجامى. وقد ذهب الجامى فى صغره إلى هرات وسمرقند مع أبيه وهناك حصّل العلوم والآداب، ثم انتقل بعد ذلك إلى عالم العرفان، وبعد أن اكتسب الفيض من أساتذة من أمثال سعد الدين محمد الكاشغرى وقاضى زاده الرومى، وصل إلى منزلة الإرشاد، ودخل فى سلك رؤساء الطريقة النقشبندية التى كان قد أسسها بهاء الدين نقشبند. سافر الجامى إلى مكة ، ثم انتقل إلى تبريز عن طريق دمشق بعد ذلك ، ثم رحل إلى هرات فى عام ٨٧٨ هـ .

ويمكن اعتبار الجامى آخر الشعراء المتصوفة فى إيران . وكان أستاذا فى الفنون المختلفة وعلوم الدين والأدب والتاريخ ، واهتم بأشعار سعدى وحافظ، كما قلد نظامى ونظم خمس منظومات على غرار منظوماته . وقد مدح فى أشعاره أبا الغازى السلطان حسين

بايقرا ووزيره الأمير عليشير نوائى والسلطان أبا سعيد التيمورى وجهانشاه قراقوينلو والسلطان محمد الفاتح العثمانى .

ويشتهر الجامى بكثرة أعماله المنظومة والمنثورة ؛ ومن أعماله المنظومة الديوان الذى يشتمل على قصائد وغزليات ومراثى وترجيع بند ومثنويات ورباعيات . وقد قسم الجامى ديوانه إلى ثلاثة أقسام سماها : فاتحة الشباب ، وواسطة العقد ، وخاتمة الحياة .

ومن أعماله أيضا «هفت اورنـ» التى قلد فيها خمسة نظامى وتشتمل على: سلسلة الذهب ، وسلامان وأبسال ، وتحفة الأحرار ، وسبحة الأبرار ، ويوسف وزليخا ، وليلى والمجنون ، وخردنامه اسكندرى .

ومن أعماله النثرية : نقد النصوص ، ونفحات الأنس ، واللوايح، واللوامع ، وشواهد النبوة ، وأشعة اللمعات، وبهارستان. وبالإضافة إلى هذا فإن له رسائل فى موضوعات مختلفة مثل: مناسك الحج ، الرسالة التهليلية فى علم الدين، رسالة فى أخلاق الصوفية باسم تحقيق مذهب الصوفية، رسالة فى علم القوافى ، رسالة فى الموسيقى ، تجنيس الخط، منشآت ومعميات ، والفوائد الضيائية فى الصرف والنحو المعروف بشرح ملا جامى ، وله فى التاريخ : تاريخ الصوفية . وقد أثرت أشعار الجامى وأفكاره خارج إيران كثيرا كما حدث فى الهند والدولة العثمانية .

نسيم الصبــــح

نسيم الصبح زر منى رُبى نجد وقبّلها (٦٦)
فإن عطر الحبيب يفوح من تلك المنازل الطاهرة الذكية .

عندما يزداد الشوق إلى الوصال ... فأى مجال يكون للوّم
إذا تعقب المجنون القافلة بتأثير عبير هودج ليلى .

إن حب الحبيب يملأ شغاف قلبى وهو لاهٍ عنى ،
فلا كان ما يقولونه من أن من القلب إلى القلب رسول .

وقد وصلت سلمى من الطريق وأنا على هذه الحالة من ضعف جسدى ،
فخذ يا صاح روحى تحفة منى واقبلها

ولا تُنزل يا سحاب العين دموع الحسرة فوق طريقها،
حتى لا يتأذى حافر جوادها فى بداية الرحلة بمثل هذا الطين .

لقد أصابت قلبى عقدة مستعصية بسبب هجرها،
وعندما رأيت جمالها حُلَّت جميع العقد فى الحال.

إن لدى «الجامى» أحزانا من جور الزمان فى النهاية،
ولكن خوف إملال الندامى لم يطولها.

يا من بدا جمالك

يا من بدا جمالك فى كل ما بدا(٦٧)

لتكن ألف روح مقدسة فداء لك .

إننى أبكى وأنوح من فراقى لك انفصالى عنك لحظة بلحظة كالناى ،

والأطرف من كل هذا أننى لا أفارقك ولا أنفصل عنك ولو للحظة واحدة

العشق وحده هو الذى يتجلى فى كلا العالمين ،

أحيانا من ملابس الشاه ، وأحيانا أخرى من رداء الشحاذ .

يصل إلى مسامعك دائما صوت على نوعين ؛

أحيانا تسميه النداء ، وأحيانا أخرى تسميه الصوت .

فانهض يا أيها الساقى وصب جرعة من الخمر كرما منك ،
من ذلك الكأس الذى يزيل أحزان العشاق المحزونين .

من ذلك الكأس الخاص الذى عندما يخلصنى من ذاتى ،
لن يبقى فى عين الشهود سوى الله .

فيا «جامى» ... إنه لا يوجد طريق للاهتداء إلى الله غير طريق العشق ،
وقد قلنا هذا والسلام على من اتبع الهدى.

نيران الشوق

نفحات وصلك أوقدت جمرات شوقك فى الحشا(٦٨)

ولكنها لم توقد قليلا من النار فى ال صدر من الحزن عليك كما تشاء .

أى مظهر تتجلى فيه ، إنك صوت صيحة الملائكة ،

وأنت تمر من ذروة اللامكان حيث يكون جمال الأزل ... وما أطيبه .

إن كل عمار المساجد والصوامع يرددون أوراد الصباح وأدعية المساء،

وأنا أردد ذكر طلعتك وطرتك "من الغداة إلى العشاء" .

لقد عقدت كل طية من طيات جدائلك عقدة بشأنى ،

فمن ذا الذى يحل عقدة أمرى من بين طيات جدائلك ؟

إن قلبى يخطو بخطوات الوفاء فى عشقك على سبيل الطلب ، «فلئن سعى فبه سعى ، ولئن مشى فبه مشى» .

وقد تَعَوَّد عليك ، ودَمِىَ قلبى ، وبك يكون الهدوء لروحى . «فهجرتنى وجعلتنى متحيرا متوحشا» .

فأى جفاء لم يتحمله «الجامى» الكسير القلب بسبب فراقك ؟ فلا تتراجع عن طريق الوفاء ... وأقبل ناحية العشاق المتحملين للجفاء.

واحـــــــد

الحسان بالآلاف ولكن مقصودى منهم جميعا هو واحد(٦٩)
ولو قطعونى مائة قطعة بالسيف ؛ فإن كلامى سيكون واحدا .

ما أجمل محفل الحسان ، ولكن
القمر الذى يزين هذا المحفل ويضيئه هو واحد .
نريد أن نقدم له هدية فى كل خطوة يخطوها بقدميه ،
ولكننا نقصر فى ذلك لأننا لا نملك فى أبداننا غير روح واحدة .

لقد وصل ضعفى إلى حد أنه
لا يُعرف أن أحدا داخل هذا القميص بدون سماع صراخه ونواحه (٧٠)

وحيثما يتلألأ ياقوت «شيرين» الخلاب ،
يكون الياقوت والحجارة فى نظر «زهاد» محطم الجبل شيئا واحدا .

لقد حطمت شرفنا وسمعتنا عند الحسان ،

نعم ... فإن من بين مائة خليل يكون محطم الأصنام واحدا .

فيا «جامى» أغلق فمك عن الحديث فى هذه الروضة ؛

فهناك يكون تغريد البلبل ونعيق الغراب شيئا واحدا .

سنة قحط الهجـــــران

ارحمنى يا إلهى من ذلك الشاب القاسى القلب ،
أو امنح الطاقة على التحمل والصبر لذلك الشيخ الضعيف .

إن حظى شاب وعقلى عجوز ، ولكن عشقه
يخضع لأمره كل الشيوخ والشباب .

لو اصفرًّ النبات فى سنة قحط الهجران ؛
فلا ذبلت زهرة الأرجوان الندية تلك .

إن الدماء تسيل من عينى، فأين ذلك الحظ
الذى يجعلنى أرى تلك السروة التى تجلس على حافة النبع الجارى.

لا تربط المحمل اليوم يا حادى الأحبة؛
فإن دموع عينى سوف تغلق الطريق أمام القافلة وتعوق سيرها.

فلو قال «جامى»: لقد تبت عن عشق الأحبة؛
فاستمع إلىّ واحذر الاستماع إلى قوله ولا تصدقه.

الرضيـــــع(٧١)

ذَهَبْتَ ولم تَشْبَع العين من رؤياك حتى الآن ،

ولم تستمع الأذن إلى مسألة واحدة من شفتيك حتى الآن .

لقد قطفتك يد الأجل يا برعمة جديدة ،

ولم تقطف يدك وردة واحدة من على غصن الأمل حتى الآن .

لأى شىء كان كل هذا الألم الذى عانى منه جسدك العاجز الضعيف،

ولَمْ تتأذى تحت أقدامك نملة واحدة حتى الآن .

لقد صار طرف كل شعرة فى مفرقك سيفا من البلاء ،

ولم يُحلَق شعر مفرقك منذ يوم الولادة وحتى الآن .

لماذا صب الفلك كل هذا السم فى حلقك ؛
وأنت لم تشرب شربة شهد واحدة من هذه الكأس حتى الآن .

وبينما فتح التراب فمه ليلتقمك ،
لم يكن فمك الصغير الضيق قد مضغ لقمة واحدة حتى الآن .

لقد حملوك على الأيدى إلى التراب وهم يتمايلون ،
وقدمك لم تخط خطوة واحدة أيها اللطيف حتى الآن.

مرض القلـــــب

أيها الأصدقاء ما أكثر ما أبكى وأنوح بسبب آلام قلبى،
فلا ابتلى أحد ببلاء القلب وانشغاله .

لقد تجاوزت مدة الهجر الحدود ... فأين الصبر ؟
ومن يساعد القلب فى هذه الحادثة الصعبة ؟

لقد قرأت كثيرا من قصص العشاق ... ولم أجد فيها
سوى جفاء الحبيب ووفاء القلب المُحب .

فيا من تتكر على القلب نواحه وضعفه .. تعال
وضع أذنك على صدرى ، واستمع إلى أنينه ونواحه .

إذا لم أتوصل إلى وصالك يا أيها الحبيب فإن معاناة الطلب وآلامه أيضا جميلة ،

ولا مطلب لى سوى ما يطلبه القلب .

لـقـد مـضـى الـزمـن والـعـمـر وقـلـب «جـامى» يـدمـى بـسـبـب هـذه الأحزان،

فمن ذا الذى يشرح لك لحظة متاعب القلب وآلامه؟

طيفـــــك

قلتَ لى : لمن تكون عاشقا متيما ؟
أنا عاشقك .. فقل لى أنت لمن تكون حبيبا ؟

لقد تهيأت للعداء وشهرت سيفا من غمزاتك ،
روحى فداؤك ... وراء أذية من تسعى ؟

لى قلب يزداد حزنه كل لحظة بسبب هجرك ؛
فلمن ستكون أنت نفسك مرهما وعلاجا لمتعب القلب ؟

فأنا كل ليلة مجتمع مع خيالك فى زاوية المحن ،
فمع من تكون جليسا ولمن تكون مؤنسا وأنيسا ؟

فأنا رغم أحزانك أيها الحبيب ما زلت على عهدى ووفائى ،
فلمن تكون حبيبا وفيا يا عديم الوفاء ؟

ومهما طفت وتجولت حول ديارك ، فإنك أحيانا تسأل :
ماذا تفعل هنا ومن تطلب؟

فيا «جامى»... لا تنتظر الخلاص من قيود العشق وأغلاله،
وفكر فى هذا، وانظر لمن تكون أسيرا؟

حال القلب الضعيف الباكــــى

يا مرتاح القلب ... ماذا تدرى عن حال القلب الضعيف الباكى ؟
وماذا تعرف عن سفك دماء العشاق المحزونين ؟

أنت نائم فى الخلوة مدللا منعما من أول الليل وحتى السحر :
فماذا تعرف أنت عن هذه العين اليقظة التى لم يغلبها النوم ؟

لم يحدث مطلقا أن شاكتك شوكة فى باطن قدمك ؛
فماذا تدرى عن آلام صدر الحزين ومعاناته ؟

ويا أيتها الحمامة المطوقة التى ترفرف بجناحيها فوق أشجار السرو ،
ماذا تدرين أنت عن آلام قلوب الطيور الأخرى الأسيرة ؟

فيا «جامى».. أنت مع كأس الخمر واللاوعى والسكر ؛
ماذا تدرى عن طرق وأساليب الأذكياء العقلاء .

هلال الجغتائـــــى

(توفى عام ٩٣٥هـ)

يعتبر نور الدين هلالى الاسترآبادى المعروف بالجغتائى واحدا من شعراء الغزل المشهورين فى القرن العاشر الهجرى . وقد انتقل هلالى من استرآباد إلى خراسان، والتحق ببلاط السلطان أبى الغازى حسين بايقرا ، ودخل فى ظل حماية الأمير عليشير نوائى ورعايته. ويضم ديوانه غزليات رقيقة ومثنويتين باسم «شاه ودرويش» و «صفات العاشقين» .

ألم الفـــــراق

لقد سعيت لكى يكون الحبيب بعيدا عن الأغيار ،
ولم يتم ذلك فى نهاية الأمر وأنا الذى ابتعدت عنه .

ويفارقنى اليوم ذلك الحبيب الغالى ،
كما تفارق الروح جسد المريض .

ولو ظللت بعيدا عنه فسوف يُسيل دمى ،
وسوف يكون قلبى الدامى منفصلا عن عينى التى تسيل منها الدماء .

ويرقد تحت أسوار منزله جسدى النحيل ؛
مثله فى ذلك مثل قشة سقطت من فوق الأسوار .

وأنا الذى تحقق لى وصالك مرة واحدة طوال العمر ،

كيف يتسنى لى أن أنفصل عنك مرة واحدة .

فيا أيها الأصدقاء اعرفوا قيمة الصحبة فإن الفلك

كثيرا ما زرع الفرقة بين الأصدقاء .

ولم نر فى هذا البستان وردة بعيدة عن الشوك ،

غير ذلك القمر الذى لم يتحقق لـ «هلالى» وصاله .

أين هو الحبيب الوفـــى ؟

يا من تطلب أثرا من الحبيب ، أين هو الحبيب ؟
الجميع أحبة ، ولكن أين هو الحبيب الوفى ؟

لا يمكن البوح بأحزان القلب للأحبة طالما لم يسألوا
وإذا سألوا ... فأين لى بالقدرة على البوح ؟

لقد ذهبت تلك الوردة النضرة وبقى فى قلبى شوك أحزانها ،
فأين تظهر الوردة وتتجلى ، وأين يكون اللوم والتوبيخ للشوك ؟

لم يعد هناك صبر أبدا فى منزل القلب الخرب ،
فأين يتأتى النوم لعين الحزين المريض ؟

لا تبحث عن عقلنا وإدراكنا فى خرابات كهف المجوس،

فجميعنا سكارى فى هذه الحانة فأين هو العاقل الواعى ؟

الأفضل لك يا «هلالى» أن تكتم سرك ،

ولا تبح به ... فأين هو من يؤتمن على الأسرار ؟

قدر الألــــــم

لا يمكن شرح مصيبة الهجر لك ،
لقد وقعتُ فى البلاء الذى لا يمكن شرحه .

لقد أصابنى الزمان دائما بالآلام ،
وجاءت أحزانك فزادتها آلاف المرات .

إن بلاء عشقك كان صعبا .. فما أسعد المتيم
الذى مات أمامك وسَهَّل الأمر عليك .

لقد تَخَيَّلَ قتلى ... آه ... ماذا حدث يارب ؟
وأى قاسى القلب جعل ذلك المَرِحَ نادما ؟

فالمستهتر لم يحصل على لذة أصحاب الذوق ،
لأنه لم يعرف قيمة الألم وقدره ... وفكر فى الدواء .

إن جرح قلبنا لا يظهر للطبيب ،

لأن كل ما فعلته غمزته ... أخفته .

فيا «هلالى» ماذا تسأل عن قلبى الجريح ،

إن الخرابة التى رأيتها قد خربها الفراق .

مقتول ومحـــــروق

نحن الآن نبكى بحرقة وننتحب بسبب أحزانك كالشمعة ،

ولا ندرى شيئا عن احتراقنا كالشمعة .

نحن نرضى بأن تفصل رؤوسنا عن أجسادنا بسيفك،

ولكننا لن نتخلى عن شعلة الشوق إليك المشتعلة فى رأسنا كالشمعة.

نحن الذين تمتلىء قلوبنا بالنار ... وعيوننا بالدمع،

كيف لا نحترق ولماذا لا تنهمر دموعنا كالشمعة ؟

لما كانت نيراننا مضيئة فى كل العالم ،

فلأجل أى شىء نتحدث عن احتراقنا كالشمعة .

فيا نسيم السحر إحمل لنا خبرا عن صبح وصاله ،

حتى نضحى بأرواحنا ونحن نبتسم كالشمعة .

نحن لا نملك قدرة الأغراب والأغيار ،

لأننا صرعى ومحروقى خلوة الحبيب كالشمعة .

فيا «هلالى» لقد حرق ليل الهجر قلوبنا مائة مرة ،

لأننا محترقو القلب فى هذا الليل المظلم كالشمعة.

الجرح الخفـــــى

مضى العمر... وأنا الآن عليل الروح،
وأصبحت شيخا عجوزا ولكن عشقى ما زال عشق شاب فتى.

إن معالجى القلب والروح جميعهم مرضى ولكن
اجعل لى وسيلة للعلاج فأنا أيضا صاحب قلب وروح.

لقد إستيقن الخلق جميعا بأن الوفاء ليس من شيمتك،
ولكننى ما زلت أتصوره وأفكر فيه بسبب طمعى.

ليتك تشق قلبى الحزين الشبيه بزهرة الشقائق،
حتى تعرف على أى نحو يكون جرحى الخفى.

إن مُلْك عشقك هو الدنيا التى لا حدود لها،
وأنا أعيش فى هذا الملك وأعانى من اضطراب الدنيا وجلبتها.

فاستمع يا روحى إلى شرح آلام «هلالى»؛

فأنا عندى شرح وبيان لهذه الحادثة المؤلمة والمفجعة.

بلا صبر واستقـــــرار

أيها الرفاق إننى عاشق ، وعاشق ضعيف ... فماذا أفعل ؟

والعلاج هو الصبر ، ولكن لا صبر عندى ... فماذا أفعل ؟

أيها الطبيب لا تتجشم العناء ولا تتحمل المشقة ؛

فإننى أموت كمدا إذا لم أسلم الروح ... فماذا أفعل ؟

لقد أراق دم كبدى من زاوية عينى ،

ولم يأت فلذة الكبد ذلك إلى جانبى ... فماذا أفعل ؟

كم تقول لى اذهب ولذ بالفرار واتركنى ،

آه لو لذت بالفرار منك وتركتك ... فماذا أفعل ؟

إن المتألمين جميعا يقر قرارهم عن طريق الصبر ،

أم أنا فلا صبر لى ولااستقرار بسبب الآلام التى تسببها لى ... فماذا أفعل ؟

فلو رأيتنى كطيور الخريف وقد أصابنى الملل ... فأى عجب فى هذا ؟

فأنا لا أرى الوردة وأتأذى من شوكها ... فماذا أفعل ؟

يقول الناس : يا «هلالى» ماذا تفعل بالبكاء بحرقة ،

وأقول لهم : إن هناك ما يبعث على البكاء وأنا العاشق الضعيف ... فماذا أفعل ؟

حبيب لا يرحم

- الحبيب لا يرحم وروحى تعانى من الألم... فماذا أفعل؟
وأنا لا أعرف مثيلا له ولا مثيلا لآهاتى... فماذا أفعل؟

- سوف أذهب باكيًا صارخا محترق الصدر كالشواء،
ثملا ومجنونًا وخجلا من العالم... فماذا أفعل؟

- لقد عشت اليوم بدونك أعانى مائة حسرة وحزنا،
آه لو بقيت على قيد الحياة ليوم آخر.. ماذا أفعل؟

- لا يمكن علاج عشقك بدون تحمل؛ ولكن
أنا المسكين لا يمكننى التحمل... فماذا أفعل؟

- كم تقول يا «هلالى» لا تبكِ من الألم مرة أخرى؛
وأنا أبكى وأصرخ من هذا الألم... فماذا أفعل؟

النصيحة والطعن

حمدا لله أن الروح قد ذهبت أدراج الرياح وتحول جسدى أيضا إلى تراب،

وتخلصت من نصيحة الصديق ومن طعن العدو ولومه أيضا .

فيا قلبى صبرا ولا تفارق ديار الحبيب كل لحظة على هذا النحو،

لأنك سوف تخجل فى نهاية الأمر من عدم التحمل هذا وأنا أيضا .

ماذا أقول ؟ .. لا تصف ألمى فإن الألم الذى أعانى منه

لا طاقة لى على وصفه ، ولا قدرة لى على سماعه أيضا .

لقد أصبحت مجنونا ويجذب الأطفال أطراف ثوبى من كل ناحية ؛

وتمزقت لبة ثوبى وكذلك حاشيته بسبب العشق .

لقد غرست شوكة فى قلبى وتقول لى: انزعها ،
ويبدو أنك تريد بذلك بقاء جرح الإبرة أيضا .

ليكن قلب «هلالى» وروحه درعا يتلقى سهامك،
فإن حاجبك قوس وعينك تطلق السهام والرماح.

مع طيف الحبيب

إنه وقت الربيع ... فتعال حتى نحتسى معا كأسا ،
وننسى محن الأيام ومتاعبها .

فيا أيها الساقى ... إن الإدراك والعقل يشتت فكرنا ؛
فاحضر الخمر حتى نترك العقل والإدراك .

ليس من المسموح به لنا أن نتحدث أمامك ،
فتحدث أنت معنا ... ونحن نصغى إليك .

لقد تحدثنا إليك عن أحزاننا مرارا ... ولم تستمع إلينا ؛
لذا فإن من المصلحة بعد ذلك أن نظل صامتين .

نحن لم نذكر مطلقا ما حدث لأرواحنا بسبب قسوة ظلمك ،
فماذا يحدث لو طمعنا فى شهد شفتك الحلوة ؟

وماذا لو حصلنا على عناقك ؟

حتى لو كان هذا العناق لطيفك .

ولما كان الحبيب كساقى المحفل فانهض يا «هلالى»

حتى نجعلك متيما مذهولا بجرعة واحدة .

اختيارى وإرادتى

دمى القلب أملا ... ولم يصبح الحبيب حبيبى ،
فالويل لى والويل لقلبى الآمل .

إننى أبكى من ظلم الزمان وجوره ؛
ففى الفراق إسودَّ نهارى وزمانى أيضا .

لقد أوشك منزل عمرى على الخراب ،
فارحمنى ... وإلا فإن أمورى كلها ستخرب .

لقد كان قلبى صابرا ومستقرا قبل ذلك ،
فإلى أين ذهب كل هذا الصبر وهذا الاستقرار .

فيا سيل دمعى إروِ تراب وجودى،
حتى لا يتصاعد غبارى ويغطى قلب أى شخص .

قلتَ اذهب يا «هلالى» واختر الصبر ،

يا ويلتاه إذا لم أفعل ذلك لأنه ليس بإرادتى واختيارى .

تراب قدميـــــك

يا عديم الوفاء ... ماذا أفعل مع جفائك وظلمك ؟
وإلى متى أتحمل هذا الجفاء والظلم أملا فى وفائك ؟

لما لم يكن هناك حيلة لمبتلى عشقك ؛
فمسكين ذلك العاشق الذى يبتلى بك .

إننى أدعو الله وأطلب منه مائة ألف روح ،
حتى أموت مائة ألف مرة من أجلك .

من أنا حتى أضحى بروحى من أجلك ،
يا من تكون مائة ألف روح مقدسة فداء لك .

ومنذ أن رأيتك تحل رباط عباءتك ،
كم من القيود والأربطة قيدت قلبى بسبب عباءتك .

فيا سروة الدلال ... إذا مررت بجانبى ؛

فإن مكانك سيكون وسط روحى حقا .

إن اليوم الذى يسلم فيه «هلالى» عمره للرياح ؛

يطلب من الله أن يصبح ترابا تحت قدميك .

أهلى الشيرازى

(توفى عام ٩٤٢هـ)

هو من شعراء القرن العاشر ومن معاصرى الشاه إسماعيل الصفوى، وتشتمل أشعاره على غزليات وقصائد، وله قصائد فى مدح الرسول (صلعم). ومن أعماله أيضا مثنوى «سحر حلال» الذى نظمه فى بحرين وقافيتين فى الرد على مثنويتى «تجنيسات» و«مجمع البحرين» لكاتبى النيشابورى (توفى عام ٨٣٨هـ) . وله أيضا «شمع وپروانه» ومجموعة رباعيات باسم «ساقى نامه».

البرعمة الذابلة

ابتسمت الوردة وتفتحت البراعم وتزينت الخميلة ،

أما تلك البرعمة الذابلة التى لم تتفتح فهى قلبى .

ماذا تكون شوكة الوردة بجانب شوكة أحزانى يا طائر الخميلة ؟

فشوكتى فى كبدى وشوكتك فى قدمك .

لا تدعونى لأنتقل من ديار الحبيب إلى البستان ،

فبستانى يكون دائما حيثما يكون حبيبى .

إن التنزه بين الخمائل جميل لمن هو خالى القلب ؛

وأى راحة وهدوء لطيور الخميلة فوق الورد والسرو .

فيا «أهلى» عندما تستطيع أن تحنى رأسك عند أقدام الحبيب ،

اغتنم الفرصة عندئذ فالنهاية ليست واضحة .

خُلقنـــــــا

إن عملنا هو العشق ومن أجله خُلقنا ،
ولقد خُلق كل شئ لعملٍ ما فى هذه الدنيا .

ولو أذاب العشق العشاق كالشمعة ... فهذا جائز ؛
فلماذا إذن يتحدثون عن هذه الحرقة الداخلية ؟

وهاتان الشفتان الياقوتيتان اللتان تعيدان الروح كماء الحياة ،
تحيى بحديثها مائة مثل عيسى .

فيا «أهلى» إن القتل فى سبيل العشق ليس عارا ؛
فاسعد اليوم لأننا قد خلقنا .

أُقَبِّلَ قدميـــــك

ما أجمل أن تأتى وأُقَبِّل قدميك،
أقبل قدميك كما يفعل ظل جدائلك.

وحيثما تنفست ذات يوم،
أذهبُ هناك وأُقَبِّل المكان الذى كنت فيه وأنا أبكى.

إننى أتخيل وجهك وأُقَبِّل الشقائق والورود،
حسرة على فراق وجنتيك أيها الحبيب.

فأنا «أهلى» درويش مسكين أمامك يا ملك الحسان،
واليد التى أقبلها إنما أقبلها على أمل لقائك.

وحشى البافقى

(توفى عام ٩٩١هـ)

هو كمال الدين وحشى البافقى الكرمانى من شعراء العصر الصفوى. ولد فى قصبة بافق التى تقع على بعد ٢٤ فرسخا من مدينة يزد . ولما كانت بافق من أعمال كرمان فى السابق فقد عرف باسم البافقى الكرمانى . وذهب فى شبابه إلى يزد ثم إلى كاشان واشتغل بالتدريس ثم عاد إلى يزد بعد فترة وظل بها إلى آخر حياته. وقد وصل وحشى وهو فى يزد إلى بلاط غياث الدين ميرميران حاكم يزد ونظم قصائد فى مدحه. ومن ممدوحيه أيضا الشاه طهماسب وولى سلطان أفشار حاكم كرمان. ومن أهم أعماله التى تمتلئ بمشاعر الحب والإحساسات الرقيقة ديوانه الذى يضم قصائد وقطع وتركيب بند وترجيع بند ورباعيات. كما نظم وحشى عدة مثنويات تقليدا لنظامى وهى: خلدبرين، وناظر ومنظور، وفرهاد وشيرين.

نار الأحـــزان

إننى أعـانى الـلـيـلـة أكثـر من أى لـيـلـة آخـرى من حـمـى الـغم والأحزان،

وأوصيكم بمتابعة حالتى الليلة .

ولا تغفلوا أيها الرفاق عنى الليلة مرة أخرى ،

فإننا نرغب فى زوال آلام الرأس من حضور محفلكم الليلة .

يبدو أن علامات الموت قد ظهرت علىّ ،

وسوف يكون للرفاق أكمام يمسحون بها أعينهم الدامعة خفية هذه الليلة.

لا تبتعد عن وسادتى أيها الرفيق بالله عليك ؛

لأننى لا أرى نفسى الليلة كما كنت أراها فى الليالى الأخرى .

فقد أشعلت أحزان تلك الحبيبة الفضية الجسد النار فى روح «وحشى» ؛

فلا تتركوه أيها الرفاق الليلة حتى يحين وقت السحر .

مرة أخـــــرى

قفزتُ من الفخ وابتعدتُ عنه ، فأوقع به أيها الحبيب أسيرا وصيدا آخر ؛

فلست أنا من تخدعه مرة أخرى .

لقد أصبح طبيبى ـ أنا المريض ـ مسيحى النفس؛

فاذهب أنت لعلاج قلب مريض آخر .

قل للحبيب لا تسع بغمزاتك للتواصل والتعاطف معنا من جديد؛

فقد أسلمنا قلبنا لحبيب آخر .

من كثرة ما آذانى ؛ فسوف أكون فى راحة منه ،

حتى لو عانيت مائة نوع من الأذى من عاشق ظالم آخر .

فيا «وحشى» تخلص من قبضة الجفاء وتوقف عن حبه ، حتى لا تقع مرة أخرى فى علاقة مع ظالم آخر .

قرار آخــــــر

إننى ذاهب إلى مكان آخر ، وسوف أسلم قلبى لحبيب آخر ،
وسوف يكون ميلى وحبى لحبيب آخر وديار أخرى .

وسوف أسلم هذا القلب للآخرين بعد ما ذَلَلْتَه ،
لأن العاشق الجديد له اعتبار آخر .

لقد انتهى ما بينى وبينك من دلال وحب ،
فعليك أن تتخذ بنفسك بعد ذلك قرارا آخر .

واخبر صيادَنا أننا ذهبنا ،
حتى يفكر فى ضحية أخرى وصيد آخر .

واسكت يا «وحشى» عن الحديث عن عشقه وتخيله ؛
فإن هذا الكلام ما هو إلا قصة قصصتها آلاف المرات .

لا ننقض العهـــــد

عندما نتعاهد مع أحد، فإننا لا ننقض العهد مطلقا،

ولو كان كأس شرابه مليئا بالسم فإننا نتجرعه ولا نحطم الكأس.

فعندنا يكون الياقوت ياقوتا ... والجواهر جواهر ،

وهذا هو ديدننا فنحن لا نقلل من شأن الجواهر .

لقد حددوا لكل بضاعة سعرا معينا فى هذا السوق ،

ولو أصبح السُكَّرُ كثيرا فإننا لن نخفض سعره .

لسنا نحن من نحطم الأشجار ونسقطها... فهؤلاء جماعة أخرى،

وحتى مع وجود مائة فأس، فإننا لا نقطع غصنا غير مثمر.

فالأفضل لك يا «وحشى» ألا نؤذى قلبك فى العشق،
ولا نجرحه أكثر من هذا بسن المِشرط.

... قد سمعنـــــاه

عندما سحبنا القدم من باب ... سحبناها ،

وعندما قطعنا الأمل من كل شخص ... قطعناه .

فالقلب ليس حمامة تطير لتهبط ؛

فعندما طرنا من زاوية الشرفة ... طرنا .

كان تخويف صيدى خطأ من البداية ،

والآن وقد تخوف وفزعنا .. فزعنا .

وحَيُّك الذى هو جنة إرم وروضة الخلد ،

افترض أننا رأيناه .. والحقيقة أننا لم نره .. لم نره .

إنه مائة حديقة فى وقت الربيع ومناجاة وردة وروضة ؛

فإذا كنا لم نقطف ثمار حديقة واحدة ... فإننا لم نقطفها .

نحن من أعلى الرأس إلى أخمص القدم سيف دعاء وأنت غافل:
تنبه فقد حانت اللحظة وها قد وصلنا .. وصلنا .

فيا «وحشى» إن سبب البعد وهذا النوع من الكلام
الذى لم نسمعه أيضا ... قد سمعناه .

عُــــــدْ

آه إلى متى لا تعود من السفر ... عُدّ ،
لقد أحرقنى الشوق إليك فأين أنت ... عُدّ .

كاد هجرك أن يقتلنا،
فإذا كنت عازما على إراقة دمنا .. عُدّ.

لقد عاهدتنا على أن تعود ثانية وتقتلنا؛
وقد حان الوقت لذلك فتكرم ... وعُدّ.

ذهبت ولم تعد ثانية وأنا فى شقاء بدونك،
فلماذا كل هذه القسوة يا حبيبى؟ ... عُدّ.

فيا وحشى بجرم أنك قد ذهبت بسبب ذلك،
عُدّ وإن كنت تستوجب مائة نوع من الجفاء.

اللســــــان

لا دخل للسان فى أسرار العشق ،
فاللسان يعرف أنه لا مجال للبيان والحديث عن ذلك .

فالغمزة بدلال كافية بين العاشق والمعشوق ،
وبيان الحال عندئذ لا يكون بالفم واللسان .

إن قلبى الخائف الفزع جريح مصاب فى مكان الصيد ،
وإصابة الصيد لا تكون إلا بالسهم والقوس .

ومن هنا قل رواج سوق المحتالين ،
لأن الإمتحان لا يكون إلا بالمحك .

إذا لم تكن رحيما بى فى هذا الغرض،
فإن أحدا بخلقك لا يكون قاسيا.

لا تسأل عن العالم الذى وصلت فيه إلى غاية الحزن والألم ،
حيث لا يمكن قطع المسافات وطى الزمن .

ولا تمنع لسانك يا «وحشى» عن ترديد قصة العشق ،
وقل إنه لا توجد قصة أفضل من هذه القصة .

طالب الآملـــى

(توفى عام ١٠٣٦هـ)

هو ملك الشعراء محمد طالب الآملى من شعراء القرن الحادى عشر . عاش فى بداية حياته فى مدينة آمل بمازندران، ثم انتقل بعد ذلك إلى كاشان ومرو ومنها إلى الهند، وقضى فترة فى مدن الهند المختلفة، إلى أن وصل فى نهاية الأمر إلى بلاط جهانگير، وفى عام ١٠٢٨حصل على لقب ملك الشعراء فى بلاطه. وكما يستفاد من كلام طالب أنه كان على علم بالعلوم المختلفة فى عصره كالهندسة والمنطق والحكمة والهيئة . ويضم ديوانه قصائد وغزليات ، وله أشعار فى أخته «ست النساء» التى كانت سيدة عاقلة وذكية . كما أن له أيضا منظومة باسم «جهانگيرنامه». وقد امتاز طالب فى أشعاره بذكر استعارات لطيفة وجديدة .

صورتـــــك

حيثما جلسنا أصبح مكان جلوسنا وطنا ومقرا لنا من الضعف ،
وفى كل ناحية مررنا صارت روضة بسبب بكائنا .

فهب لنا روحا أخرى فإن الروح التى رأيتها
كم أهالت من التراب على رأسها حتى أصبحت جسدا .

كنت قد نسجت قميصا من خيوط الوفاء ،
وعندما لم يتحمل جفاءك أصبح كفنا .

كل حجر ضربتُ به صدرى رَسَم صورتك ،
وصار ذلك الحجر أيضا صنما أعبده .

الإغارة على الروضـــــة

ابتلت العين بالدموع من كثرة بكائها فى الليل والسحر ،
فادعو لى بألا يكون هناك ليل ولا سحر .

حفظت جراح العشق فى قلبى وأخشى
ضياع القلب وبقاء تلك الجراح فيه .

ادخلوا فى تركيبة دوائنا الناجع ،
كل نبات تكون أوراقه شبيهة بالمشرط .

إن جدائل الحبيب لا يقر لها قرار أبدا ،
مما يجعل نهارنا وليلنا يتشابهان مع بعضهما .

فاحصلوا على رسالته لعزتكم
فهو الملاك الذى يشبه الطيور حاملة الرسائل .

ومن كثرة ما تناثرت قطع القلب فى كل زاوية ،
أصبح فضاء الدهر شبيها بحانوت الزَجَّاج .

إن للإغارة على روضتك منن وأفضال على الربيع ،
فالزهور بين يديك تظل أكثر نضرة من وجودها على الأغصان .

عندما أجعل الشفة حلوة من شهد قلم "طالب" ،
يظل طعم قصب السكر فى فمى لمدة أسبوعين .

جرح الأمانـــــــى

فى كل ناحية جلسنا فى نشوة الحب ،
جلسنا وفى قلوبنا جرح الأمانى .

جلسنا تحت السماء وقد أصابنا ألف نوع من الكدر والضيق ،
وكنا نشبه الثمالة الباقية فى قاع الكأس .

وها هو اليوم قد مضى أيضا بكل ما فيه من محن ،
وقد جلسنا فى انتظار محن الغد وآلامه .

صائب التبريــــزى

(توفى عام ١٠٨٠هـ)

هو محمد على بن ميرزا عبد الرحيم صائب التبريزى من شعراء القرن الثانى عشر الكبار. كان أبوه من التجار المشهورين فى تبريز، ومع أن صائب قد ولد فى تبريز إلا أنه تربى وترعرع فى أصفهان. وقد سافر فى بداية شبابه إلى مكة ثم إلى الهند، وأقام فترة فى كابل وأصبح محل رعاية من ظفرخان والى كابل، وذهب معه إلى بلاط شاه جهان وأصبح مقربا عنده، ثم عاد بعد فترة إلى أصفهان بناء على طلب أبيه، والتحق ببلاط الشاه عباس وحصل على لقب ملك الشعراء فى بلاطه ومدحه .

نظم صائب شعرا كثيرا وكان بارعا فى النظم على البديهة . وأظهر براعة فى نظم الغزليات أكثر من غيرها . وكان معجبا بسعدى وحافظ وتأثر بأشعارهما. ويمكن اعتبار أسلوب صائب هو الأسلوب الهندى الذى يتميز بدقة الخيال ودقة الفكر ، وتجرى بعض أبياته مجرى الأمثال السائرة .

فوران الخمـــــر

اكتسى القلب تدريجيا بلون شفتيه الياقوتيتين ،
وتحررت إرادة الخمر الثائرة من يد إبريقها .

واستَمَع إلى جوهر حديث الزاهدين الورعين ،
فوضع يديه الصدفيتين على وجهه خجلا وحياء .

إن الخمر عندى حلال أكثر من لبن الأم ،
لأنها تزيل طوق الغم الذى يُحيط بحلقى .

إن «صائب» قد فرغ من دلال القابلة القاسية ،
فهو الطفل الذى تعود على مص إصبعه .

لا تعمل فـــإن ...

لا تعمل شيئا فإننى أتوجه إلى أبواب السماء ،
وأشد كل سهم للشكوى فى القوس .

لا تعمل شيئا فإننى سأسحب قدمى من على أعتابك ،
وأضع جرح الصبر الذى لا أملكه عليها .

لا تعمل شيئا فإن بدعة التحرر من العشق ،
أضعها وسط سلسلة العاشقين .

لا تعمل شيئا ففى منتصف الليل
سوف أجد مهربا لقلبى الضعيف من خلال ثغرة فى القفص .

مجمر الأصفهانى

(توفى عام ١٢٢٥هـ)

كان سيد حسين طباطبائى من سادات أصفهان ، وقد جاء إلى طهران فى شبابه والتحق ببلاط فتحعلى شاه بواسطة ميرزا عبد الوهاب نشاط . ونال بعد فترة لقب «مجتهد الشعراء» من قبل الشاه . وكان مجمر نديما لحسينعلى ميرزا بن فتحعلى شاه لعدة سنوات ، وهو من شعراء الغزل فى عصر العودة الأدبية . ولمجمر غزليات لطيفة وهو فى نظم القصيدة تابع للأنورى والخاقانى والأمير معزى. وله أشعار فى الهزل والهجاء ومثنوى على غرار «تحفة العراقين» للخاقانى ، كما كتب عدة نصوص نثرية بأسلوب «گلستان» السعدى .

العشق والأمــــل

إن شكواى ليست من الحظ السيئ؛
فكل من يغالبه العشق لا تتحقق آماله .

فمن ذا الذى قال إنه لا وجود للصباح والمساء فى ديار العشق ،
مع وجود وجه الحبيب (*) وحظ العاشق (**) .

هو لا يدرك أن من يكون له شأن مع شفته الحلوة ،
لا يكون بلا رسالة .

قل للمحتسب: إن كل ما تريده هو الرجم بالحجارة،
إن مجلسنا ليس كأسا لأصحاب القلوب الدامية.

(*) أى المضىء.
(**) أى الأسود.

إن «مجمر» لم يطلب أكثر من قبلة من شفتك؛

وهذا كله لا يستحق السباب .

قاآنى الشيــــرازى

(توفى عام ١٢٧٠هـ)

هو ميرزا حبيب الله من شعراء إيران العظام فى العصر القاجارى والمعاصرين لفتحعلى شاه. كان أبوه شاعرا أيضا وقد تخلص بلقب «گلشن». ولد قاآنى فى عام ١٢٢٢ فى مدينة شيراز، وسافر إلى خراسان وهناك درس العلوم والآداب، ثم أصبح مقربا لحسنعلى ميرزا شجاع السلطنة ، وتخلص بلقب «قاآنى» بأمر من اوكتاى قاآن ابن شجاع السلطنة ونسبه إلى اسمه أيضا. ووصل إلى خدمة فتحعلى شاه بواسطة نفس هذا الأمير ، وبعد ذلك صار مقربا فى بلاط محمد شاه وناصر الدين أيضا ، ومدحهما .

ويعتبر القاآنى من أشهر شعراء القصيدة فى العصر القاجارى ، وقد نهج نهج شعراء خراسان فى نظم القصائد من أمثال العنصرى والفرخى ومنوچهرى ، كما كان ماهر أيضا فى نظم الترجيع بند والمسمط. وبالإضافة إلى ديوان القاآنى، فإنه ألف كتابا نثريا بعنوان «پريشان» على غرار «گلستان» السعدى. وهو أول شاعر إيرانى تعلم اللغة الفرنسية، إلا أنه لا يوجد تأثير فى أشعاره نتيجة معرفته لهذه اللغة الأوروبية .

بشرى الربيـــــع

حملت ريح الصبا بشرى الربيع اليوم ،
وقد تبت عن التوبة ألف مرة اليوم .

وقد بسط الهواء بساطا زمرديا فوق الصحراء .
فتعال .. فالوقت وقت السرور والمرح والزمن هو زمانهما اليوم .

وأخذ السحاب يهطل مطرا فوق رؤوس أطفال البستان ،
وبدلا من أن يلقى بقطرات الماء أنزل دُرّا نفيسا اليوم .

وبسبب عبير الورود الحمراء وطيب الهواء واعتداله ،
أصبحت الروضة تشبه تماما ديار الحبيب اليوم .

وبسبب عبير السنبل وعطر البنفسج،
أصبحت بلاد «الخطا» نهبا للتتار اليوم .

وبسبب عطر من يخرج العقيق من باطن التراب المظلم ،
أصبحت السحب قاتمة اللون كريمة فى جودها اليوم .

وبسبب جمال وجه الساقى والخمر الوردية ،
أصبح مجلسنا محسودا من بستان الشقائق اليوم .

لقد كان الربيع الغالى العزيز تذكارا لأحبتنا ،
فإذا كان الحبيب موجودا فأى حاجة إلى هذا التذكار اليوم .

حواشى الكتاب

(١) يشير الشاعر هنا إلى قصة سيدنا يوسف التى وردت فى القرآن الكريم، وكيد إخوته له، واتهام امرأة العزيز ليوسف. ثم إبصار يعقوب عندما شم رائحة قميصه. ويربط بين هذه القمصان الثلاثة وعلاقته بمحبوبته.

(٢) بابل : ربما يقصد بها مدينة بابل ، تلك المدينة القديمة التى كانت تقع فى بلاد ما بين النهرين .

(٣) طَراز : مدينة فى التركستان الشرقية على حدود الصين بالقرب من فرغانه ، جوها بارد جدا وتشتهر بجمال نسائها ، ومسكها معروف أيضا .

(٤) الورق والحبـــر .

(٥) انظر ترجمة ديوانه إلى اللغة العربية التى قام بها الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم ونشرها المجلس الأعلى للثقافة ضمن المشروع القومى للترجمة فى مصر عام ٢٠٠٢م .

(٦) هذه مقدمة قصيدة فى المديح تبدأ بالغزل، والقصيدة فى مديح السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوى (أنظر ديوان منوچهرى الدامغانى ص (١٤).

(٧) الزُهْرة : ثانى كواكب المنظومة الشمسية السيارة، ومكانها بعد عطارد وأمام الأرض، وهى من ناحية الحجم قريبة من الأرض، وهى فى نفس الوقت أقرب الكواكب السيارة إلى الكرة الأرضية.

(٨) المُشْترى : هو أحد أكبر كواكب المنظومة الشمسية السيارة ، وهى تبدو أكثر ضياءً أمام عيوننا بعد الزهرة عن سائر كواكب المنظومة الشمسية السيارة .

(٩) هذه مقدمة غزلية لقصيدة يمدح فيها الشاعر السلطان مسعود الغزنوى ، وقد ذكرتها هنا كمثال على الغزل فى مطلع قصائد المديح الفارسية . (انظر ديوان منوچهرى) ص (١١)

(١٠) الترجيعات: يعتبر الترجيع بند والتركيب بند من أنواع القصائد المركبة التى اخترعها الفرس فى محاولة منهم للتخلص من قيود القافية، وهى تشبه ما ظهر بعد ذلك فى العربية فى المغرب والأندلس تحت اسم الموشحات. والنوعان عبارة عن قصائد تشتمل كل واحدة منها على عدد من الوحدات تكون عادة متساوية فى عدد أبياتها ، وتكون كل واحدة منها على قافية واحدة ، ويفصل بين الوحدة والأخرى بيت مستقل من الشعر يبين لنا نهاية الوحدة التى سبقته وبداية الوحدة التى تليه ، فإذا تكرر بيت بعينه بعد نهاية كل وحدة (بند) فإن المنظومة تسمى بـ (الترجيع بند)، أما إذا تكررت أبيات مختلفة بعد نهاية الوحدات وكانت هذه الأبيات متفقة القافية مع بعضها ومختلفة عن سائر الوحدات فإن المنظومة تسمى فى هذه الحالة بـ (التركيب بند) ، ويجب أن تجرى المنظومة من

هذين النوعين على وزن واحد فى جميع أبياتها. (انظر كتابى دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى ص ٢٢٥ وما بعدها) .

(١١) كشمير وفرخار بلدان اشتهرا بجمال من بهما من النساء، وتقع الأولى فى الشمال الغربى من شبه القارة الهندية. وتقع الثانية فى التبت، كما أنها اسم لمدينة فى طالقان ببلاد ما وراء النهر.

(١٢) الخط: الشعر الذى ينمو أسفل الصدغ .

(١٣) خلخ: اسم مدينة فى التركستان يشتهر أهلها بالجمال .

(١٤) حروف الجيم والدال يقصد بها خصلات الشعر، والورد يقصد به وجنات الحبيبة الوردية .

(١٥) الخال من العنبر لأنه أسود اللون ، والفضة الخالصة هى الوجه الأبيض النضر .

(١٦) عطارد : أصغر كواكب المنظومة الشمسية السيارة .

(١٧) يربط الشاعر هنا بين فم الحبيب وأسنانه ، ففمه صغير مثل عينه وأسنانه مثل دموع العاشق وكلاهما يشبه اللؤلؤ . أما خصر الحبيب فهو نحيل كوجه العاشق ، كما أنه متمنطق بحزام من ذهب يشبه وجه العاشق المصفر الشاحب .

(١٨) يقصد خصلات الشعر التى تتدلى على وجنتى الحبيب اللتين تشبهان زهور الشقائق .

(١٩) هاروت وماروت: اسم ساحرين بابليين، أصبحا يضرب بهما المثل فى السحر، وهما معلقان مقلوبين فى بئر بابل، يقول حافظ:

كَـر بـايدم شـدن سـوى هـاروت بـابـلى صه كَونه سـاحرى بـكـنم تابيارمت

آى: إذا كان ولابد لى من الذهاب إلى هاروت البابلى، فإننى سأقوم بعمل

مائة نوع من السحر حتى أحضرك عندى .

(٢٠) يقصد السحب والأمطار .

(٢١) يعقوب : أحد أجداد العبرانيين وهو ابن إسحق النبى وأبو يوسف والملقب بإسرائيل ، ويقال أن العمر امتد به إلى ١٤٧عاما. (فرهنگ فارسى) .

(٢٢) أيوب : من الأنبياء المذكورين فى التوراة ، وهو مشهور بالصبر على البلاء والمحن وجاء ذكره أيضا فى القرآن الكريم . (فرهنگ فارسى) .

(٢٣) داود : هو الملك اسرائيل (حوالى ١٠١٠ ـ ٩٧٠ ق.م) وقد خلف شاعول وتغلب على الفلسطينيين وأسس بيت المقدس . وكان شاعرا ونبيا وترك مزاميرا مشحونة بالإلهامات الغنائية. وطبقا لما ورد فى التوراة فقد حارب الغول جالوت وقتله بضربة واحدة من مقلاعه.

(٢٤) ذو النون: هو ثوبان بن إبراهيم الأخميمى المصرى الملقب بأبى الفيض (أو أبو الفياض). (توفى عام ٢٤٥هـــ = ٨٥٩م). كان من أهل النوبة أصلا ومن الموالى. وهو أحد العارفين المشهورين وصاحب فصاحة وحكمة. وقد اتهموه بالزندقة، فأحضره

المتوكل العباسى واستمع إلى كلامــه، ثم أطلق سراحه فعاد إلى مصر وتوفى بها (فرهنگ فارسى) .

(٢٥) طوبى : تأتى بمعنى السعادة والأشياء الطيبة ، وهى أيضا شجرة فى الجنة يقال إن فروعها وأغصانها تمتد إلى كل بيت من بيوت الجنة ولها ثمار مختلفة وطيبة الرائحة (فرهنگ فارسى) .

(٢٦) الأتــرج : نوع من الحمضيات .

(٢٧) النثار : ما ينثر فى حفلات السرور من حلوى ونقود . والنثار أيضا الهدية .

(٢٨) وامق وعذرا : اسم قصة عشق بين شخصين بهذين الاسمين. وقد راجت هذه القصة فى إيران لسنوات طويلة قبل دخول الإسلام، وفى عهد أنوشيروان كما ذكر دولتشاه السمرقندى. وقد نظم الشاعر العنصرى هذه القصة، وضاعت هذه المنظومة سوى عدة أوراق منها، وهى عبارة عن مثنوية فى البحر المتقارب. وكانت عذرا معشوقة وامق جارية فى عهد الإسكندر ذى القرنين. ومعظم أسماء الأشخاص والأماكن فى هذه القصة يونانية، وليس من المستبعد أن تكون هذه القصة قد ترجمت إلى البهلوية عن اليونانية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى الفارسية بعد الإسلام .

(٢٩) الخضر : هو عند المسلمين اسم أحد الأنبياء، وقد أرشد موسى، كما أن له منزلة عالية أيضا عند الصوفية. وقد اختلف الباحثون الغربيون حول شخصيته فقال البعض إنه إيليا النبى.

أو أنه «جرجس» القديس الذى ظهر على صورة الخضر. وطبقا للروايات الإسلامية فإنه أحد الخالدين.

(٣٠) عين الحياة: طبقا للروايات فإنها اسم عين ماء فى ناحية مظلمة من الشمال تعرف باسم «الظلمات». وشرب مائها يهب لشاربه الحياة الخالدة . ويقال إن الإسكندر سعى للحصول عليها ولكنه لم يجدها ، غير أن الخضر النبى وصل إليها وشرب من مائها فأصبح خالدا ويطلق عليها فى الفارسية أيضا: آب حيوان، آب زندگى، آب زندگانى، آب بقا، آب خضر .

(٣١) فرهاد: هو نحات معاصر لخسرو پرويز، اشتهر بقصة عشقه لشيرين معشوقة خسرو. وقد نظمت منظومات حول هذه القصة مثل منظومة خسرو وشيرين لنظامى الگنجوى (فى عام ٦٩٨هـ) ومنظومة خسرو وشيرين للأمير خسرو الدهلوى .

أما شيرين فهى معشوقة أرمنية وكانت زوجة لخسرو پرويز ، وطبقا للروايات فقد كانت معشوقة أيضا لفرهاد .

(٣٢) الدلق: نوع من الملابس الصوفية الخشنة التى يلبسها الدراويش، او مرقعة الصوفية .

(٣٣) الزنار : هو الشريط الذى يعلق فيه المسيحيون الصليب، أو الحزام الذى يربطه الزرادشتيون فى وسطهم كما أنه يطلق أيضا على الحزام الذى يتمنطق به الذميون النصرانيون فى بلاد المشرق حتى يميزوا عن المسلميـــن .

(٣٤) بيستون: اسم جبل فى كرمانشاه ، وله أهمية كبيرة نظرا لوجود نقوش عليه من أيام داريوش الكبير .

(٣٥) الخطا أو الختا : يطلق هذا الاسم على الصين الشمالية وهى مسكن لقبائل الترك .

(٣٦) الخاقــان : هو لقب ملوك الصين والأتراك .

(٣٧) الفريقان : كناية عن الجن والإنس .

(٣٨) عـزيـز مـصـر : ورد ذكـره فى الـقـرآن ، وهـذا الاسم صـفـة لشخص اسمه پوتيفار (= معرب فطيفر) كان صاحب سلطان ونفوذ فى بلاط الفرعون المعاصر لموسى . وهو زوج زليخا التى سجن يوسف بسبب اتهامها له .

(٣٩) ذكر الشاعر هنا كلمة «عيوق» وهو نجم أحمر اللون مضىء فى الجانب الأيمن من المجرة ويظهر بعد الثريا ويغرب قبلها، وهو فى الفرنسية CHÈRRE وفى الإنجليزيةCAPELLA واكتفيت هنا بذكر السماء بدلا من ذكر اسم هذا النجم .

(٤٠) الإكسيـر : مادة مركبة ، كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب .

(٤١) ليلـى : هى ليلى بنت سعد امرأة من قبيلة بنى عامر العربية، عشقها إبن عمها قيس الملقب بإبن الملوح العامرى ، وإشتهرت قصة حبهما فى الأدبين العربى والفارسى، وهناك منظومات بهذا الاسم فى الفارسية مثل منظومة نظامى الكَنجوى .

(٤٢) ويس ورامين: اسم قصة حب منظومة نظمها بالفارسية فخر الدين أسعد الجرجانى عام ٤٤٦هــ شاعر القرن الخامس الذى كان يعمل فى خدمة العميد أبى الفتح حاكم أصفهان. ويرجع أصل هذه القصة إلى العصر الأشكانى وكانت مكتوبة باللغة البهلوية.

(٤٣) هذا المصراع باللغة العربية .

(٤٤) ختـن: مدينة فى التركستان الشرقية (التركستان الصينية)، وتذكر فى المؤلفات الإسلامية الختا وختن على أنهما الصين الشمالية وتركستان الشرقية.

(٤٥) الفعل الذى استخدمه الشاعر هنا هو «خاك بيختن» وهو كناية عن الإقدام على المخاطر للحصول على المقصود، ولكنى ترجمته بمعناه الحقيقى لا المجازى .

(٤٦) خسرو وپرويز: هو أحد الملوك الساسانيين، ويسمى أيضا بخسرو الثانى. وقصة خسرو وشيرين هى قصة حب معروفة ذكرها القدماء فى مؤلفاتهم مثل كتاب محاسن الأضداد وغرر سير الملوك وشاهنامة الفردوسى. وقد نظم هذه القصة شعرا الشاعر نظامى الگنجوى فى ستة آلاف وخمسمائة بيت فى بحر الهزج المسدس المقصور.

(٤٧) سومنات: أحد أعظم المعابد الهندية التى دمرها السلطان محمود الغزنوى وحطم أصنامها، والكلمة سنسكريتية.

(٤٨) هذا المصراع باللغة العربية .

(٤٩) ذكر الشاعر هنا وحدة الوزن الفارسية «خروار» وهو يعادل ما يقرب من ثلاثمائة كيلو جرامات وقد ذكرت فى الترجمة هنا كلمة «قنطار» بدلا منها حتى تكون مستساغة فى اللغة العربية .

(٥٠) سليمان: يقصد به سليمان بن داود، وقد خلف أباه، ويعد فى الإسلام من أنبياء بنى إسرائيل. وهو الذى قام ببناء بيت المقدس، وكان مشهورا بالحكمة والفطنة وتذكر حكمه فى العهد

القديم وهى معروفة. وتذكر الروايات أنه كان يحكم الجن والإنس. أما خاتمه فيقال أنه كان منقوش عليه اسم الله الأعظم، وقد سيطر على الإنس والجان عن طريق هذا الخاتم، ويقال أنه وقع فترة فى يد أحد الجان فحكم به إلى أن وقع من جديد فى يد سليمان فاسترد حكمه وسلطانه من جديد.

(٥١) كناية عن شحوب وجه العاشق واصفراره .

(٥٢) العنقاء والـ «هما» هو: طائر أسطورى يأكل العظم، ويُعتقد أن السعد يصيب من أظله. ويُعرف لدى العامة باسم «مرغ سعادت» أى: طائر السعادة.

(٥٣) وردت هذه الغزلية فى قسم المراثى فى ديوان الشاعر همام التبريـــــزى، ونادرا ما يستخدم فن الغزل فى الرثاء. (أنظر أيضا غزلية للجامى فى رثاء طفل رضيع) .

(٥٤) إشارة إلى الآية الأولى من سورة القلم (ن والقلم وما يسطرون).

(٥٥) المقصود بالخرابات فى الفارسية الحانات، كما تطلق فى المصطلح الصوفى أيضا على المنزلة التى يصل إليها الصوفى من عدم الاهتمام بالعادات والتقاليد والأعراف المتبعة.

(٥٦) نوروز ترجمتها ربيع لأن النوروز هو بداية فصل الربيع.

(٥٧) حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة: منظومة مثنوية تسمى أيضا «الهى نامه»، وهى أهم عمل للشاعر سنائى الغزنوى. وقد نظمها فى البحر الخفيف المخبون المقصور، وتضم عشرة آلاف بيت فى عشرة أبواب. بدأ سنائى فى نظمها بإسم بهرامشاه

الغزنوى عام ٥٢٤هـ وانتهى منها عام ٥٢٥هـ. وخصص أبوابها للحديث عن العقل والعلم والحكمة والعشق . ولهذه المنظومة تأثير كبير فى الأدب الفارسى، حيث أثرت فى منظومات لاحقة عليها مثل «تحفة العراقين» و «مخزن الأسرار» وغيرهما. وكانت هذه المنظومة متفرقة عند وفاة سنائى، فجمعها محمد بن على الرفا بأمر بهرامشاه وكتب لها مقدمة فصيحة، وقد طبعت بعد ذلك طبعات عديدة .

(٥٨) يقصد بالنار هنا وجنة الحبيب الوردية اللون كالنار .

(٥٩) يقصد بالشمس هنا وجه الحبيب المنير .

(٦٠) إرم أو إرم ذات العماد مذكورة فى القرآن الكريم، وهى جنة شداد وتقع فى جنوب بلاد العرب ، ويقال إن شداد أقامها عندما سمع بوجود جنة فى الآخرة ، فأراد أن يقيم جنة على الأرض. ولهذا شيد مدينة فى عدن حجارتها من الذهب والفضة وجدرانها مرصعة بالأحجار الكريمة، وبعد أن شيدها أراد رؤيتها. ولما كان لم يقبل دعوة النبى هود، فقد قبضت روحه عند دخوله إلى تلك الحديقة ودفنت هذه المدينة تحت الرمال.

(٦١) جمشيد: هو أحد الملوك البيشداديين الأسطوريى، ويقال إن عيد النوروز كان من العادات المتبعة فى عصره، وقد قضى عليه الضحاك .

(٦٢) السربداريون : هم من الأمراء الذين حكموا فترة فى خراسان بعد سقوط الإيلخانيين المغول من ٧٣٧هـ (١٣٣٧م) وحتى ٧٨٣هـ (١٣٨١م) .

(٦٣) آل كرت: هم من ملوك شرق إيران يرجع أصلهم إلى الغوريين، وقد حكموا من عام ٦٤٣ وحتى عام ٧٩١هـ ، وكانت عاصمتهم هرات، وقد قضى على هذه الأسرة الأمير تيمور فى عام ٧٨٣هـ.

(٦٤) شجرة ذات أشواك كثيرة .

(٦٥) إبراهيم الخليل: هو النبى الملقب بالخليل وخليل الله وخليل الرحمن، وهو الجد الأكبر لبنى إسرائيل والعرب المستعربة وأنبياء اليهود. ولد فى قرية أور من توابع كلده فى شرق بابل حوالى ألفى سنة قبل الميلاد، ودعا قومه لعبادة الله الواحد، فأمر النمرود بإشعال النيران وألقوه فيها، إلا أن النار صارت بردا وسلاما عليه. ويقال إنه توفى فى سن المائة والسبعين، وله ولدان إسحاق من سارة وإسماعيل من هاجر وقد أمره الله بذبح ابنه إسماعيل، وعندما هم بذبحه أرسل الله له كبشا عظيما ليذبحه بدلا من ابنه.

(٦٦) هذه الغزلية من القصائد الملمعة، والمصاريع المكتوبة بين قوسين هى بالعربية أصلا، كما أن الجامى تأثر فيها بوزن وقافية غزلية من غزليات حافظ الشيرازى مطلعها:

ألا يا أيها الساقى أدر كأسا وناولها

كه عشق آسان نمود أول ولى افتاد مشكلها

ومعنى المصراع الثانى :

فقد بدا العشق سهلا يسيرا فى بداية الأمر ، ولكن المشاكل وقعت فيما بعد .

(٦٧) هذا المصراع بالعربية أصلا .

(٦٨) المصاريع المكتوبة بين قوسين جاءت باللغة العربية .

(٦٩) أشار المستشرق براون إلى تشابه هذه الغزلية مع غزلية أخرى تنسب لحافظ ومطلعها :

امروز شاه انجمن دلبران يكى است　　دلبر اگر هزار بود دل بر آن يكى است

أى: إن مليك محفل المعشوقين هو اليوم واحد،

ولو كان المعشوقون ألفا فقلبى لا يرتبط إلا بواحد .

يشبه هذا المعنى قول المتنبى:

كفى بجسمى نحولا أننى رجل　　لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

(٧١) هذه الغزلية فى رثاء طفل رضيع وقد أوردتها هنا كحالة نادرة فى الشعر الفارسى حيث استخدم الشاعر فن الغزل فى الرثاء. وقد سبق أن ذكرنا غزلية فى الرثاء أيضا عند الشاعر همام التبريزى .

المراجع العربية والفارسية

١ ـ آشنايى با شاعران كلاسيك ايران ـ تأليف مهبود فاضلى ـ تهران ١٣٨٠ش .

٢ ـ أبو عبد الله رودكى ـ عبد الغنى ميرزايف ـ نشريات دولتى تاجيكستان ـ استالين آباد ١٩٥٨م .

٣ ـ از سعدى تاجامى ـ تأليف ادوارد برون انكَليسى ـ ترجمة وحواشى بقلم على اصغر حكمت – چاپ سوم ـ تهران ١٣٥١ش.

٤ ـ أغانى شيراز ـ ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ـ جزآن ـ المجلس الأعلى للثقافة بمصر ـ ٢٠٠٥م .

٥ ـ پيشاهنكَان شعر پارسى ـ به كوشش دكتر محمد دبير سياقى ـ تهران ١٣٥١.

٦ ـ تاريخ الأدب فى إيران من السعدى إلى الجامى ـ تأليف ادوارد براون ـ ترجمه إلى الفارسية على أصغر حكمت ، ونقله إلى العربية د/ محمد علاء الدين منصور ـ المجلس الأعلى للثقافة بمصر ٢٠٠٥م .

٧ ـ تاريخ أدبيات در ايران -تأليف دكتر ذبيح الله صفا ـ جلد اول ـ چاپ سوم ـ تهران ١٣٣٨ش .

٨ ـ تاريخ أدبيات در ايران ـ تأليف دكتر ذبيح الله صفا ـ جلد دوم چاپ سوم ـ تهران ١٣٣٩ش .

٩ ـ تاريخ آدبيات در ايران ـ تأليف دكتر ذبيح الله صفا ـ جلد سوم ـ بخش أول ـ تهران ١٣٥٣ش .

١٠ ـ تاريخ أدبيات در ايران ـ تأليف دكتر ذبيح الله صفا ـ جلد سوم ـ بخش دوم ـ تهران ١٣٥٢ش .

١١ ـ ديوان حكيم سوزنى سمرقندى ـ باهتمام دكتر ناصر الدين شاه حسينى ـ تهران ١٣٣٨.

١٢ ـ ديوان عبد الواسع جبلى ـ باهتمام وتصحيح وتعليق ذبيح الله صفا ـ جلد دوم ـ تهران ١٣٤١ش .

١٣ ـ ديوان لامعى كَركَانى ـ به كوشش دكتر محمد دبير سياقى - چاپ دوم ٢٥٣٥شاهنشاهى .

١٤ ـ ديوان منوچهرى دامغانى ـ بكوشش محمد دبير سياقى ـ چاپ دوم ـ تهران ١٣٣٨ش .

١٥ ـ سعدى الشيرازى ـ دكتور محمد موسى هنداوى ـ القاهرة ١٩٥١م .

١٦ ـ ديوان همام تبريزى ـ به تصحيح دكتر رشيد عيوضى -تهران ١٣٥١ش .

١٧ ـ سفينه غزل ـ به اهتمام سيد ابو القاسم انجوى شيرازى - چاپ دوم ـ تهران ٢٥٣٦.

١٨ ـ غزلهای حافظ ـ حافظ شيرازى ـ تهران ١٣٤١ش .

١٩ ـ فرهنگ أدبيات فارسى ـ تأليف دكتر زهراى خانلرى (كيا) ـ انتشارات بنياد فرهنگ ايران ـ تهران ١٣٤٨ ش . (إعتمدت عليه فى الحديث عن الشعراء وحياتهم وأعمالهم) .

٢٠ ـ فرهنگ فارسى ـ دكتر محمد معين ـ تهران ١٩٩٢م (اعتمدت عليه فى كثير من التعليقات والحواشى) .

٢١ ـ كليات شمس تبريزى ـ مولانا جلال الدين رومى ـ تهران ١٣٤١ش .

٢٢ ـ كليات شيخ سعدى ـ با تصحيح كامل جناب آقاى محمد على فروغى ـ تهران ١٣٣٧.

٢٣ ـ كليات عبيد زاكانى ـ تهران ١٣٤٠.

المترجم فى سطور

محمد نور الدين عبد المنعم عبد القادر

ـ حاصل على دكتوراه الآداب فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م .

ـ يعمل حاليا أستاذا متفرغا للغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر .

ـ تولى عدة مناصب إدارية وفنية مهمة منها :

عميد كلية اللغات والترجمة .

رئيس لجنة الترجمة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ـ ألف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابا أهمها : .

دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى ـ اللغة الفارسية : بحوث فى النشأة والتطور ـ جوانب من الثقافة الإيرانية ـ البلاغة العربية وأثرها فى نشأة البلاغة الفارسية وتطورها ـ معجم النور لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (عربى ـ فارسى) ـ معجم المصطلحات السياسية والعسكرية ـ معجم

المصطلحات الفلسفية ـ ترجمان البلاغة ـ كمال الدين بهزاد المصور الإيرانى المبدع ـ أوزان الشعر الفارسى.

ـ كتب ما يقرب من خمسة وسبعين بحثا ومقالا منشورا، منها:

الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية ـ كلمات فارسية فى شعر أبى نواس ـ وصف مصر فى كتاب حدود العالم ـ تأثيرات عربية فى كتب البلاغة الفارسية ـ البازار ودوره فى المجتمع الإيرانى ـ ترجمة فارسية منظومة لمعانى القرآن الكريم ـ المخطوطات الفارسية بدار الكتب المصرية ـ المصاحف الإيرانية المخطوطة فى مكتبات مصر ومتاحفها ـ المجمع اللغوى الإيرانى ـ المقاهى الإيرانية ودورها الاجتماعى والثقافى.

التصحيح اللغوى: **سوزان عبدالعال**

الإشـــراف الفــــنى: **حـــسن كـامل**

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب